

HI
34
.8
.N
19

BOBST LIBRARY

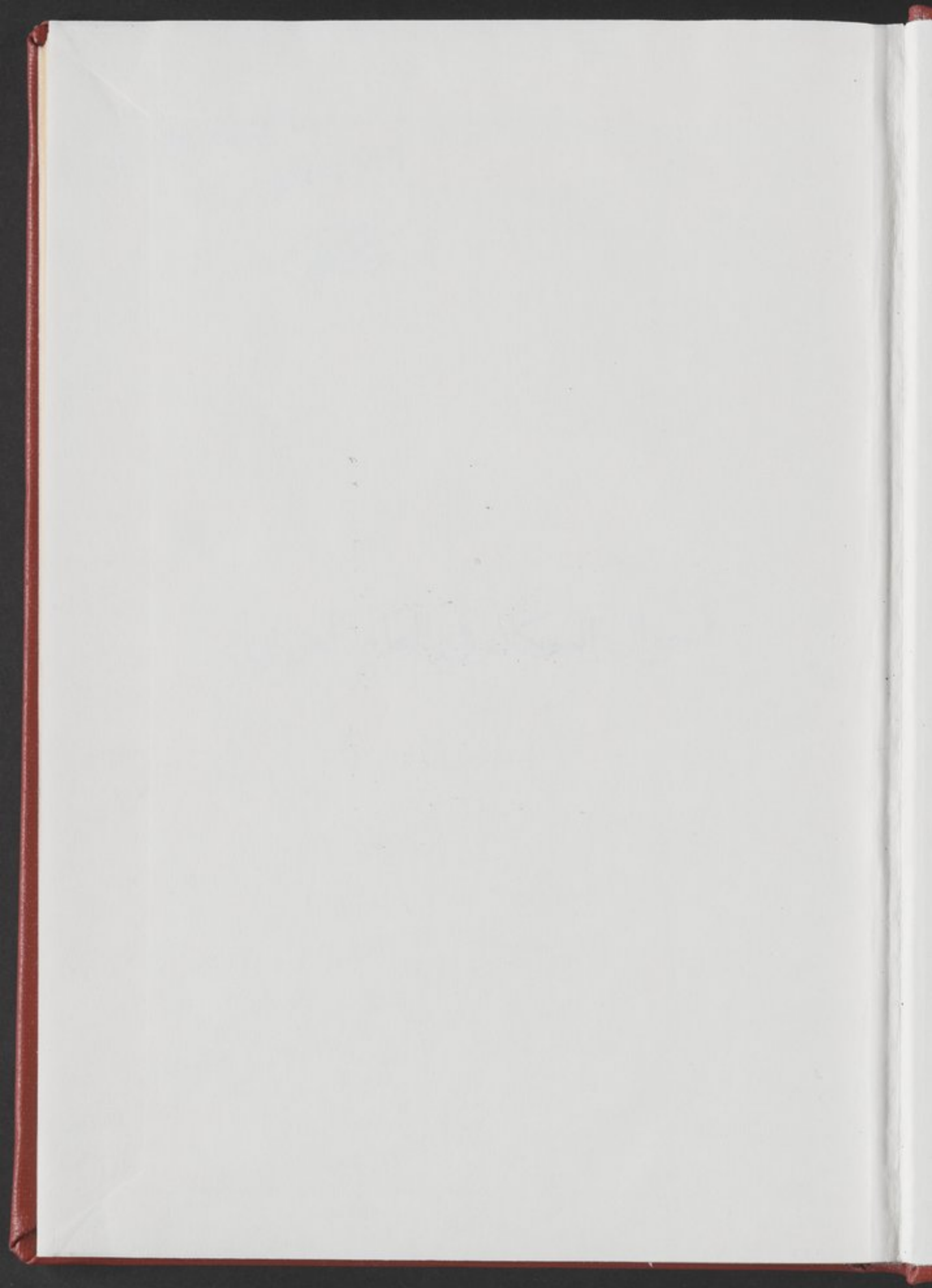


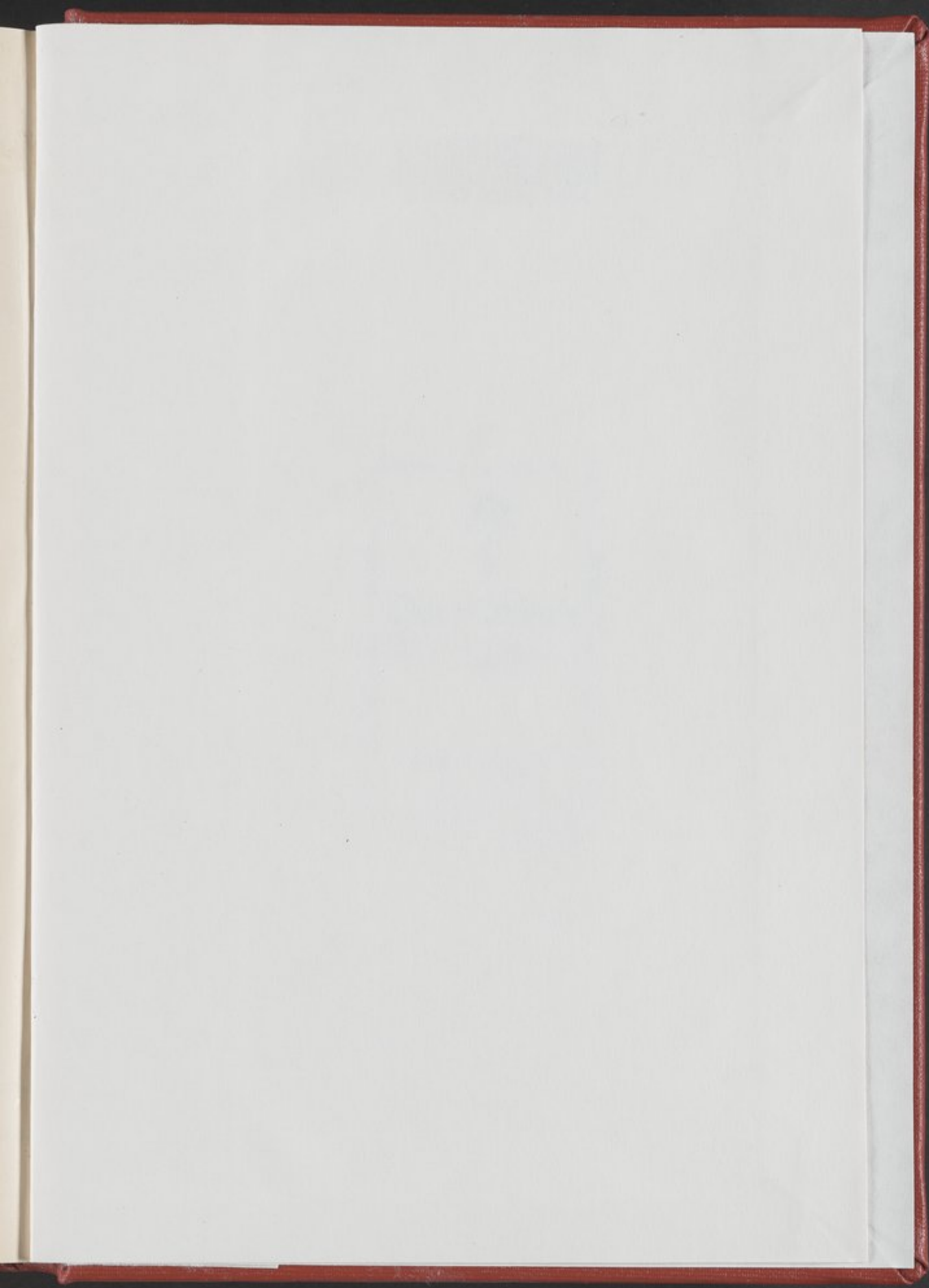
3 1142 02885 3664



Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University





Pl Verticillitis
14 Sept 1959

Di

أحوال السكان في العالم العربي

١٩
١٩٢١
١٩٢١

يجمعها بالمعاني في نكاحها بالهوا

جَامِعَةُ الدُّوَّةِ الْعَرَبِيَّةِ

مَعْدَةُ الدِّرَاسَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْعَالِيَةِ

"Nuṣṣa ʿIzzat."

/Aḥwāl al-sukān fī al-ʿālam al-ʿarabī/

أَحْوَالُ السُّكَّانِ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ

دراسة مقارنة

محاضرات

ألقاها

الركنور

عزة النص

[على طلبة قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية]

١٩٥٤ - ١٩٥٥

MAY 25 2000

HB

3634

8

N8

1955

كتاب

للمعالم

مكتبة

مكتبة

[مكتبة كمال فهد مكتبة كمال فهد مكتبة كمال فهد]

3001 - 0001

028853664

0001

توطئة

لعلكم تنتظرون منى دراسة وافية شاملة عن سكان العالم العربي في مختلف شؤونهم الديموغرافية والاجتماعية ، وبذلك تجزئون عن جهد البحث والتنقيب بمتعة القراءة السهلة والاطلاع الهين ...

فإذا كان هذا ما عقدتم عليه الرجاء فإني لسعيد بأن أخيب مأملكم وأن أكون هدفاً لشكاتكم وتبرمكم ...

وذلك أننى أتفهم رسالة المدرّس والمحاضر في هذا المعهد على وجه آخر . إن مهمته هي أن يبعث في نفوسكم التطلع إلى معرفة الأمة العربية ، وأن يعرض أمام نواظركم بعضاً من مشكلاتها ؛ وعليكم أتم أن تسيروا في الطريق إلى آخرها ، وأن تتخذوا من دروسه نقطة انطلاق وركيزة هداية وآلة استقصاء وأداة تعميق .

ومن نافلة القول أن إثني عشر حديثاً تقصر عن الإحاطة بالأمور السكانية للعالم العربي إحاطة كافية أو شبه كافية . ونحن بعد مضطرون إلى أن نخصص بعضها لتوثيق المعرفة بينكم وبين هذا العلم القديم الجديد الذى اصطلاح على تسميته بعلم السكان ؛ ولا بد لنا في كل مناسبة من أن نعمد إلى مقارنة ما هو واقع في العالم العربي بما هو واقع في بلاد العالم الأخرى ، يقيناً منا بأن أوضاع كل مجتمع لا تدرك إلا بالقياس إلى أوضاع المجتمعات المماثلة والمغايرة .

وسوف نأخذ بالمعنى الضيق لعلم السكان ، فلا نعرض لشؤون السكان العرقية واللغوية والدينية إلا بقدر ، مركّزين بحثنا كله على مناحى التوزيع الجغرافى للبواطنين ونسب زواجهم وطلاقهم وولاداتهم ووفياتهم وتكاثرهم وهجراتهم .

وفي اعتقادنا أن هذه المحاضرات يمكن أن تكون وسيلة لتحديد النقص في الوثائق الخاصة بأمتنا ، أكثر من أن تكون تحليلاً لها وتعليلاً . ولعلها في النهاية تلهب فيكم جذوة الهمم للمشاركة في بناء الكيان العربى على أسس واضحة وقوية .

MAY 25 2000

قصة

منها ما قاله في ذلك من قبله فانه قد روي عنه في
... في ذلك من قبله فانه قد روي عنه في ...
... في ذلك من قبله فانه قد روي عنه في ...

... في ذلك من قبله فانه قد روي عنه في ...
... في ذلك من قبله فانه قد روي عنه في ...

... في ذلك من قبله فانه قد روي عنه في ...
... في ذلك من قبله فانه قد روي عنه في ...
... في ذلك من قبله فانه قد روي عنه في ...

... في ذلك من قبله فانه قد روي عنه في ...
... في ذلك من قبله فانه قد روي عنه في ...
... في ذلك من قبله فانه قد روي عنه في ...

... في ذلك من قبله فانه قد روي عنه في ...
... في ذلك من قبله فانه قد روي عنه في ...
... في ذلك من قبله فانه قد روي عنه في ...

... في ذلك من قبله فانه قد روي عنه في ...
... في ذلك من قبله فانه قد روي عنه في ...
... في ذلك من قبله فانه قد روي عنه في ...

الفصل الأول

قيمة الدراسات السكانية

١ - مؤتمر روما :

بين الواحد والثلاثين من شهر أغسطس (آب) والعاشر من سبتمبر (ايلول) عام ١٩٥٤ ، التأم في روما المؤتمر العالمي للسكان ، بإشراف منظمة الأمم المتحدة . ومثل هذا المؤتمر لم ينعقد منذ عام ١٩٣٩ بسبب الحرب العالمية الثانية وما تلاها من أحداث وأزمات .

وأوفدت أكثر الدول مندوبين عنها إلى هذا المؤتمر الهام ، حتى بلغ عدد المشتركين فيه ثلاثمائة وكلهم من العلماء الاختصاصيين بدراسة أحوال البشر . والموضوع الرئيسى الذى تناوله هؤلاء العلماء بالبحث هو الموضوع الذى شغل ومازال يشغل أفكار الأفراد والجماعات ، ألا وهو تزايد سكان الأرض والعلاقة بين ذلك وبين الموارد الطبيعية المتوفرة .

وقد تبدى خلال البحث أن قضية تزايد السكان تأخذ شكلاً خطيراً في البلاد المتخلفة اقتصادياً على وجه الخصوص ؛ وذلك أن الموارد المعاشية لا تنمو دوماً بنسبة تكاثر السكان ، وبالتالي ينخفض مستوى المعيشة باستمرار في بعض الأقطار . ثم إن تكاثر السكان في هذه المناطق يقلل من المواد الأولية التى كان بالإمكان تصديرها إلى البلاد الأخرى ؛ وهكذا يشاهد أن تزايد السكان في منطقة ما يتعدى تأثيره المنطقة ذاتها إلى غيرها من مناطق العالم ويخل بالتوازن الاقتصادى العالمى . ومتى اختل التوازن الاقتصادى تأرجحت العلاقات الدولية وبرزت المشكلات والأزمات السياسية . فالظواهرات

الاجتماعية المحلية ليست إذن حالات خاصة بالأمة أو الدولة المائلة فيها ، بل هي في الوقت نفسه مؤثرة في كيان العالم أجمع ، طالما أن دول العالم مترابطة المصالح متشابكة العلاقات . وكما أنه لم يعد في العالم مكان للاقتصاد المنطوى على نفسه والمكتفى بذاته ، فليس في العالم أيضاً مكان للجمع المغلق المنعزل . وسياسة الاقتصاد الموجه أو المخطط التي أخذت بها كثرة الدول يرأسها ويلازمها السياسة الموجهة في أمور السكان ، من تشجيع للنسل أو إباحة الحد منه والتدخل في شئون الزواج والطلاق الخ ... وهاتان السياستان تتأثران بما يجرى في البلاد الأخرى وتؤثران بدورهما في سياسات البلاد الأخرى .

وقد لاحظ المؤتمر في روما أن الوفيات منذ الحرب العالمية الثانية أخذت بالتناقص المضطرد في معظم دول العالم ، وذلك إثر تقيهر الأمراض بسبب المكتشفات الحديثة التي تقضى على الحشرات (د . د . ت مثلاً) أو تكافح الحيات والأوبئة (كالبنسلين وغيره) ؛ إلا أن نسب الأخصاب الطبيعي ، أى الولادات ، لم تتناقص كثيراً ولذلك فإن البشر أخذ في الزيادة العددى بشكل يدعو إلى التخوف .

ففي البرازيل مثلاً ، كانت نسبة المواليد قبل الحرب العالمية الأخيرة تبلغ ٤٧ بالآلاف ، أى أن كل ألف ساكن كانوا يلدون ٤٧ مولوداً جديداً في السنة . وكانت نسبة الوفيات ٣٠ بالآلاف ، أى أنه كان يموت من كل ألف مواطن ثلاثون سنوياً . فكان محصول المواليد والوفيات هو زيادة السكان بمقدار ١٧ بالآلاف سنوياً . أما الآن فنسبة المواليد في البرازيل قد انخفضت إلى ٤٤ بالآلاف ولكن نسبة الوفيات قد هبطت إلى ١٨ بالآلاف والزيادة الجاهزة هي ٢٦ بالآلاف . فماذا يكون مصير بلد كهذا ؟ وماذا يكون مصير الدول التي تعتمد عليه في مشتري المواد الأولية اللازمة لها ؟

إن الولايات المتحدة الأمريكية تستهلك نصف المواد الأولية المستوردة من البلاد المتخلفة إقتصادياً . وهذه البلاد يزاد استهلاكها لمنتجاتها تبعاً لتكاثر سكانها ؛ لكن منتجاتها لايزداد إزدياداً محسوساً . ومن المعروف أن الولايات

المتحدة الأمريكية تستورد البترول والفوسفات والحديد الخام والزنك والمنجنيز والرصاص والكبريت والبوتاس الخ... فماذا يكون مستقبل الولايات المتحدة إذا حدث وأصبحت البلاد المصدرة لهذه المواد الأولية تستهلكها كلها أو جلّها لسد حاجتها الخاصة ؟

أن هذا المثال يفسر لنا الشيء الكثير من مناحي السياسة الأمريكية الآيلة إلى فرض نفوذها الاقتصادي وتنمية إنتاج المواد الأولية في مختلف أرجاء الأرض :

٢ — أثر السُّنُورَة السُّنُورَة قَرِيباً وَمَرِئاً :

وليس يعنينا هنا استعراض القضايا التي عولجت أو أثّرت في مؤتمرات وما للسكان وإنما أردنا أن نشير إلى أن ظاهرات السكان لها نتائج مزدوجة :

(أ) أنها أولاً ذات الأثر الأكبر في كيان البلد الواحد فتوزع السكان في أمة ما وتكاثفهم أو تخلخلهم ، وتزايدهم وهجراتهم وأوجه نشاطهم وتفاوت أعمارهم وأجناسهم الخ... كل ذلك يعلل تفوق الأمة أو تخلفها ، ويلقى ضوءاً على الأدوار التاريخية التي مرّت بها في ماضيها ويصحّ أساساً للتنبؤ عن آتيها .
(ب) وهي ثانياً ذات أثر كبير في العلاقات الدولية . فالسلم والحرب بين الشعوب يدفع إليهما في أغلب الظروف عوامل اقتصادية ، وهذه العوامل هي قبل كل شيء رغبات وحاجات اجتماعية ؛ فإن تضخم الشعب الألماني مثلاً وعجز الأرض الألمانية عن استيعابه والوفاء بحاجاته لا يمكن إلا أن يكون له انعكاس عنيف على العلاقات بين ألمانيا وبين البلدان المجاورة لها ، التي تفيض بالمواد الأولية ولا تزدهم بالسكان .

إن هذه الحالات الديموغرافية قد سيّرت مجرى التاريخ في جميع العصور . وإذا أغفل المؤرخون ذكرها أحياناً فذلك لأنهم لم يفتنوا إليها أو لم يشعروا بها .

ولا يمكن تعليل عظمة الأغر يق القدماء إلا بخصبهم العددي ؛ وكثرة المواطنين تهيء الظروف الملائمة لاصطفاء الموهوبين والعبقريين . وما انتشر اليونان وأقاموا المستوطنات على سواحل البحر الأبيض إلا بسبب تكاثرهم

وضيق بلادهم . وكذلك الفينيقيون الذين لم يجدوا مجالاً حيوياً رجباً في سهولهم المستطيلة المحصورة بين جبال لبنان والبحر .

وعندما انتشرت حياة الترف والنعم بين الأغريق ومالوا إلى المتعة ورغبوا عن الزواج وانجاب الأبناء ، أخذ عددهم بالتناقص وبدأت حيويتهم بالذبول . حتى تفوق عليهم الرومان ، وهؤلاء بدورهم نشأوا أقوياء مخصبين ، ففتحوا العالم وحكموا جزءاً كبيراً منه . ثم طرأ عليهم ما طرأ على اليونان فقلّ نسلهم وانطفأت شعلتهم ، وعجزوا عن تعويض قتلاهم في الحروب الطاحنة التي خاضوا غمارها (١) .

والعرب في جاهليتهم الأولى كانوا شديدي التكاثر . وكان لا مناص لهم عن الفتك بعضهم ببعض وقتل أبنائهم ليخففوا من كثرتهم ويحدوا من استهلاكهم في صحرائهم المجدية التي لا تمنح إلا القليل . وقد جاء الإسلام يحمي النفس البشرية أن تزهد إلا بالحق ، وحظر قتل الأبناء خشية املاق ، وبذلك زاد في وفرة العرب العددية ، وأزال ما ساء بعض المستشرقين بصامة الأمن — أي القتل — التي كانت تحفظ التوازن بين الموارد والأفراد . إلا أن المسلمين وجدوا في الفتوحات الخارجية مجالاً لفيض حيويتهم وامتساعاً لأرضاء خصوبتهم ، فانتشروا في الأرض ، ثم أثروا وترفوا ولها وتضاءلت رجولتهم ونقص عددهم وقصرت أعمارهم وضاعت شوكتهم (٢) .

إن (الضمور الديموغرافي) و (الوفرة الديموغرافية) هما إذن — من الوجهة الكمية — عاملان مؤثران في تخلف الأمم أو تقدمها . والمؤرخون

(١) للمزيد من الشواهد راجع : Adolphe Landry : Traité de démographie .

Paris, 1949, pp. 31 — 75 .

(٢) لقد حسب أن الأجل المتوسط للخلفاء الراشدين مع النبي الكريم يناهز ٦٧ سنة مع أن ثلاثة من الخلفاء قتلوا . والأجل المتوسط للعالمك الأمويين الخمسة الآخرين يبلغ ٤٢ سنة قتل منهم اثنان . والأجل المتوسط للخلفاء العباسيين الخمسة الأولين يبلغ أيضا ٤٢ سنة مع أن أحداً منهم لم يقتل (أنظر كتاب علم السكان للدكتور عبد الكريم اليافي — دمشق ١٩٥١ ص ٣٧) .

المحدثون يرجعون تفتح العبقريّة الفرنسيّة في القرن السابع عشر ، وقوة
فرانسا العسكريّة في زمن الثورة والامبراطوريّة إلى الغزارة السكانيّة للشعب
الفرنسي حينذاك . أما في العصر الذي نعيشه فإن ازدهار الولايات المتحدة
الأمريكيّة وتقدم الاتحاد السوفييتي ونهضة اليابان وبقظة الصين ، ليست
كلها سوى ظواهر حيوية للتفوق الديموغرافي . وبالعكس فإن تدهور فرانسا
السياسي والاقتصادي في العصر الحاضر هو مرتبط وثيق الارتباط بضمور
سكانها .

وغنى عن القول أن الوفرة العددية وحدها ليست كافية لنهضة الأمم ،
ولا بد لذلك من صفات نوعية كالخبرة والمعرفة والفضيلة ؛ ولكن هذه
الصفات المعنوية تعطى خيراً أعم وأغزر إذا كانت مقرونة بالكثرة العددية .
ويلج العالم الافرنسي (سوفي Sauvvy) على الأسباب السكانية في قيام
الحرب العالميّة الثانية فيقول : إن المعاهدات الدوليّة التي أبرمت عقب
الحرب العالميّة الأولى ما كان يمكن أن يُكتب لها البقاء ، لأنها أهملت قضايا
السكان ، فهي مثلاً لم تعالج مشكلة الهجرة ؛ وليس من السهل إيضاح الأزمة
الاقتصادية والحرب العالميّة الثانية دون الانتباه إلى نتائج إيقاف الهجرة إلى
بلاد العالم الجديد وخاصة إلى الولايات المتحدة الأمريكيّة^(١) .

وهكذا يتضح أن شؤون السكان تؤلّف مشا كل حيوية أساسية تقتضي
من المسؤولين عناية ورعاية ، وتفرض عليهم اتخاذ سياسة واعية حيالها .
والسكان هم مجموع الأفراد الذين يعيشون على أرض معينة الحدود . وهم
إما أن يزايدوا بالتوالد أو الهجرة ، وإما أن يتناقصوا بالوفاة أو المهاجرة .
والخطر هو في التزايد الشديد الذي لا يرافقه تحسن في الموارد للحفاظ على
التوازن ، أو في التناقص الشديد الذي يعرض كيان الأمة إلى الأخطار
الداخلية أو الخارجية .

(1) Alfred Sauvy : La population. (Que Sais-je). Paris, 1948, p.5— 6

وقد آن ان تتقدم ببعض الأمثلة لتبيين أثر الحوادث الديموغرافية في حياة الشعوب العربية .

٣ - سواهر من العالم العربى الحرب :

لنأخذ حالة نمو الشعب المصرى عديداً فى العصر الحديث ، فإن التقديرات التى أجريت عند غزو بونابرت لمصر ، وكذلك فى عهد محمد على تدل على أن تعداد المصريين لم يكن يزيد عن مليونين ونصف .

والشعب المصرى يعد اليوم ٢٢ مليوناً . وهذه الزيادة السكانية كان لها نتائجها المؤلمة فى انخفاض مستوى المعيشة لأنها لم تقترن ببناء فى الثروة القومية والدخل الفردى^(١) .

فمن الناحية الزراعية ضاقت حصة الفرد المصرى من الأرض المنزرعة رغم ما استصلح من الأرض مجدداً كما يدل الجدول الآتى :

مساحة المحصول		الأرض المنزرعة		عدد السكان بالملايين	السنة
نصيب الفرد بالفدان	آلاف الأفدنة	نصيب الفرد بالفدان	آلاف الأفدنة		
٠.٦٨	٧,٦٦٢	٠.٤٨	٥,٤٠٠	١١,٢٧٧	١٩٠٧
٠.٦٠	٧,٦٨٦	٠.٤٠	٥,٣١٩	١٢,٧٥١	١٩١٧
٠.٦٢	٨,٦٦١	٠.٣٩	٥,٥٤٤	١٤,٢١٨	١٩٢٧
٠.٥٢	٨,٣٠٧	٠.٣٣	٥,٢٨١	١٥,٩٣٣	١٩٣٧
٠.٤٨	٩,١٦٦	٠.٣٠	٥,٧٦١	١٩,٠٩٢	١٩٤٧

وإذا فرضنا أن عدد سكان مصر كان ١٠٠ عام ١٨٩٧ فقد أصبح ٢١٢

(١) أنظر المراجع التالية :

- أ - السكان وموارد الثروة فى مصر تأليف حسين عبد الله - القاهرة ١٩٥٢
- ب - مشكلة السكان فى مصر - تأليف الدكتور صلاح الدين نامق - القاهرة ١٩٥٣
- ج - بحث فى استثمار رؤوس الأموال الأجنبية فى مصر - تأليف الدكتور عبد المنعم البيه - القاهرة ١٩٥٣

عام ١٩٥٢ ، وأمام مساحة المحصولات فإذا كانت ١٠٠ عام ١٨٩٧ فقد أصبحت ١٣٧ فقط عام ١٩٥٢ .

يضاف إلى هذا نقصان منتوج الأرض بسبب إجهادها وقلة العناية الفنية بها ، فأكثر المحاصيل المصرية قد تدنت بشكل ملموس عما كانت عليه قبل الحرب العالمية الثانية كما تدل الأمثلة التالية :

متوسط محصول الفدان					
١٩٥٣	١٩٥٢	١٩٥١	١٩٥٠	١٩٣٩	
١٤١	١٣٤	١٤٣	١٢١	١٧١	البصل (بالقنطار)
٨٠٠٣	٧٨٥٥	٧٢٥٧	٦٩٥١	٧٥٥٩	قصب السكر
٥٥٣٥	٥٥٠٤	٤٥٠٨	٤٥٣٠	٥٥٣٥	القطن
٥٥٧٦	٥٥١٨	٥٥٣٩	٤٥٩٥	٦٥١٥	القمح (بالأردب)
٦٥٥٧	٦٥٣١	٦٥١٣	٦٥٤٣	٧٥٠٣	الذرة الشامية
٧٥٤٠	٧٥١٩	٧٥٠٢	٦٥٤٩	٧٥٥٥	الشعير
٤٥٥١	٤٥٥٣	٤٥٦٨	٣٥٥٩	٥٥١٣	الفول
١٥٦٣	١٥٤٦	١٥٣٥	١٥٨٨	١٥٧٤	الأرز (بالضرية)

ولسنا نعجب بعد هذا أن يتراوح دخل الفلاح المصري عام ١٩٤٨ حسب المديرية بين ١٣ و ٣٢ جنيهاً في السنة ، مع أن متوسط دخل الفلاح الإنجليزي مثلاً هو ٢٣٢ جنيهاً .

ولم تعوّض الصناعة على الشعب ما يفقده في الزراعة ، لأن حركة التصنيع لا تزال حديثة في مصر ، وهي لا تشغل إلا عدداً ضئيلاً من المواطنين العاملين . ورءوس الأموال الموظفة في الصناعة بلغت عام ١٩٤٨

نحواً من ٢٨٠ جنيهاً (٧٠٠ دولار) وسطياً لكل عامل مصري ، بينما ارتفعت في الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً إلى ٦٠٠٠ دولار . وصافي إنتاج العامل المصري لم يزد عن ١٩٠ جنيهاً تقريباً في عام ١٩٤٨ مع أنه بلغ ٢٣٨٠ جنيهاً في الولايات المتحدة الأمريكية .

وغایتنا من سرد هذه الأمثلة إعطاءكم صورة واضحة عن مدى أثر الحوادث السكانية في حياة الأمم ومصيرها .

ومن البلاد العربية ما هو غنى بالأرض الزراعية الصالحة كسورية والعراق ، ولكن نقص اليد العاملة بسبب قلة السكان يجعل المحصول ضئيلاً ؛ وهكذا فإن فقدان التوازن السكاني في الزيادة أو النقص يؤول إلى النتائج ذاتها ، وليس دخل الفلاح العراقي والسوري بأكثر من دخل الفلاح المصري .

وإليك مثلاً آخر عميق النتائج في قوام الأمة العربية ، وهو يتعلق بفئات الأعمار . وذلك أن شعوب العالم العربي كلها تكثر من النسل حتى ليزيد فيها عدد الأطفال والمراهقين على عدد المكتهلين والشيوخ . ففي سورية تكون نسبة من هم دون سن العشرين ٥١٪ من مجموع السكان ، وتصل هذه النسبة في مصر إلى ٤٨٪ ؛ بينما لا تزيد نسبتهم عن ٣٤٪ في الولايات المتحدة الأمريكية و ٣٠٪ في فرنسا .

وينجم عن هذا التوزيع الغريب أن المواطنين القادرين على العمل هم قلة في العالم العربي ، وكذلك الذين يؤدون الضرائب للحكومات ؛ والموازانات المالية لهذه الحكومات تكون بالضرورة محدودة القيمة مع أن نفقاتها كبيرة ، لا سيما وأنها مضطرة لبذل التعليم المجاني للعدد الضخم من الأطفال .

٤ - علم السكان :

ولا يصح أن نمضي في البحث قبل أن نضع تحديداً مبدئياً للعلم الذي نتناوله . فنحن نغني بعلم السكان دراسة قضايا البشر من حيث توزيعهم وانتشارهم وأنماط معيشتهم ومواليدهم ووفياتهم وزواجهم وطلاقهم وغير ذلك من أحوالهم الاجتماعية .

ولئن كان مشمول هذا العلم واضحاً كل الوضوح فإن الأسماء التي أطلقت عليه تختلف كل الاختلاف ؛ فالجغرافيون يرون أن المباحث المتصلة بأحوال البشر إنما تؤلف جزءاً لا يتجزأ من علم الجغرافيا وهو الجغرافيا البشرية أو الإيكولوجيا الإنسانية .

والاجتماعيون يذهبون إلى أن هذه المباحث ترجع كلها إلى علم الاجتماع (السوسيولوجيا) ، وتكون ناحية منه هي الديموغرافيا أو المورفولوجيا الاجتماعية (علم التشكل الاجتماعي) .

ولا يعنينا أن نقاش الطرفين على الإسم والتبعية . والواقع أن لعلم السكان روابط وشيجة بالجغرافيا البشرية وبعلم الاجتماع ؛ لكن الجغرافيا البشرية تدرس الإنسان من حيث تأثره بالبيئة الطبيعية وأثره فيها ، وعلم الاجتماع إنما يهتم بنشأة الأوضاع الاجتماعية وتطورها خلال العصور ؛ بينما علم السكان لا يعنى كثيراً بآثر البيئة ولا يتقهقر بعيداً في الماضي التاريخي ، وإنما يكاد يحصر مداه في الواقع العددي وتأويله .

وهكذا يكون علم السكان علماً وسطاً بين الجغرافيا البشرية وعلم الاجتماع .

٥ - الإحصاءات :

وواضح أن الدراسات السكانية تعتمد الاعتماد كله على الإحصاء . وللاحصاء مرحلتان :

(أ) مرحلة التجميع .

(ب) مرحلة التعليل .

ففي المرحلة الأولى تعكف دوائر الدولة المختلفة على عمليات التسجيل والتعداد ، ثم تجمع النتائج وتصنفها وتنشرها . والمرحلة الثانية يتولاها العلماء الاختصاصيون ، الذين لهم من خبرتهم ومعرفة ما يهيمهم لتعليل الأرقام وتبيان نتائجها .

ويجب الاعتراف بأن الإحصاءات السكانية المتوافرة عن شعوب العالم لا تزال تقتصر إلى الكثير من الدقة والصحة . هذا بالإضافة إلى أن كثيرا من الدول ليس لها حتى اليوم دوائر إحصائية ، وأن شعوبها لا تتمتع بوجود ديموغرافي يساعد الحكومات على الحصر والتسجيل .

وقد عنت منظمة الأمم المتحدة بالأمر ، وأخذت تطلب إلى الدول جميعها موافاتها بما لديها من إحصاءات إقتصادية وإجتماعية . وهي تنشرها في كتب حولية أو نشرات دورية .

وحين تتعذر الإحصاءات العامة الموثوقة يعتمد الإحصائيون إلى إجراء ما يسمى بالسبر أو التحرسى المحدود « Sondage » وهي عملية إحصائية تقتصر على منطقة صغيرة أو ناحية معينة ، وتعمم النتائج الناجمة عن هذه الدراسة على القطر كاملاً ، وهي أشبه بالدراسات الموضوعية المتعلقة بقرية أو حي من مدينة ، التي يقوم بها الجغرافيون ويطلقون عليها اسم « مونوغرافيا » .

وبطبيعة الأمر لا يمكن للإحصاءات أن توفر لنا معرفة آنية عن الواقع الراهن ، لأن عمليات الجمع والنشر والتعليل تستغرق وقتاً طويلاً ؛ والنتائج التي نصل إليها تكون دوماً متأخرة عن تاريخ الظاهرة المدروسة .

الفصل الثاني

الاحصاءات العربية

١ - الوجدان الإحصائي :

لامندوحة لنا عن الاعتراف باديء ذي بدء بأن « الوجدان الإحصائي » لا يزال في طور النشوء في أكثر البلدان العربية ، سواء ذلك لدى الحكومات أو الأفراد . فقليلة هي الحكومات التي أدركت ما للاحصاءات من أثر في حياة الوطن والمواطنين ، وعنيت بتأسيس الدوائر الإحصائية على أسس علمية حديثة ، وجهدت في إقامة موازناتها وتشريعاتها على ضوء الحقائق العددية . وقليلون هم الأفراد الذين يسهلون عمل الحكومات في التصريح الصادق عن أحوالهم المعاشية وأوضاعهم الاجتماعية وسائر شؤونهم الذاتية . ولئن كانت الاحصاءات الاقتصادية قد توافرت إلى حد ما عند كثير من الدول العربية ، فالاحصاءات البشرية لا تزال تفتقر إلى المزيد من العناية في الكم وفي النوع .

ويمكننا تقسيم الدول العربية إلى ثلاث فئات من حيث توافر الاحصاءات الاجتماعية ومبلغ صحتها :

- ١ - دولة ذات إحصاءات موثوقة : وهي الجمهورية المصرية .
- ٢ - دول ذات إحصاءات منقوصة : وهي تضم المملكة العراقية والمملكة الأردنية والجمهورية السورية والجمهورية اللبنانية وتونس والجزائر ومراكش ، وبدرجة أقل : السودان المصري والمملكة الليبية .
- ٣ - دول معدومة الإحصاءات أو شبه معدومة : وهي تشمل البلاد العربية الأخرى .

۲ - اعضاء مصر :

ولقد كانت مصر أسبق الدول العربية جميعها في السعي إلى معرفة عدد مواطنيها ، فقامت لهذه الغاية بمحاولات عدة منذ مطلع القرن التاسع عشر ، وانتهت إلى إحصاءات تفصيلية هامة تقرب في الصحة والدقة من إحصاءات الدول المتقدمة في الحضارة ^(١) .

ففي عام ١٨٠٠ قدّر أحد العلماء الذين اشتركوا في حملة بونابرت على مصر — وهو جو مار — سكان القطر المصري بمليونين ونصف تقريباً^(٢) ، وذلك على أساس حساب الكثافة في بقعة محدودة — وهي مديرية المنيا — ثم ضرب ذلك بمساحة الريف المصري وإضافة سكان المدن والبدو الرحل .

وفي سنة ١٨٢١ أجرى محمد علي باشا تقديراً للسكان بالاستناد إلى كشف المكلفين بالضرائب ، ووصل إلى الرقم ٤٠٠ ٥٣٦ ٢ : وفي عام ١٨٤٦ أجرى تقديراً آخر مستنداً هذه المرة إلى تعداد المساكن ، وكان العدد المقدّر : ٤٤٠ ٤٧٦ ٤ : وهو دون ريب أدنى إلى الصحة من التقدير الأول . وأول تعداد للسكان تمّ في مصر عام ١٨٧٣ ، وكانت نتيجته : ٢٥٠ ٠٠٠ ٥ والتعداد الثاني جرى عام ١٨٨٢ ، وطبقت فيه طرق التعداد المتبعة لدى الأمم الراقية ، ولكنه أنجز في ظروف غير مؤاتية بسبب الفوضى والاضطرابات السياسية ، ولذلك لا يمكن الوثوق بصحته ، وقد دل على أن سكان القطر المصري كانوا : ٢١ ٨٠٤ ٦ (٣) .

وفي تعداد عام ١٨٩٧ بلغ عدد المصريين ٩٧١٤٥٢٥ ، بسبب
تكاثر السكان الطبيعي من جهة وإحكام التعداد من جهة أخرى .

(١) أنظر مشكلة السكان في مصر ، للدكتور صلاح الدين نامق ، ص ١١ - ١٧

(٢) في مقدمة (الإحصاء السنوى العام) لجمهورية مصر، طبع ١٩٥٣، جاء هذا الرقم:

٢٠٠٠ ر.٢٤٦ ، بينما أدرجه الدكتور نامق : ٢٠٠٠ ر.٥١٠

(٣) كما جاء في مقدمة (الإحصاء السنوى العام) ؛ والأرقام الواردة فيه لهذه السنة والسنوات التالية تختلف عما أدرجه الدكتور نامق في كتابه المذكور سابقاً بسبب إغفال عدد البدو الرحل .

ومنذ عام ١٩٠٧ أخذت الحكومة المصرية بإجراء تعداد للسكان كل عشر سنوات، فكانت النتائج كما يلي :

السنة	العدد
١٩٠٧	: ١١,٢٨٧,٣٥٩
١٩١٧	: ١٢,٧٥٠,٩١٨
١٩٢٧	: ١٤,٢١٧,٨٦٤
١٩٣٧	: ١٥,٩٣٢,٦٩٤
١٩٤٧	: ١٩,٠٢٠,٨٤٠

وجرى التعداد الأخير في ليلة ٢٦/٢٧ مارس عام ١٩٤٧ وُبنى على أساس الحالة الراهنة لا الحالة الثابتة ؛ أى أنه اعتبر من سكان الوحدة كل شخص وجد فيها ليلة التعداد سواء كان وجده فيها بصورة دائمة أم لحالة عارضة ، عدا المسافرين والصيادين والبدو الرحل ، الذين سجلوا في المكان الذي وصلوا إليه في صباح اليوم التالي لليلة التعداد ، ومن الطبيعي أن يؤثر ذلك في حساب نسب الزايد والمواليد والوفيات إلخ . . لكن هذا التأثير يظل ضئيل الشأن .

ويشك كثير من في نتائج التعداد الأخير المذكور ، ويعتقدون أنه لا يخلو من مبالغة ، لأنه تمّ عند عمل بطاقات التكوين . على أنه يظل خير تعداد أجرى حتى اليوم في البلاد العربية كافة .

وتصدر مصلحة الإحصاء والتعداد في جمهورية مصر ٢٤ نشرة إحصائية دورية ، سبع منها ذات صبغة سكانية وهي :

(١) الإحصاء السنوى العام ، وقد صدرت منه عام ١٩٥٣ السنتان الثانية والأربعون والثالثة والأربعون (١٩٤٩ - ١٩٥٠ ، ١٩٥٠ - ١٩٥١) .

(ب) الإحصاء السنوى للجيب (١٩٥١) .

(ج) نشرة أسبوعية عن المواليد والوفيات والأمراض المعدية .

(د) نشرة ربع سنوية عن المواليد والوفيات والأمراض المعدية وحالات الزواج والطلاق .

(هـ) نشرة لكل ثلاث سنوات عن مواليد ووفيات نواحي الجمهورية المصرية .

(و) نشرة سنوية عن الإحصاءات الصحية .

(ز) تعداد سكان الجمهورية المصرية (كل عشر سنوات) وقد طبع الأخير على أجزاء عام ١٩٥٤ .

٣ - إحصاءات العراق :

لم تقم الحكومة العراقية بتعداد شامل للسكان إلا عام ١٩٤٧ ؛ وجميع الإحصاءات السابقة تستند إلى سجلات الأحوال المدنية (دوائر النفوس) وهي ناقصة لا يصح الاعتماد عليها . والسبب في فقدان الإحصاءات السليمة تعود السكان - ولا سيما في الأرياف - أن يرتابوا في نوايا الحكومة عندما تقوم بعمل إحصائي ؛ وهم يخشون زيادة الضرائب ويهربون من الجندية . يضاف إلى ذلك صعوبة حصر البدو والفلاحين المتقلين . ويزيد الأستاذ هاشم جواد على ذلك : تنقل بعض الريفيين بسهولة لبساطة المساكن وحالتها الابتدائية (الصرايف والأكوخ) وانعدام الملكية الفردية والفقر والجهل^(١) .

وقد قامت السلطات العسكرية البريطانية بأول تقدير لسكان العراق عام ١٩١٩ فبلغوا : ٢,٨٤٩,٢٨٢ ؛ وفي أوائل ١٩٣٤ أجرى تعداد تمهيدى دلّ على أن السكان الثابتين في العراق يبلغون ٢,٩٣٠,٣٨٤ نسمة ، ولم يشمل هذا الإحصاء العشائر الرحالة والفلاحين المتقلين^(٢) . وفي عام ١٩٤٢ أصبح عدد نفوس العراق المسجلين : ٤,١٤٦,٠٠٠ .

(١) مقدمته في كيان العراق الاجتماعي ، بغداد ١٩٤٦ ، ص ٩ - ١٢ .

(٢) راجع : العراق الحديث . تأليف الدكتور متى عراوى وترجمة مجيد خدوري ، بغداد ١٩٣٦ ، ص ١٠ .

والتعداد العام الذي قامت به مديرية النفوس العامة في ١٩ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٤٧ دل على أن المملكة العراقية تضم ٨١٦٨٥٠٠٠ مواطناً ، بينهم ٢٥٠٠٠٠ من البدو الرحل .

ورغم أن هذا التعداد قد روعي فيه الحصر والإحكام فهو لا يخلو من نقائص ؛ وقد أشارت إلى ذلك « بعثة البنك الدولي للإنماء والإعمار » ، التي استقدمتها الحكومة العراقية عام ١٩٥٢ ؛ وألحت في تقريرها على ضرورة المزيد من العناية بالاحصاءات ، ولا سيما السكانية منها ؛ وذكرت أن التفاوت الكبير الملحوظ في إحصاءات العراق بين عدد الذكور وعدد الإناث يرجع إلى الاتجاه الشديد في كثير من أنحاء العراق إلى تسجيل الأطفال الذكور على أنهم إناث (١) .

وتنشر الدائرة الرئيسية للاحصاء في وزارة الاقتصاد العراقية مجموعة إحصائية سنوية عامة ، وقد طبع آخر عدد منها عام ١٩٥٤ يتعلق بسنة ١٩٥٣ ولكن الإحصاءات السكانية الواردة فيه تعود كلها إلى تعداد ١٩٤٧ . وقد نشرت مديرية النفوس العامة النتائج التفصيلية لهذا التعداد عام ١٩٥٤ في ثلاثة أجزاء ضخمة . وتصدر الدائرة الرئيسية للاحصاء أيضاً نشرة الإحصاءات الشهرية ولكنها اقتصادية بحتة .

ونلجس التفاوت في الإحصاءات العراقية حتى في مساحة الدولة ذاتها ، فأكثر المؤلفين العراقيين يذكرون أن مساحة العراق هي ٤٥٣٥٠٠ كم^٢ ، ونجد في المجموعة الإحصائية السنوية العامة أن هذه المساحة هي ٤٤٤٤٤٢ كم^٢ ، بينما تسجل إحصائيات منظمة الأمم المتحدة أن المساحة تبلغ ٤٣٥٤١٥ كم^٢ ، وهو الرقم الذي تعتبره مديرية المساحة في العراق (٢) .

(١) تقدم العراق الإقتصادي — تقرير البعثة التي نظمها البنك الدولي للإنماء والإعمار ، الطبعة العربية للقسم الأول منه ، ص ١١٨ .

(٢) وزارة الأشغال والمواصلات ، مديرية المساحة العامة ، نشرة فنية رقم ١ لسنة ١٩٤٩ : « مساحة العراق حسب التقسيم الإداري »

٤ - الإحصائيات في سورية ولبنان

وليس الإحصائيات اللبنانية والسورية أوفر صحة وأوسع شمولاً ، ولا سيما وأن هذين القطرين قد تلقيا عدداً كبيراً من المهاجرين ، ولا يزال مهاجر منهما عدد كبير من المواطنين . ولا سيّيل إلى إحكام حصر النفوس مع تدفق سيل الهجرة .

وكانت المعلومات الإحصائية عن هذين البلدين تنشر في التقرير الرسمي الذي كانت تقدمه كل سنة سلطات الانتداب الأفرنسية إلى عصبة الأمم ؛ وقد استمرّ نشر هذه التقارير حتى عام ١٩٣٩ .

وبين ١٩٤٣ و ١٩٤٩ تولّت « دائرة الدراسات الاقتصادية والإحصاءات » التابعة للمجلس الأعلى للصالح المشتركة نشر « مجموعة إحصاءات سنوية عن سورية ولبنان » ؛ وقد صدرت في ثلاثة أجزاء . وفي الوقت ذاته كانت الدائرة المذكورة تنشر « معلومات إحصائية لسورية ولبنان » ، وهي نشرة ربع سنوية تسجل المواليد والوفيات وحالات الزواج والطلاق الخ... ومنذ ١٩٤٦ أخذت مصلحة الإحصاء العام في وزارة الاقتصاد الوطني للجمهورية اللبنانية تنشر « المجموعة الإحصائية العامة » ، وهي تتضمن معلومات عديدة عن نواحي النشاط الاجتماعي والاقتصادي للبلاد . وقد صدر منها جزء عام ١٩٤٦ وآخر عام ١٩٤٩ ؛ وهذا الأخير يتعلق بسنّي ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ . وفيما عدا ذلك تنشر المصلحة المذكورة نشرة إحصائية ربع سنوية تشمل على بعض الأرقام المتعلقة بالمواليد والوفيات والزواج والطلاق والمهاجرة ، إلى جانب الأرقام الاقتصادية .

والإحصاءات اللبنانية المتعلقة بالسكان مستقاة من سجلات دوائر النفوس ؛ وتعترف هذه الدوائر بأن تصريحات الولادات والوفيات والزيجات والطلاق لا تمثّل الواقع ^(١) .

وبما يزيد في صعوبة الإحصاء السكاني في لبنان وجود جالية كبيرة من المواطنين في المهجر ، وبعضهم قد اكتسب جنسية الوطن المهاجر اليه ،

(١) انظر النشرة الإحصائية للربع الثالث من عام ١٩٥٤ ، ص ٢٨ .

وبعضهم لا يزال يحتفظ بجنسيته الأولى؛ وسجلات النفوس اللبنانية لا تستطيع دائماً التفريق بين الحالتين.

وقد أجرت السلطات الفرنسية أول تعداد في لبنان عام ١٩٢١، واتضح منه أن السكان لم يكونوا يزيدون عن ٥٥٨,٩٢٣. والتعداد الثاني تم عام ١٩٣٢، وكانت نتيجته: ٧٩٣,٣٩٦ نسمة. وهذه الزيادة بين التعدادين تعود خاصة إلى المهاجرين الأرمن والسريان والكلدان الذين أموا لبنان واتخذوه وطناً. على أن نتائج التعدادين ليست صحيحة كل الصحة؛ وظلت أرقام تعداد ١٩٣٢ تنسحق عاماً بعد عام. وفي ديسمبر (كانون الأول) من سنة ١٩٤٢ قام مكتب الارتباط والإحصاء لمصلحة الجيوب، بتعداد سكان لبنان لتوزيع بطاقات الإعاشة عليهم، ونقحت نتائج هذا التعداد سنة ١٩٤٤، فدلت على أن سكان لبنان بلغوا ذلك العام ١,٠٦٤,١٨٦ (بينهم ٣٩٦,٨١ من الأجانب العرب وغير العرب)؛ بينما دلت سجلات النفوس على أن السكان في العام ذاته — ١٩٤٤ — كانوا ١,١٣٦,٦٠١. وهذا الفرق بين الإحصائيين يرجع إلى أن مصلحة الجيوب لم تأخذ بعين الاعتبار إلا السكان الحاضرين فعلاً في لبنان. وبعد ١٩٤٤ ازداد السكان في لبنان كما يلي^(١):

السنة	العدد	نسبة الزيادة لكل ١٠٠٠ ساكن
١٩٤٥	١,١٤٦,٧٩٣	١٧ و ٩
١٩٤٦	١,١٦٥,٢٠٨	١٩ و ٩
١٩٤٧	١,١٨٦,١٤٥	١٨
١٩٤٨	٢,٢٢٩,٥٤٥	٣٦ و ٥
١٩٤٩	١,٢٣٨,٠٠٠	٧ و ٨
١٩٥٠	١,٢٥٧,٠٠٠	١٥ و ٣
١٩٥١	١,٢٨٥,٠٠٠	٢٢ و ٣
١٩٥٢	١,٣٢٠,٠٠٠	٢٧ و ٢

(١) الإحصاءات المدرجة مأخوذة عن المجموعات الإحصائية اللبنانية حتى ١٩٤٩؛ والتي تليها عن الحولية الديموغرافية للأمم المتحدة عام ١٩٥٣.

واضطراب النسبة في التزايد السنوي دليل قاطع على أن الإحصاءات لا تزال بحاجة إلى التدقيق .

أما في الجمهورية السورية فلا يزال عدد كبير من المواطنين مكتوماً عن سجلات الأحوال المدنية ؛ كما أن البدو الرحل ونصف الرحل غير مسجلين . ويظن تقديراً أن عدد أفراد العشائر هو ٣٢٠.٠٠٠ (١) عام ١٩٥٢ ؛ وهم على كل حال لا يدخلون في الإحصاءات السكانية التي تنشرها الحكومة السورية . وسوف نرى أن إحصاءات المواليد والوفيات والزيجات والطلاقات بعيدة كل البعد عن أن تصوّر الواقع الراهن . ولا يزال الأهلون — في الريف خاصة — مستمرين على ما ألفوه في العهد العثماني ؛ فهم ينظرون إلى كل تسجيل حكومي نظرة ارتياب ، ويرون فيه دعوة إلى الجندية أو فرضاً لضريبة جديدة ، بالإضافة إلى ما هم عليه من فاقة وجهل . ولا مندوحة عن الاعتراف بأن كثيراً من المسكفين بشؤون الأحوال المدنية في النواحي الريفية النائية لا يركن إلى ثقافتهم وحسن قيامهم بواجبهم .

وأول محاولة لتعداد النفوس في سورية جرت عام ١٩٢١ — ١٩٢٢ . وبلغ عدد الذين أحصوا ضمن الحدود الحالية للجمهورية السورية ١,٢٩٨,٣١٩ . وقد نقح هذا التعداد في السنوات التي تلت ، ونشرت نتائجه النهائية عام ١٩٢٧ ، وبلغ سكان سورية إذ ذاك : ١,٣٢٤,٠٢٦ .

وخلال الحرب العالمية الأخيرة قامت دوائر الاعاشة والتموين بمحاولات لحصر السكان أفضت بطبيعة الأمر إلى زيادة وهمية ملحوظة في عدد المواطنين . وفي مارس (آذار) عام ١٩٤٧ أجرت الحكومة السورية تعداداً عاماً للسكان بمناسبة الانتخابات التشريعية ؛ ولكن نتائج التعداد بدت غير مرضية للمسؤولين ، فاعلنوا إلغاء التعداد وطى نتائجه . وهكذا لا تزال البلاد السورية تعتمد في

(١) وضعت المفوضية الفرنسية بسورية ولبنان عام ١٩٤٣ كتاباً عن البدو بعنوان « القبائل الرحل في الدولة السورية » قدرت فيه عدد البدو الرحل بنحو ١٥٨١٨٥ ؛ أما العشائر نصف الحضريّة فعددها المقدّر هو ١٣٥٠.٠٠٠ ؛ وإذا طبقنا على هذين الرقمين نسب التزايد المألوفة ، كان العدد الإجمالي للبدو عام ١٩٥٢ نحو ٣٢٠.٠٠٠ . وصدر في مايو ١٩٥٣ قانون بتنظيم العشائر السورية على أسس جديد معتبراً العشائر نصف الرحل داخلة في السكان الحضريين .

في معرفة عدد المواطنين على سجلات الأحوال المدنية ، وهي غير موثوقة تماماً .
ومن الأمثلة على اضطراب سجلات النفوس السورية نقص السكان
الظاهرى عام ١٩٤٢ في محافظتي حوران ودير الزور . ولم يكن لهذا النقص من
سبب سوى فقدان السجلات الرسمية في هاتين المحافظتين خلال المعارك التي
دارت بين جنود فرنسا الحرة وجنود حكومة فيشي ؛ وقد نشرت الدوائر
الإحصائية عدد النفوس ذلك العام ولم تشر إلى السبب في النقص الطارئ .
ويلاحظ أيضاً أن الحكومة السورية تصدر في بعض السنوات عفواً
عاماً عن المكتومين ، فترفع عنهم الغرامة والعقوبة ونفقات التسجيل المجدد ؛
فيهرعون إلى دوائر التسجيل ، ويزيد عدد السكان في تلك الأعوام ازدياداً
وهمياً ضخماً . كما أن المهاجرين من تركيا وسنجد اسكندرون والبدو الذين
يتحضرون نهائياً ويتسجلون في دوائر الأحوال المدنية ، كل ذلك يسبب
إضطراباً كبيراً في نسب التزايد السنوي للسكان ، كما هو ظاهر في الجدول التالي :

السنة	عدد السكان	نسبة الزيادة لكل ١٠٠٠ من السكان
١٩٣٧	٢,٢٦٧,٧٣٤	١٢٠.٥٩
١٩٣٨	٢,٤٨٧,٠٢٧	٥٠.٣
١٩٣٩	٢,٥٤٥,٢٠٩	٢٣.٥٣
١٩٤٠	٢,٦٤٩,٠٥٨	٤٨
١٩٤١	٢,٦٩٦,٧٢٠	١٤.٩١
١٩٤٢	٢,٧٩٢,٣٨٨	٣٥.٥٥
١٩٤٣	٢,٨٦٠,٤١١	٢٤
١٩٤٤	٢,٩٠١,٣١٦	١٤.٥٣
١٩٤٥	٢,٩٤٩,٨١٥	١٦.٩٦
١٩٤٦	٣,٠٠٦,٠٢٨	١٩
١٩٤٧	٣,٠٤٣,٣١٠	١٢.٥٣
١٩٤٨	٣,٠٩٢,٧٠٣	١٦.٥٢

السنة	عدد السكان	نسبة الزيادة لكل ١٠٠٠ من السكان
١٩٤٩	٣,١٧٧,٧٥١	٢٠ و ٧
١٩٥٠	٣,٢٥٢,٦٨٧	٢٣ و ٦
١٩٥١	٣,٣٢٩,٢٣٥	٢٣ و ٥
١٩٥٢	٣,٤٣٣,٦٢٦	٣١ و ٣

ولا نجد توافقاً ما بين هذه الزيادات وبين الزيادات الناتجة عن فضل المواليد على الوفيات .

أما الوثائق الإحصائية في سورية فهي (المجموعة الإحصائية السورية) التي تنشرها منذ عام ١٩٤٧ مديرية الإحصاء في وزارة الاقتصاد الوطني ، وقد صدر منها حتى الآن ست سنوات ؛ يضاف إلى ذلك النشرة الإحصائية الشهرية ، وفيها الأرقام المستجدة عن عدد السكان وحالات الزواج والطلاق والولادات والوفيات .

٥ - إحصاءات المملكة الأردنية :

كانت وزارة المستعمرات البريطانية تقدم كل عام تقريراً مطبوعاً لمجلس عصبة الأمم تضمنه معلومات إحصائية عن شرق الأردن وفلسطين (١٩٣١ - ١٩٣٨) . ومنذ سنة ١٩٥٠ أخذت دائرة الإحصاءات العامة في وزارة الاقتصاد الأردنية تصدر نشرة إحصائية سنوية ، اجتماعية واقتصادية .

وقد أجرى تعداد عام لسكان المملكة الأردنية في أغسطس (آب) ١٩٥٢ على أساس المساكن ، ونشرت نتائجه في العدد الثالث من النشرة الإحصائية السنوية . وقد بلغ عدد سكان الضفتين الشرقية والغربية : ١,٣٣٠,٠٢١ . ويبدو أن التعداد كان يستدعي بعض التنقيح ؛ وقد ذكرت النشرة أن نتائجه قابلة للزيادة والنقصان ؛ وتمّ هذا التنقيح في السنة التالية ، إذ جاء في النشرة الإحصائية لعام ١٩٥٣ أن سكان المملكة لم يزيدوا في تعداد ١٩٥٢ عن ١,٣٢٩,١٧٤ .

٦ - إحصاءات المغرب العربي :

لقد عنت السلطات الفرنسية بحصر السكان في المغرب العربي وتسجيلهم ونشر الوثائق الإحصائية عنهم ؛ ولكن عدد المسلمين المسجلين ظلّ أقلّ من الواقع لعدم انتظام تقييدهم في دوائر النفوس ، ولا سيّما الإناث ، ولوجود جمهرة كبيرة منهم مغتربة في فرنسا ، ولشموهم عدداً غير يسير من البدو المتنقلين^(١) ؛ يضاف إلى ذلك كله حالة الجهاد المستمر ضدّ المستعمر ، مما يحول دون إجراء التعداد في بعض المناطق .
ولكل من بلاد المغرب العربي المحتلة من فرنسا دائرة خاصة بالإحصاء تصدر منشورات دورية .

ففي الجزائر تدعى « مصلحة الإحصاء العام Service de Statistique Générale » وهي تنشر نتائج التعدادات التي تجرى كلّ خمس سنوات ؛ وآخر ما أصدرت مجموعتان عن نتائج تعداد ١٩٤٨ (صدرت الأولى عام ١٩٥٠ والثانية عام ١٩٥٢ ، وهذه الأخيرة تتعلق بالسكان من غير المسلمين) .
وللدائرة ذاتها منشورات سكانية دورية أهمها :

الحولية الإحصائية للجزائر : *Annuaire statistique de l'Algérie* (١٩٢٦ - ١٩٤٧) .

نشرة الإحصاء العام : *Bulletin de statistique générale* (١٩٤٩)
وهي ربع سنوية مع ملحق شهري .

ولمراكش أيضاً « مصلحة مركزية للإحصاء » (*Service Central de Statistique*) . وقد نشرت عام ١٩٤٩ أربع كراسات عن نتائج التعداد العام الذي جرى سنة ١٩٤٧ . ونشرت عام ١٩٥٣ نتائج تعداد ١٩٥١ - ١٩٥٢ وذلك في « النشرة الاقتصادية المراكشية » (*La conjoncture économique marocaine*) التي تصدر في مدينة الرباط .

(1) Louis Chevalier : Le problème démographique nord-africain
Paris, 1947, p. 19—21.

وتصدر الدائرة ذاتها حولية إحصائية ، كما تصدر مديرية الصحة العامة والأسرة ، إحصاءات طبية سنوية .

وفي تونس ، تشرف على الإحصاءات «المصلحة التونسية للإحصاءات» (Service Tunisien des statistiques) وتصدر حولية إحصائية ، ظهر العدد الأخير منها عام ١٩٤٧ ؛ ولها أيضاً نشرة ربع سنوية غير منتظمة ؛ وقد نشرت في الربع الثاني من عام ١٩٤٧ نتائج التعداد الأخير للسكان الذي جرى سنة ١٩٤٦ .

والنتائج الإحصائية التي تجمعها الدوائر المختصة المذكورة تجمع وتدرس وتعلل من قبل الباحثين ، وتُنشر في المؤلفات العديدة التي تصدر عن المغرب ، ونخص بالذكر منها :

(١) دائرة المعارف الاستعمارية والبحرية (L'encyclopédie coloniale et maritime) وقد نشرت عام ١٩٤٨ أربعة مجلدات ضخمة عن تونس ومراكش والجزائر والصحراء .

(ب) دائرة المعارف الشهرية لبلدان ما وراء البحر (L'encyclopédie mensuelle d'Outre-Mer) ، وقد جمعت منشوراتها في مجلدات ثلاثة للسنوات ١٩٥١ ، ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ . وأصدرت عام ١٩٥٣ عدداً خاصاً بتونس ، وعام ١٩٥٤ عددين خاصين بالجزائر ومراكش . ويتضح من المصادر والوثائق التي أشرنا إليها أن عدد المغاربة يزداد ازدياداً ضخماً كل عام .

وكان عدد السكان في تونس حتى عام ١٩٢١ يقدر وفقاً للوائح المكلفين بالضرائب ؛ وتم فيها أول تعداد في مارس (آذار) ١٩٢١ ؛ وهو يجري منذ ذلك التاريخ كل خمس سنوات تقريباً .

وعدد التونسيين المقدّر لعام ١٨٨١ هو : ١,٥٢٠,٠٠٠ ؛ وبعد تطبيق نظام التعداد تطور عدد السكان في تونس كما يلي :

تاريخ التعداد	عدد السكان	نسبة الزيادة السنوية بالآلاف
٦ مارس ١٩٢١	٢,٠٩٣,٩٣٩	—
٢ أبريل ١٩٢٦	٢,١٥٩,٧٠٨	٦٥٢
٢٢ مارس ١٩٣١	٢,٤١٠,٦٩٢	٢٢٥٢
١٢ مارس ١٩٣٦	٢,٦٠٨,٣١٣	١٥٥٩
١ سبتمبر ١٩٤٦	٣,٢٣٠,٩٥٢	٢١٥٦

وحسب إحصاء ١٩٥٠ أصبح في تونس ٣,٥٠٠,٠٠٠ ساكن ، وزادوا عام ١٩٥٢ إلى ٣,٦٠٠,٠٠٠ ، بينهم نحو من ٢٥٠,٠٠٠ أوروبي .

ويستدل الاخصائيون على نقائص تسجيل النفوس في تونس بارتفاع نسبة الذكورة (أي عدد الولادات من الذكور بالنسبة إلى ألف ولادة من الإناث) ؛ فهذه النسبة تبلغ ١٣٠٠ بينما النسبة الوسطى في العالم هي ١٠٥٥ (١) . وفي بلاد الجزائر أنشئت دائرة النفوس عام ١٨٨٢ وتعمّم التسجيل تدريجياً في جميع المناطق ، وأصبحت الإحصاءات السكانية للجزائر أكثر صحة من إحصاءات تونس ومراكش .

ولم يكن تزايد السكان هنا ناشئاً عن فضل المواليد على الوفيات فحسب ، بل عن الهجرة الأوربية أيضاً ؛ فالسكان غير المسلمين كانوا ١٥٠,٠٠٠ عام ١٨٣٦ فأصبحوا ١,٠١٩,٠٠٠ عام ١٩٥٣ وقد قدر عدد الجزائريين المسلمين بمليونين عام ١٨٣٠ فأصبحوا ٨,٣٣٢,٠٠٠ عام ١٩٥٣ .

وأصيب أهل البلاد الأصيلون بخسائر فادحة في الأرواح من جراء محاربتهم المستعمرين وتفشتى الأوبئة والمجاعات ، بين ١٨٦٧ و ١٨٧٢ ، حتى قدرت الوفيات خلال تلك المدة بنصف مليون نسمة ؛ يضاف إلى ذلك ما خسره الجزائريون في الحربين الأخيرتين وهم مجتهدون في صفوف الفرنسيين والتقديرات لسكان الجزائر كانت كما يلي قبل تطبيق نظام التعداد عام ١٩٠٦ :

(١) دائرة المعارف الشهرية لبلاد ما وراء البحر ، تونس ٥٣ ، العدد الخامس ، ص ٢٧

السنة	العدد	النسبة السنوية للزيادة بالآلاف
١٨٨٦	٣,٨١٧,٣٠٦	—
١٨٩١	٤,١٢٤,٧٣٢	١٥٩٦
١٨٩٦	٤,٤٢٩,٤٢١	١٤٥٤
١٩٠١	٤,٧٣٩,٣٣١	١٣٥٦

وتطور السكان بعد ذلك وفقاً للنسب الآتية :

تاريخ التعداد	العدد	النسبة السنوية للتزايد بالآلاف
٤ مارس ١٩٠٦	٥,٢٣١,٨٥٠	٢٠
٥ مارس ١٩١١	٥,٥٦٣,٨٢٨	١٢٥٤
٦ مارس ١٩٢١	٥,٨٠٤,٢٧٥	٠٤٥٢
٧ مارس ١٩٢٦	٦,٠٦٦,٣٨٠	٠٨٥٩
٨ مارس ١٩٣١	٦,٥٥٣,٤٥١	١٥٥٦
٨ مارس ١٩٣٦	٧,٢٣٤,٦٨٤	٢٠
٣١ أكتوبر ١٩٤٨	٨,٦٨١,٧٨٥	١٤٥٥

ويلاحظ في الجزائر وفي سائر بلاد المغرب ضعف التزايد أثناء الحرب العالمية الأولى . وقد بلغ عدد سكان الجزائر ٨,٩٢٧,٠٠٠ عام ١٩٥١ و ٩,١٤٠,٠٠٠ عام ١٩٥٢ و ٩,٢٥١,٠٠٠ في الأشهر الأولى من عام ١٩٥٣ .

أما في مرا كش فاضطراب الاحصاءات البشرية ينجم بصورة خاصة عن وجود مناطق عديدة تائثرة على الاستعمار الفرنسي . فتعداد عام ١٩٢١ لم يتناول سوى المنطقة الخاضعة ؛ وفي تعدادي ١٩٢٦، ١٩٣١ أضيف إلى تعداد المنطقة الخاضعة رقم تقديري لسكان المناطق المجاهدة . وتعداد ١٩٣٦ شمل وحده سكان البلاد جميعهم ، وكذلك تعدادا ١٩٤٧ و ١٩٥١ - ٥٢ ومع ذلك فالنتائج لا تزال غير موثوقة تماماً ، لأن الجهاد ضد المستعمر لم ينقطع قط .

واليك أرقام التعدادات العامة مقسمة حسب نوع السكان :

التاريخ	مجموع السكان	المسلمون	الأوروبيون	اليهود
١٩٢١	٣,٥٣٣,٧٨٦	٣,٣١٨,٨٠٦	٨٠,٦٦٥	٨١,٣١٥
١٩٢٦	٤,٨٩٤,١٤٦	٤,٦٨٢,٠٨٢	١٠٤,٧١٢	١٠٧,٣٥٢
١٩٣١	٥,٣٦٤,٨٠٩	٥,٠٧٤,٧٢٣	١٧٢,٤٨١	١١٧,٦٠٥
١٩٣٦	٦,٢٩٥,٢٢٢	٥,٨٨٠,٦٨٦	٢٠٢,٥٩٤	١٦١,٩٤٢
١٩٤٧	٨,٦١٧,٣٨٧	٨,٠٨٨,٥٥١	٣٢٤,٩٩٧	٢٠٤,٠٠٠

وفي عام ١٩٥١ جرى تعداد عام للأوروبيين واليهود ، فكان عدد الأول : ٣٦٢,٨١٤ وعدد الآخرين : ١٩٩,١٥٦ (بسبب الهجرة إلى فلسطين) .
وجرى تعداد المسلمين في ابريل ١٩٥٢ فلم يخص منهم سوى ٧,٤٤٢,٠١٥ مع أنهم كانوا في التعداد السابق يزيدون عن ثمانية ملايين . وهكذا نجد أن الحولية الديموغرافية للأمم المتحدة لعام ١٩٥٢ تسجل عدد المسلمين ٨,٤١٠,٠٠٠ سنة ١٩٥٠ ، والحولية ذاتها لعام ١٩٥٣ تجعل سكان مراکش جميعهم ٨,١٨٥,٠٠٠ نسمة !!

ومما لاشك فيه أن هذا التفاوت الكبير ناشئ عن عدم صحة التعداد الأخير بسبب الاضطرابات السياسية . وسكان مراکش يبلغون اليوم تسعة ملايين على أقل تقدير ، وبعض الباحثين يقدرهم بأثنى عشر مليوناً^(١) .

٧- المصحات العربية الأخرى :

لدينا إحصاءات غير قليلة عن منطقة الحماية الأسبانية في مراکش وعن المستعمرات الأسبانية فيها (سبتة ومليلية) ، تنشرها دورياً السلطات الأسبانية . وقد بدأت هذه السلطات بإجراء تعدادات كل خمس سنوات بدءاً من ١٩٣٠ وكان آخرها عام ١٩٥٠ .

(١) أظن كتاب : هذه مراکش ؛ تأليف عبد الحميد بن جلون . القاهرة ١٩٤٩ ، ص ١١ .

وبدل التعداد الأخير أن منطقة الحماية الأسبانية في مراكش تضم ١١٧,٠١٠ ساكناً منهم ٧٨٧٢ يهودياً و ٨٤,٧١٦ أسبانياً و ٤٤٣ أجنبياً . وأما المستعمرات الأسبانية ، فتدل نتائج تعداد ١٩٥٠ أن مليلية كانت تضم ٨٢,٦٤٨ نسمة ؛ كما أن سكان سبتة بلغوا في تعداد ١٩٥١ : ٦٠ ألف نسمة ؛ والكثرة الساحقة من سكان المدينتين من أصل إسباني .

أما طنجة فقد دلّ تعداد ١٩٤١ أنها كانت تضم ١٠٠ ألف ساكن ، منهم ١٦,٥٠٠ أوروبي و ٧٠٠٠ يهودي . وقدّر سكان طنجة بمائة وسبعين ألفاً عام ١٩٥٢ . وتُنشر مديرية المالية في منطقة طنجة إحصاءات إقتصادية واجتماعية بصورة دورية .

وفي ليبيا كان معهد الإحصاء المركزي في إيطاليا قد نشر نتائج تعداد ١٩٣٦ . وحتى ١٩٥١ كانت الإدارة الفرنسية في فزان والإدارة البريطانية في المناطق الأخرى تقدم تقريراً عن أحوال البلاد للجنة الوصاية في منظمة الأمم المتحدة ، يتضمن بعض معلومات إحصائية . والتعداد الأول في ليبيا جرى في أبريل (نيسان) ١٩٣١ ودلّ على أن مجموع السكان هو ١٢٣,٧٠٤ والتعداد الثاني في إبريل ١٩٣٦ أظهر تزايداً كبيراً في السكان إذ بلغوا ٨٤٨,٦١٠ وهم يقدرّون عام ١٩٥٣ بمليون وثلاثمائة ألف نسمة .

ولم يجرّ تعداد ما للسكان في بلاد السودان المصري ويقدرّون عام ١٩٥٢ بنحو ٨,٧٦٦,٠٠٠ ومعلوماتنا الإحصائية عن هذه البلاد مستمدة من نشرات إدارة الاقتصاد والعمل وتقارير الحاكم العام السنوية . وتُنشر وزارة الزراعة السودانية تقريراً إحصائياً سنوياً ، صدر الأخير منه في يونيو ١٩٥٤ وهو يتعلق بعام ١٩٥٢-١٩٥٣ (١) .

ولا نجد في البلاد العربية الأخرى إحصاءات كافية أو شبه كافية للتعرف على أحوالها الاجتماعية والاقتصادية ؛ على أن هذه البلاد تقدم معلومات

(1) Ministry of Agriculture-Sudan government. Annual report : July 1952 — June 1953,

إحصائية تنشرها منظمة الأمم المتحدة في نشراتها السنوية والشهرية^(١).
وهناك مؤسسات تنشر إحصائيات اقتصادية واجتماعية تجمعها بطرقها
الخاصة^(٢).

يبدو أن بعض هذه البلاد قد قامت بمحاولات لتعداد مواطنيها، كما جرى
في البحرين في مارس ١٩٥٠، حيث ظهر أن عدد السكان هو ١٠٩,٦٥٠؛
وكذلك في مستعمرة عدن التي تم تعداد سكانها في أكتوبر ١٩٤٦،
وظهر بنتيجته أن المدينة تشمل قرابة ٨١,٠٠٠ نسمة.

(١) ١ — الحولية الإحصائية (Statistical year-book) العدد الأخير عام ١٩٥٣
ب — الحولية الديموغرافية (Demographic year-book) العدد الأخير عام ١٩٥٣
ج — النشرة الإحصائية الشهرية (Monthly bulletin statistics)
بالإضافة إلى نشرات منظمة الزراعة والتغذية العالمية F.A.O.
(٢) مثل الشرق الأوسط ١٩٥٥ (The Middle East 1955)
Europe Publications Limited—London

الفصل الثالث

العرب في المجموعة البشرية

١ - البشر على الأرض :

يتجاوز عدد سكان العالم اليوم مليارين ونصف . وكان توزيعهم على القارات عام ١٩٥٢ - حسب أقصى التقديرات الدولية - كما يلي (١) :

آسية (دون الاتحاد السوفيتي) :	١٣٦١ مليون
أوروبا () :	٤٠١ (+ الاتحاد السوفيتي : ٢١٦ مليون عام ١٩٥٤)
أمريكا :	٣٤٨
أفريقية :	٢١٤
أوقيانوسيا :	١٤

وقد ازدادت البشرية ازدياداً كبيراً منذ قرنين ، وذلك بفضل التغلب المضطرد على المرض من جهة ، وتوافر الموارد على أثر الثورة الصناعية من جهة أخرى .

وقد قدر سكان الأرض في القرن السابع عشر بمليار نسمة ، وتتعاقب التقديرات بعد ذلك على النحو الآتي :

(١) أنظر الحولية الديموغرافية للأمم المتحدة عام ١٩٥٣ ، ص : ٨٢

السنة	عدد السكان بالملايين
١٨٤٣	١,٠٠٩
١٨٧٨	١,٤٤٠
١٩١٤	١,٦٥٠
١٩٢٠	١,٨٧٢
١٩٣٠	٢,٠٣٦
١٩٤٠	٢,٢٧٠
١٩٥٠	٢,٤٧١
١٩٥٢	٢,٥٣٣

ولاريب في أن بعض هذه الزيادة وهمي ، سببه تحسن طرق الإحصاء . والمهم أن نلاحظ بأن السكان غير موزعين توزيعاً متساوياً على المناطق الأرضية ؛ فآسية وأوروبا هي التي تضم أكبر الكتل البشرية ، بينما سائر القارات يتسع للزبد من السكان . ونصف البشرية تقريباً مجتمع في الصين واليابان والهند الصينية والهند وأندونيسيا . ويلاحظ أيضاً أن السكان يزدحمون في المناطق المدارية والمعتدلة ويقولون في جهات القطبين وخط الاستواء ، وهذا دليل واضح على أن البيئة الطبيعية أثرها الأكبر في توزيع البشر ، ولكن الإنسان أخذ بالتغلب على هذه البيئة بفضل مواهبه ومخترعاته .

٢ - أرضه العرب :

وتقع الأرض العربية في العالم القديم بين المنطقة المعتدلة والمنطقة المدارية ، وهي تمتد على ٥٠٠٠ كم من الشرق إلى الغرب ، ما بين إيران والمحيط الأطلسي ؛ وليس بالسهل تحديدها من الجنوب في قسمها الأفريقي لانبساط الصحروات فيه وتداخل العرب والمتعربين مع قبائل زنجية .

ويمكن أن نعتبر مجرى النيل أعظم طول لها من الجنوب إلى الشمال ، ما بين دخوله إلى السودان ومصبه في البحر المتوسط ، ويبلغ هذا الطول ٣٠٠٠ كم بصورة مستقيمة .

وإذا اتخذنا مساحات الدول العربية القائمة أساساً في تحديد الوطن العربي

أربت مساحة هذا الوطن على مساحة القارة الأوربية ؛ ولو اجتمعت الدول العربية كلها في دولة واحدة لكانت الدولة الثانية في العالم من حيث الامتداد بعد الاتحاد السوفيتي .

وجملة مساحة الدول العربية تقرب من ١١ مليون كم^٢ وربع المليون، ٢٨٪ منها في آسية و٧٢٪ في أفريقية .

وهي موزعة كما يلي :

(١) آسية العربية :

الدولة	المساحة بالكم ^٢
١ - المملكة العربية السعودية	١,٦٠٠,٠٠٠
٢ - المملكة العراقية	٤٤٤,٤٤٢
٣ - محمية عدن	٣١٥,٩٦٨
٤ - عمان	٢١٣,٤٠٠
٥ - اليمن	١٩٥,٠٠٠
٦ - الجمهورية السورية	١٨٤,٤٧٩
٧ - المملكة الأردنية	٩٦,٥١٣
٨ - قطر	٢٢,٠١٤
٩ - فلسطين المحتلة	٢١,٠٠٠
١٠ - الكويت	٢٠,٧١٩
١١ - الساحل المعاهد	١٥,٠٠٠
١٢ - لبنان	١٠,٤٠٠
١٣ - قطاع غزة	٦٠٠
١٤ - البحرين	٥٩٨
١٥ - مستعمرة عدن	٢٠٧

المجموع ٣,١٣٩,٣٤٠

(ب) أفريقية العربية :

٢,٥٠٥,٧٠٠	:	١ - السودان المصري
٢,١٩١,٤٦٤	:	٢ - الجزائر
١,٧٥٩,٥٤٠	:	٣ - ليبيا
١,٠٠٠,٠٠٠	:	٤ - مصر
٣٩٠,٨٠٠	:	٥ - مراكش المحتلة من فرنسا
١٥٥,٨٣٠	:	٦ - تونس
٤٥,٨٦٩	:	٧ - مراكش المحتلة من أسبانية
٣٤٩	:	٨ - طنجة
٨,٠٤٩,٥٥٢		المجموع
٢١١,١٨٨,٨٩٢ كم ^٢	:	بمجموع الوطن العربي ^(١)

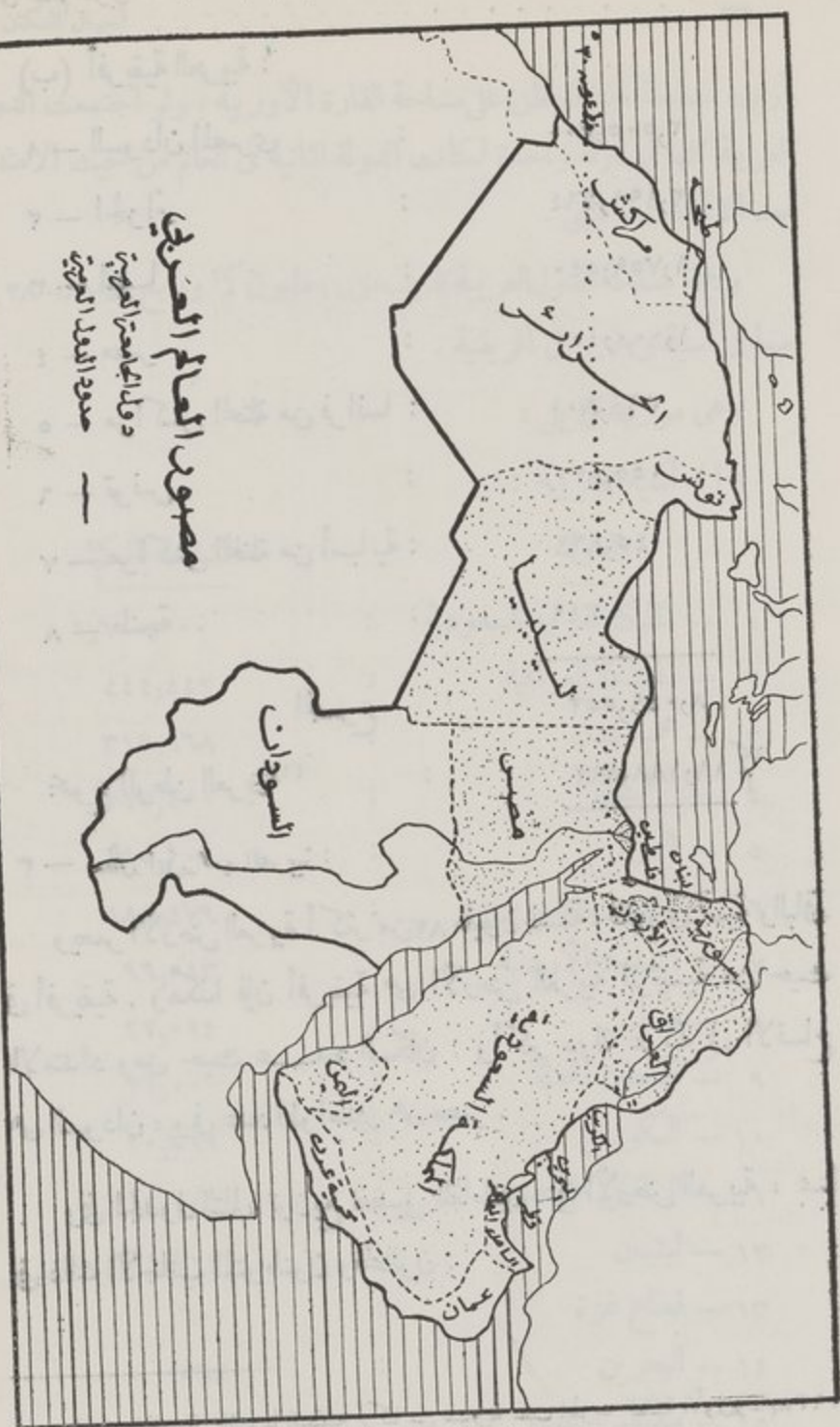
٣ - سطر الأرض العربية :

ويعمر الأرض العربية أكثر من ٨٢ مليون نسمة ، ثلثهم في آسيا والباقي في أفريقية . وهكذا فإن أفريقية هي الأرض العربية الرئيسية من حيث الامتداد ومن حيث عدد السكان . وأكبر دولة عربية في الاتساع هي السودان ، وفي عدد المواطنين هي مصر .

وفي الجدول التالي توزيع تفصيلي للقاطنين على الأرض العربية ، بما في ذلك الأجانب المتوطنون والمحتلون :

(١) يضاف إلى ذلك ما اقتطعته تركيا من سورية عقب الحرب العالمية الأولى وعام ١٩٣٨ — ١٩٣٩ (سنجق اسكندرون) ويقدر مجموع ذلك بنحو ٢٠ ألف كم^٢ .
(م — ٣ أحوال السكان)

مصبون العالم العربي
 دولة الجامعة العربية
 حدود الدول العربية



الدولة عدد السكان سنة الإحصاء أو التقدير

(١) آسية العربية :

١٩٥٢	٧,٠٠٠,٠٠٠ :	١ - المملكة العربية السعودية
١٩٥٠	٥,١٠٠,٠٠٠ :	٢ - العراق
١٩٥١	٤,٥٠٠,٠٠٠ :	٣ - اليمن
١٩٥٢	٣,٧٥٥,٠٠٠ :	٤ - سورية (مع العشائر) ^(١)
١٩٥٣	:	٥ - فلسطين المحتلة
	١٨٦,٠٠٠ :	عرب
	١,٤٨٤,٠٠٠ :	صهيونيون
١٩٥٢	١,٣٣٠,٠٠٠ :	٦ - المملكة الأردنية
د	١,٣٢٠,٠٠٠ :	٧ - لبنان
د	٨٠٠,٠٠٠ :	٨ - محمية عدن
د	٥٥٠,٠٠٠ :	٩ - عمان
د	٢٩١,٠٠٠ :	١٠ - قطاع غزة
١٩٥٣	٢٥٠,٠٠٠ :	١١ - الكويت
١٩٥١	٢١٧,٠٠٠ :	١٢ - اللاجئون الفلسطينيون خارج فلسطين والأردن
١٩٥٢	١١٢,٠٠٠ :	١٣ - البحرين
د	١٣٠,٠٠٠ :	١٤ - مستعمرة عدن
د	٨٠,٠٠٠ :	١٥ - الساحل المعاهد
د	٢٠,٠٠٠ :	١٦ - قطر

٢٧,١٢٥,٠٠٠

المجموع

(١) بعد تطبيق قانون العشائر الجديد وإدماج القبائل نصف الحضرية في عداد الحضريين أصبح عدد سكان سورية عام ١٩٥٣ : ٣,٦٥٥,٩٠٤ ؛ ولا يشمل هذا الرقم العشائر البدوية (المجموعة الإحصائية السورية السنة السادسة) .

ب - افريقية العربية :

١٩٥٣	٢١,٩٤١,٠٠٠ :	١ - مصر
١٩٥٣	٩,٢٥١,٠٠٠ :	٢ - الجزائر
١٩٥٢	٩,٠٠٠,٠٠٠ :	٣ - مراكش المحتلة من فرنسا
١٩٥٢	٨,٧٦٦,٠٠٠ :	٤ - السودان المصري
"	٣,٦٠٠,٠٠٠ :	٥ - تونس
"	١,١٦٨,٠٠٠ :	٦ - مراكش المحتلة من اسبانيا
"	١,١٥٠,٠٠٠ :	٧ - ليبيا
"	١٧٠,٠٠٠ :	٨ - طنجة
٥٥,٠٤٣,٠٠٠		المجموع
٨٢,١٧١,٠٠٠		بمجموع السكان على الأرض العربية

٤ - الأجانب في بلاد العرب :

ويقيم على الأرض العربية نحو من أربعة ملايين وربع أجنبي ، فتكون نسبتهم ٥ ٪ فقط من مجموع السكان ؛ ومعظمهم من الأفرنسيين الذين استوطنوا عنوة بلاد المغرب ، ومن الصهيونيين الذين احتلوا جزءاً من فلسطين العربية .

ومهما يكن من أمر فإن نسبة الغرباء المقيمين على الأرض العربية أقل من الغرباء المقيمين في فرنسا مثلاً .

ويتوزع الأجانب في البلاد العربية كما يلي ، وفقاً لآخر الإحصاءات والتقديرات :

١٤٨٤,٠٠٠ :	فلسطين المحتلة من اليهود
١,٠١٩,٠٠٠ :	الجزائر (افرنسيون خاصة)
٣٦٣,٠٠٠ :	مراكش المحتلة من فرنسا
٢٢٦,٠٠٠ :	طنجة ومراكش المحتلة من اسبانيا (اسبانيون)

تونس	: ٢٥٠.٠٠٠	(افرنسيون، إيطاليون، مالطيون)
مصر ^(١)	: ١٤٠.٠٠٠	
ليبيا	: ٥٠.٠٠٠	(إيطاليون مالطيون)
الكويت	: ٣٩.٠٠٠	(إيرانيون، هنديون، باكستانيون)
البحرين	: ١٢.٠٠٠	(إيرانيون)
مستعمرة عدن	: ١٢.٠٠٠	(صوماليون، هنود)
لبنان ^(٢)	: ١٣.٥٠٠	
العراق ^(٣)	: ٦٤.٢٠٠	
سورية	: ٠٦.٠٠٠	(إيرانيون، أترك)

(١) جاء في تعداد السكان لعام ١٩٤٧ أن الجاليات غير العربية المقيمة في مصر تتألف كثرتها من:

يونانيين : ٦٧٤٢٧ وبريطانيين : ٢٨٢٤٦ وإيطاليين : ٢٧٨٥٩
وافرنسيين : ٩١٧٧ وأترك : ٥٧٣٥ ؛ يضاف إلى ذلك ١١٢٩٢ من جنسيات
أخرى غير عربية .

(٢) إحصاء الأجانب من غير العرب في لبنان عام ١٩٥٤ :
من أوروبا : ٨٤١٦ (٣٠٠٦ افرنسي ، ٢٣٢٨ بريطاني ، ١٢٧١ يوناني ، ٩٢٩
إيطالي والباقي المانيون ويوغوسلافيون وبلجيكيون وبولونيون الخ ..)
من آسيا : ١٦٥٥ (منهم ١١٣٩ إيراني و٤٥٧ تركي)
من أمريكا : ٢٦٩٠ (١٩٠١ من الولايات المتحدة ، ٢٦٩ من البريزيل ، ١١٨ من
الأرجنتين ، ١١٥ من المكسيك ، الخ ..)

وجدير بالملاحظة أن كثيراً من المسجلين أجانب هم من أصل عربي لبناني ، قد اكتسبوا
الجنسية الأجنبية . (أنظر النشرة الإحصائية ربع السنوية ، الربيع الثاني ١٩٥٤)

(٣) يتألف الأجانب من غير العرب في العراق من :

إيرانيين : ٥٢٤٣٠ ، أترك : ٩٢٦ ، أفغانيين : ١٦٧٨ ، هنود : ٤٧٩٠ ، أسبوين
آخريين : ٦٨٧ ، بريطانيين ٢٨٣٥ ، أوربيين آخريين ٢٨٦ ، امريكيين : ١٩٦ ، مختلفي
الجنسيات : ٣٧٢ (المجموعه الإحصائية السنوية العامة لعام ١٩٥٣ ، ص ٥٤) .

المملكة السعودية^(١) : ٤٣٥٠٠٠

باقي الجزيرة العربية : ٨٠٠٠٠

٤٠١٩٣٧٠٠

٥ - العرب والمغربون في العالم :

وإذا أحصينا السكان الأصليين المقيمين على الأرض العربية وطبقنا عليهم معدل التزايد الطبيعي في العالم العربي ، بلغ عددهم عام ١٩٥٤ ثمانين مليوناً ونصف المليون على أقل تقدير .

فالدولة العربية الموحدة حين تبرز إلى الوجود تكون الدولة السابعة في العالم من حيث عدد المواطنين ، بعد الصين والهند والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية والباكستان واليابان .

وفي جميع بلاد العالم أقليات عنصرية ولغوية مندجة قليلاً أو كثيراً في كيان الأمة التي تعيش معها . ولا تشذ البلاد العربية عن ذلك ؛ فلا يزال فيها أقليات لم تتعرب جميعها ؛ وهي في مجموع الوطن العربي لا تمثل أكثر من ١٢ ٪ . من مجموع السكان . وقد تكون هذه الأقليات أصيلة في البلاد ، كالبربر في المغرب والزنوج في السودان ، أو طارئة عليها بالهجرة كالآرمن والجرس والتركان . على أن اللغة العربية تظفر كل يوم بانتشار أوسع وتضيف هذه الأقليات الضئيلة إلى صرح العروبة الباذخ^(٢) .

(١) العناصر الغربية في المملكة السعودية تتألف من الجاويين والتركستانيين والعجم والأفغان والزنوج والموالي والأحباش ؛ ولا يمكن إعتبارها كلها أجنبية قانونياً . (أنظر كتاب شبه الجزيرة العربية للإستاذ عمر رضا كحالة ، طبع دمشق ١٩٤٤ ، ص ١٠٧)
(٢) وأهم هذه الأقليات شأنها البربر في أفريقيا الشمالية ، وهم منتشرون من واحة سيوة في مصر إلى أقصى مراکش .

وقد قدر عام ١٩٤٧ أن الذين يتكلمون اللغة العربية في مراکش تبلغ نسبتهم ٦٤ ٪ من السكان ؛ والذين يتكلمون اللغة العربية مع اللغة البربرية يبلغون ١٤ ٪ . أما الذين لا يزالون يتكلمون البربرية وحدها فهم ٢٢ ٪ من السكان (أنظر : Miège : Le Maroc. Paris, 1950 p52) .
ونسبة البربر لا تزيد في الجزائر عن ٣٠ ٪ من السكان وهي في تونس ٢ ٪ (راجع : J. Klein : La Tunisie, Paris, 1949, p. 27)

هذا ويعيش جمهور كبير من العرب والمتعربين خارج حدود الدول العربية الحاضرة . والجمهورية اللبنانية مثال نادر على بلد يعيش فيه نصف مواطنيه فقط وينتشر النصف الآخر من أبنائه خارج إطاره . ثم أن اللغة العربية قد انتشرت في بلاد أكثر أهلها من غير العرب ؛ ويمكن تقدير عدد العرب المغتربين مع المتعربين في بلاد غير عربية بأربع ملايين وربع عام ١٩٥٤ ، بعد حساب التكاثر الطبيعي .

فقد نشرت «مجلة العالم الاسلامي» عام ١٩٢٤ إحصاءً للعرب والمتكلمين بالعربية في العالم وردت فيه التقديرات التالية (١) .

البلد	عدد العرب الأصليين والمتكلمين بالعربية
أفريقيا الشرقية (٢)	: ٥٠٠,٠٠٠
أفريقيا الاستوائية (تشاد)	: ٦٠٠,٠٠٠
المالايو وأندونيسيا (٣)	: ٧٠,٠٠٠
تركيا (٤)	: ١٠٠,٠٠٠
فارس	: ٥٠٠,٠٠٠
الهند	: ٣٠٠,٠٠٠
	٢,٠٧٠,٠٠٠

= والقبائل الزنجية والمختلطة في السودان المصري تؤلف ٢٥ ٪ من مجموع سكان القطر ؛ وفي العراق وسوريه نحو مليون من الأكراذ ؛ ولا يتجاوز عدد الارمن في العالم العربي ٣٠٠,٠٠٠ ؛ وجملة القوقازيين في سورية والملكة الاردنية ٥٠,٠٠٠ ؛ ويبلغ عدد الترك والتركان في العراق وسورية ١٩٠,٠٠٠ نسمة .

(١) Revue du monde musulman. Tome 57, année 1924, p.135-144

(٢) وذلك من الاريتره حتى زامبيز . وقد كان في زنجبار وحدها عام ١٩٤٨ ؛ ٤٤٥٦٠ عربياً قجاً (أنظر : L. Dudley Stamp: Africa. London 1953, p.539)

(٣) كان في أندونيسيا وحدها ٧١٠٠٠ عربي عام ١٩٣٠ (أنظر : George B. Cressy : Asia's Land and Peoples. London 1952, p. 527)

(٤) في تعداد ١٩٢٧ وجد في تركيا ١٣٤,٠٠٠ (أنظر : Marcel Clerget : La Turquie. Paris, 1938, p. 66).

وهذا بالطبع عدا من بقي من العرب في سنجق اسكندرون بعد ضمه إلى تركيا .

ويزيد المغتربون السوريون واللبنانيون في أمريكا الشمالية والجنوبية على ٨١٠,٠٠٠، مع أبنائهم المولودين في ديار الغرب؛ وهم موزعون كما يلي^(١):

الأرجنتين	:	٣٥٠,٠٠٠
البرازيل	:	٣٠٠,٠٠٠
الولايات المتحدة	:	٥٠,٠٠٠
شيلي	:	٣٥,٠٠٠
كوبا	:	٣٥,٠٠٠
المكسيك	:	٣٠,٠٠٠
مناطق أمريكية أخرى	:	١٠,٠٠٠

وفي أفريقيا من المهاجرين السوريين واللبنانيين نحو من ٢٠,٠٠٠ وخاصة في السنغال والسودان الفرنسي وغينة .

ومن العسير تقدير عدد المغاربة المقيمين في فرنسا ، لتبدل هذا العدد تبعاً للظروف السياسية والاقتصادية . فقد قدر عددهم بثلاثمائة ألف عام ١٩٥٠ ، وبمائتين وخمسين ألفاً عام ١٩٥٢^(٢) ؛ ويبالغ بعضهم فيقدرهم بمليون ونصف ..، والأقرب إلى الواقع التخمين الذي أجراه حزب الشعب

(١) بلغ عدد المهاجرين السوريين واللبنانيين ١٢٠,٠٠٠ بين سنة ١٨٦٠ و ١٩٢٠ (أنظر

Sa'id Himadeh : Economic organisation of Syria. Bcyrouth, 1936 p. 16).

M. Berenstein : Les Etats) ينصف مليون (du Levant sous Mandat Français et les problèmes d'émigration et d'immigration. Revue Internationale du travail. Mai 1936, p. 732).

والأرقام التي سردناها مستقاة من وزارتي الخارجية في سورية ولبنان .

Documents Nord-Africains, Document No. 130, 5e (٢) année, 23 Mars 1954.

الجزائري ، وهو يقدر الأفريقيين الشماليين في فرنسا بنصف مليون على الأكثر (١) .

وخلاصة القول ، يمكن تقدير عدد أفراد الأمة العربية بسبعين مليوناً ، داخل حدود الدول العربية وخارجها ؛ وذلك باستثناء الأقليات الناقصة التعرّب والأجانب المقيمين على الأرض العربية . وأمة لها مثل هذا العديد تستطيع أن تظفر بالحوول والطول وتؤثر في مجرى السياسة العالمية .

(١) مشكلة هجرة الجزائريين إلى فرنسا ، ص ١٤ — ١٥ .

الفصل الرابع

توزيع السكان في الوطن العربي

١ - أساطل الكثافات :

ليس يعني شيئاً أن نعرف عدد السكان في دولة ما ، فلا يكون لهذا الرقم دلالة إلا إذا قورن بمساحة الأرض ؛ وهذا ما يسمى بالكثافة العددية أو الحسائية .

وتذكرون أن مساحة الأرض اليابسة تتجاوز قليلاً ١٣٥ مليون كم^٢ ؛ والكثافة الحسائية على سطحها هي $\frac{2033}{135} = 18$ نسمة في الكم^٢ .
وأعظم الدول كثافة بالسكان عام ١٩٥٢ هي : هولندا : ٣٢٠ ، بلجيكا : ٢٨٥ ، اليابان : ٢٣٢ ، بريطانيا : ٢٠٧ .

بيد أن الكثافة الحسائية لا تعطي فكرة صحيحة عن الواقع ، لأنها توهم بتوزيع السكان بصورة منتظمة ومتصلة ضمن القطر الواحد ؛ ولكي تكون هذه الكثافة ذات دلالة حقيقية يجب أن تحسب على أساس أصغر الأقسام الإدارية في كل بلد .

ومن الضروري أن نضيف إلى الكثافة الحسائية الكثافة الزراعية ، وهي نسبة عدد السكان إلى الأرض القابلة للزراعة . والمعروف أن المساحات الصالحة للزراعة على سطح الأرض لا تتجاوز ١١ ٪ من مجموع المساحة العامة (أي قرابة ١٦ مليون كم^٢) ، فالكثافة الزراعية للعالم هي : $\frac{2033}{16} = 127$ نسمة بالكم^٢ ؛ وهذا يعني أن كل إنسان يصيبه من الأرض الصالحة ٦٧ آر (أي فدان ونصف تقريباً) .

ولكن كثيراً من الأراضي الزراعية تظل بوراً ؛ والأجدد أن نقارن السكان بمساحة الأرض المستثمرة فعلاً ؛ وهذا ما نسميه بالكثافة الانتاجية ، وتصل في بعض البلدان إلى نسب ضخمة ، فهي تتراوح بين ٨٠٠ و ١١٠٠ في بريطانيا وهولندا واليابان .

ولكن الزراعة ليست المورد الوحيد للسكان ، ومن الخطأ أن ندمج في الكثافة سكان المدن الذين يعيشون من موارد الصناعة والتجارة والمهن المختلفة ؛ والأصح أن تحسب الكثافة الزراعية أو الانتاجية على أساس سكان الريف فقط وهذا ما ندعوه بالكثافة الريفية .

وسنرى الآن كيف أن الكثافة الحسائية العامة ضعيفة في أكثر بلاد العرب ، لكن الكثافة الانتاجية قد تكون شديدة ، لأن بلاد العرب غنية بالكيلو مترات المربعة ولكنها فقيرة بالكيلو مترات المربعة المفيدة .

٢ - تفاوت السكني على الأرض العربية :

يقع القسم الأكبر من بلاد العرب في المنطقة الحارة الجافة فوق المدارية ، حيث تمتد الصحراوات والسهوب وتزول معالم العمران أو تكاد .

وقد قيل بحق أن قلب البلاد العربية يكاد يكون مقفراً والحياة تدب في الأطراف ؛ والماء هو العامل الأساسي في تفاوت توزيع السكان ؛ وبما لاشك فيه أن الحرارة والبرودة تنفران البشر ، وإنما يسهل إحتمالها إذا رافقهما الماء . فالزراعة تتعذر حيث هطل من الأمطار سنوياً أقل من ٢٥٠ مم إلا إذا كانت هنالك أنهار جارية تأتي من مناطق وفيرة الأمطار (مصر) . والسهوب التي تتراوح فيها الأمطار بين ١٠٠ و ٢٥٠ مم تنبت فيها أعشاب قصيرة في موسم المطر ، ويعيش فيها السكان مع أنعامهم عيشة البداوة المتنقلة . أما حيث تنقص الأمطار عن ١٠٠ مم فهنالك الصحراوات الحقيقية الخاوية من السكان .

وإذا تأملنا في مصور توزيع المطر على العالم العربي ، نشاهد أن خط أمطار ٢٥٠ مم يمر في الأرجاء الشمالية من بلاد العرب القريبة من البحر المتوسط . وإذا استثنينا اليمن والسودان حيث تهطل أمطار كافية ، ومصر حيث يجرى النيل ، فليس في وسط بلاد العرب وجنوبها سوى واحات قليلة تصلح للزراعة والسكن .

ولا غرابة إذن أن نجد أكثر سكان العالم العربي يتجمعون في المنطقة القريبة من البحر المتوسط الكائنة بين خطي عرض ٣٠ و ٣٧ درجة ، شمال خط الاستواء ، وتشمل هذه المنطقة بلاد الشام والعراق ودلتا النيل وهضبة برقة وجبال النُفُوسَة وراء مدينة طرابلس الغرب ، وبلاد الأطلس في المغرب . وهي تمتد على ٢٤٪ من مساحة آسية العربية و ١٧٪ من إفريقية العربية ، ويقرب اتساعها من ٢,١١٠,٠٠٠ كم^٢ أي ما يعادل ١٩٪ من مساحة العالم العربي . ويسكن هذه المنطقة وحدها ٥٠ مليون نسمة ، أي ٦١٪ من مجموع سكان أرض العرب (٥٣٪ من سكان آسية العربية و ٦٦٪ من سكان أفريقية العربية) .

والأرقام التالية تدل على تفاوت الكثافة السكانية في منطقة ٣٠ — ٣٧ وفيما دونها :

كثافة السكان في منطقة ٣٠ — ٣٧ من آسية العربية : ١٨ بالكم^٢ (أي مساوية للكثافة العالمية)

- » في سائر مناطق آسية العربية : ٥ بالكم^٢
- » في منطقة ٣٠ — ٣٧ من إفريقية العربية : ٢٧
- » في باقي مناطق إفريقية العربية : ٣
- » في منطقة ٣٠ — ٣٧ من مجموع العالم العربي : ٢٣٧
- » في باقي مناطق العالم العربي : ٣٣

وامتداد الصحروات في العالم العربي هو الذي يسبب ضعف الكثافة السكانية فيه . فالكثافة الحسائية العامة لآسيا العربية هي ٨٦ نسمة بالكم^٢ ،

وفي افريقية العربية ٦٠٨ . والكثافة المتوسطة للعالم العربي هي ٧٣٣ بالكم^٢.
 بيد أن للعوامل التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية أثرها في
 تكثيف السكان أو تفريقهم ، فسكان قطاع غزة لم يكونوا يزيدون عن ٩٠
 ألفا قبل عام ١٩٤٨ فزادوا متى الف بسبب الاعتداء اليهودي على فلسطين ،
 الذي أجبر السكان على الهرب . وليس تجمع السكان في لبنان ناشئا عن كثرة
 أمطاره فحسب بل عن التجاء الأقليات الطائفية إليه واعتصامها فيه خلال
 العهود التاريخية السابقة . والجلال المنيع هي دوما ملجأ أمين للأقليات العرقية
 والمذهبية واللغوية ، كما هو الحال في جبال العلويين والدروز في سورية
 وجبال النفوسة والأطلس في المغرب . وتوافر الموارد الاقتصادية سبب
 آخر في تكثيف السكان . فالجزر الكثيرة المصائد والسهول الخصبة والمدن
 الصناعية والتجارية كلها شديدة الازدحام بالسكان ، ولم يكن سكان الكويت
 يزيدون عن ٧٠ ألفا قبل اكتشاف البترول واستثماره فتضاعفوا اليوم مرات
 ثلاث .

ولجميع هذه الأسباب الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية تتوزع الكثافات
 على العالم العربي كما يلي :

البلد	الكثافة السكانية بالكم ^٢
١ - قطاع غزة	٤٨٥
٢ - جزر البحرين	١٨٧
٣ - لبنان	١٢٧
٤ - فلسطين المحتلة	٠٨٠
٥ - مراکش الأسبانية وطنجة	٢٩
٦ - اليمن	٢٣
٧ - مراکش المحتلة من فرنسا	٢٣
٨ - مصر	٢١,٤

٢٠٣	٩ - تونس
٢٠	١٠ - سورية
١٣,٨	١١ - المملكة الأردنية
١٢	١٢ - الكويت
١١,٥	١٣ - العراق
٥,٣	١٤ - الساحل المعاهد
٤,٤	١٥ - المملكة السعودية
٤,٢	١٦ - الجزائر
٣,٥	١٧ - السودان
٢,٨	١٨ - محمية عدن ومستعمرتها
٢,٦	١٩ - عمان
أقل من ١	٢٠ - ليبيا
١	٢١ - قطر

٣ - افتتاف الكثافة ضمن كل بلد عربي :

وفي البلد الواحد تختلف الكثافة السكانية اختلافاً ضخماً بين المناطق المروية والمناطق القاحلة ، لأن الزراعة هي المورد المعاشي الأول لسكان بلاد العرب . وبصورة عامة يظل الماء أساس التباين في العمران ، فالبقاع المسقية بمياه الأنهار هي أحفل بالسكان من بقاع العدى أى المعتمدة على رى الأمطار ؛ والمناطق المطيرة أعظم ازدهاماً بالبشر من البوادي والسهوب ؛ حتى يمكن وضع نسبة حساية ثابتة بين كمية الماء المتوفرة وعدد السكان في كل منطقة . ولا عجب إذن أن يكون للماء أثره العميق في خيال العربي ، وأن يتجلى ذلك في ألفاظه وتعاييره . وفي أكثر بلدان العرب لا تحسب الثروة على أساس ما يمتلك الفرد من أفدنة بل على مقدار ما يسقيها من ماء .

اللواء	النسبة المئوية إلى المساحة العامة	النسبة المئوية إلى مجموع السكان	الكثافة السكانية بالكم ^٢
١ - بغداد	٢٥٩	١٧	٦٤
٢ - الحلة	١٥٢	٥٥٤	٤٨
٣ - كربلاء	١٥٤	٥٥٧	٤٥٥٢
٤ - البصرة	٢٥٨	٧٥٦	٣٠
٥ - المنتفك	٣٥٣	٧٥٧	٢٥٥١
٦ - الديوانية	٣٥٤	٧٥٩	٢٥
٧ - السليمانية	٢٥١	٤٥٧	٢٣٥٧
٨ - الموصل	٦٥٧	١٢٥٤	٢٠٥١
٩ - ديالى	٣٥٦	٦٥٥	١٦٥٩
١٠ - العمارة	٤٥١	٦٥٤	١٦٥٧
١١ - كركوك	٤٥٦	٥٥٩	١٤
١٢ - الكوت	٣٥٧	٤٥٧	١٣٥٥
١٣ - أربيل	٤٥١	٥	١٣٥٣
١٤ - الدليم	١٩٥٢	٤	٤٥٧

في هذه الجدول، النسبة المئوية إلى المساحة العامة، والنسبة المئوية إلى مجموع السكان، والكثافة السكانية، هي النسب المئوية التي تمثلها هذه الأرقام في الجدول. والنسبة المئوية إلى المساحة العامة، والنسبة المئوية إلى مجموع السكان، والكثافة السكانية، هي النسب المئوية التي تمثلها هذه الأرقام في الجدول. والنسبة المئوية إلى المساحة العامة، والنسبة المئوية إلى مجموع السكان، والكثافة السكانية، هي النسب المئوية التي تمثلها هذه الأرقام في الجدول.

(١) - أحوال السكان

(٤ - أحوال السكان)

الإدارية ؛ فالجزء الأكبر من الهضبة الصحراوية يؤلف أقساماً مستقلة عن المنطقة المعمورة (بادية الجزيرة ، البادية الشمالية ، البادية الجنوبية) وتشغل وحدها ٤٧٪ من المساحة العامة ؛ وباستثنائها تبلغ الكثافة السكانية في العراق ٢١ نسمة بالكم^٢.

والمنطقة الزراعية الغنية تمتد من بغداد حتى البصرة ، ويتجمع فيها السكان على ضفاف الرافدين . وهكذا تكون الكثافة في لواء بغداد ٦٤ نسمة بالكم^٢ (عام ١٩٤٧) بينما لا تزيد عن ٤٧ في لواء الدليم المجاور له ، لا امتداده على جزء من البادية في الغرب ، ولعمق وادي الفرات هناك عن مستوى الأرضين المجاورة .

وألوية هذه المنطقة الزراعية لا تشغل سوى ١٥٪ من المساحة العامة لكنها تشتمل على أكثر من نصف السكان (٥١,٣٪) ، ومتوسط الكثافة السكانية فيها ٣٧ بالكم^٢.

وأقل منها سكاناً الألوية الشرقية والشمالية الشرقية المتاخمة لتركيا وإيران لاشتغالها على أقسام جبلية أو بعدها عن السهول الخصبة المروية ؛ وهي تمتد على ٣٨٪ من المساحة العامة ولكنها لا تضم سوى ٤٨٪ من السكان ؛ والكثافة المتوسطة فيها هي أقل من نصف كثافة المنطقة الأولى : ١٧,٣ بالكم^٢.

وتؤلف البوادي الثلاث مع لواء الدليم المنطقة السكانية الثالثة في العراق ، وهي موطن تجوال البدو ، ولا يزيد فيها متوسط الكثافة عن ١٧ بالكم^٢.

وفي الجدول التالي ثبت بألوية العراق — باستثناء البوادي — مرتبة حسب الكثافة العامة فيها :

ولا نكران في أن التجمع العرقي والطائفي له أثره في توزيع السكان ،
فالكثافة في لواء السليمانية يعود بعضها إلى تجمع الأكراد ؛ والكثافة
في لواء كربلاء متأثرة بمجاورة الأماكن المقدسة الشيعية .

وللعراق ناحية جغرافية خاصة تتركز في تفرق سكانه وانعزالهم ، وهي
كثرة الأهوار في إقليمه الأسفل ، وهي منافع كبيرة تنشأ عن تجمع المياه
في الأماكن المنخفضة ؛ ورغم فوائدها في الزراعة والصيد وتربية الجاموس
هي تساعد على انعزال الجماعات الساكنة حولها ، ومن هؤلاء السكان :
المعدان ، الذين يعيشون في أكواخ القصب والصرايف المبنية على عمد فوق
الأهوار أو إلى مجاورتها ، ويبلغ عددهم ٣٠٠ ألف نسمة^(١) .

وفي العراق كما في سائر بلاد العرب تضخم في سكان المدن ؛ فالكثافة
في مركز قضاء بغداد تصل إلى ١٢١٤٢ بالكم^٢ ، بينما هي ١٤٣ بالكم^٢ في ناحية
سلمان بالك القريبة من العاصمة .

والأسباب الطبيعية التي أوردناها فرصت تقسيم سكان العراق إلى
بدو ومزارعين مستقرين ، ومزارعين نصف مستقرين من أصل عشائري ،
وحضرين يقطنون المدن . وهم يتوزعون وفقاً للنسب التالية^(٢) .

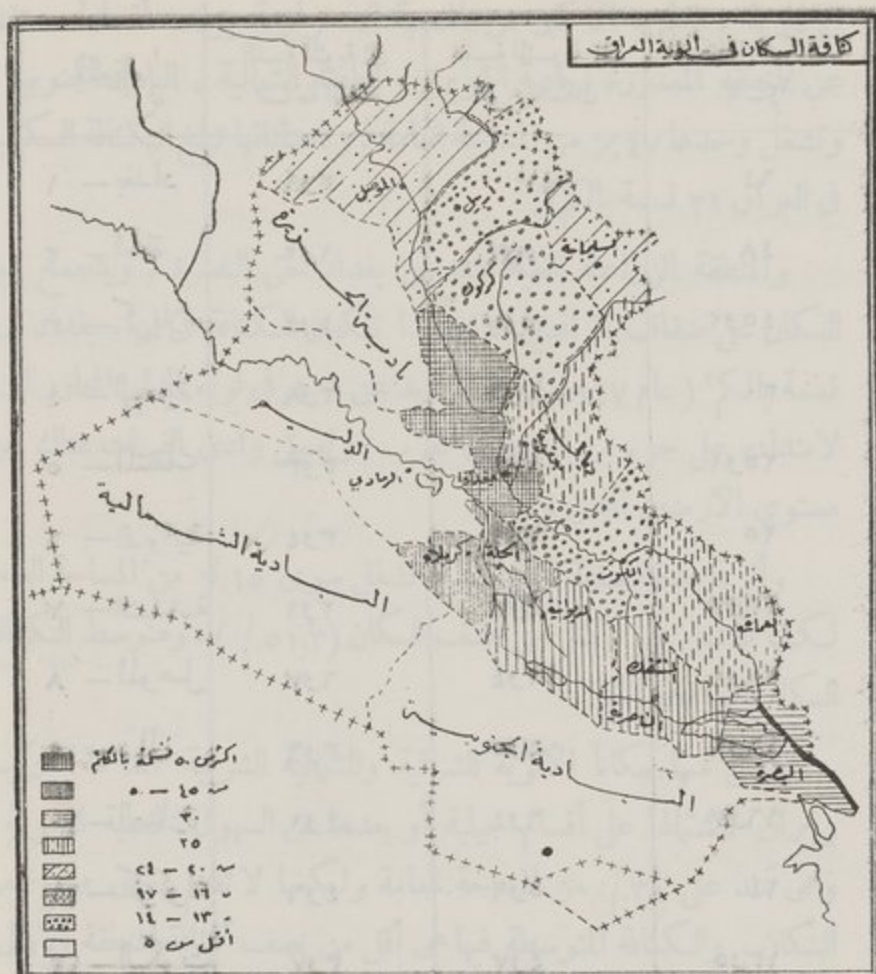
القبائل الرحل	: ٨ .٪
سكان القرى العشائريون	: ٤٨ .٪
سكان القرى المستقرون	: ٢٢ .٪
سكان المدن (من ٢٠ ألفاً فما فوق)	: ٢٢ .٪

(ب) توزيع السكان في الجمهورية السورية :

يظل التوزيع العام للسكان في سورية مرتباً وثيق الارتباط بمقدار تهطل

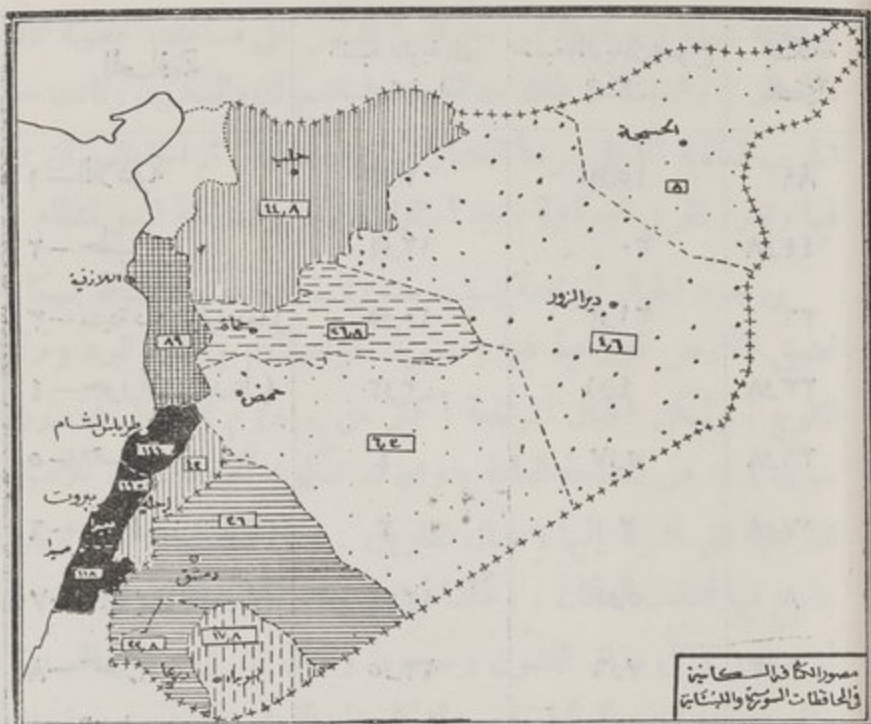
(١) كتاب معجم العراق ، تأليف عبد الرازق الهلالي ، بغداد ١٩٥٣ ، ص ٩٢٢

(٢) محاضرات الدكتور عبد الجليل الطاهر عن البدو والعشائر في البلاد العربية ، طبع
معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ١٩٥٥ ، ص : ٧٨ ؛ وحسب هذا التقدير يكون
عدد البدو الرحل ٤٠٠.٠٠٠ ؛ بينما قدروا في تعداد ١٩٤٧ بحوالى ٢٥٠.٠٠٠



وفي كل لواء تخف الكثافة كلما ابتعدت المنطقة عن مجرى النهرين والآقية المتفرعة عنهما ؛ ففي لواء بغداد تخف الكثافة خاصة في قضاء سامراء (٩٦ بالكم) لامتداده بعيداً جهة الشرق وجهة الغرب من نهر الدجلة ؛ وضمن قضاء سامراء تهبط الكثافة إلى ٣٥ بالكم في ناحية دجيل المتاخمة للواء الديلم في الغرب . وفي لواء كربلاء تهبط الكثافة إلى ٣ بالكم في ناحية عين التمر المجاورة للبادية (قضاء كربلاء) ، وترتفع إلى ٣٢٠ بالكم في ناحية الكوفة (قضاء النجف) لامتدادها على ضفاف شط الهندية (١) .

(١) أنظر أطلس العراق الإداري للدكتور أحمد سوسة ، بغداد ١٩٥٢ .



ولم تجر سورية على إخراج المناطق السهلية والصحراوية من الأقسام الإدارية ؛ فهي تشغل القسم الأعظم من محافظتي حمص والفرات وجزءاً من محافظات حماة ودمشق وجبل الدروز والجزيرة . وهناك محافظتان داخلتان في المنطقة المروية بأكثر من ٢٥٠ مم ، وهما حلب وحمص ؛ ومحافظة واحدة ينزل في جميع أجزائها أكثر من ٥٠٠ مم سنوياً من المطر ، وهي اللاذقية . ولذلك نجد أن الكثافة السكانية تتراوح بين ٨٩ بالكم^٢ في محافظة اللاذقية ، وأقل من ٥ بالكم^٢ في محافظة الفرات .

والكم جدولاً بالمحافظات السورية مع كثافة سكانها ونسب كل منها إلى المساحة العامة وجملة السكان عام ١٩٥٢ :

الأمطار ، لأن الزراعة القائمة على السقاية لا تمثل سوى ١٤.٥٪ فقط من جملة المساحات المزروعة (عام ١٩٥٣) . وبالإجمال تقل الأمطار من الشمال نحو الجنوب ومن الغرب نحو الشرق ؛ وكثافة السكان تخف تبعاً لذلك ، حتى يمكن القول بأن مصوّر توزيع السكان هو مطابق لمصوّر توزيع الأمطار .

وتقسم أرض سورية من حيث كمية المطر إلى المناطق التالية :

١ - منطقة يهطل فيها أكثر من ٥٠٠ مم سنوياً = ١٠٪ من المساحة العامة .

٢ - د د د من ٢٥٠ إلى ٥٠٠ مم = ٣١٪ من المساحة العامة .

٣ - د د د د ١٠٠ إلى ٢٥٠ مم = ٣٨٪ من المساحة العامة .

٤ - د د د أقل من ١٠٠ مم سنوياً = ٢١٪ من المساحة العامة .

ففي المنطقتين الأولى والثانية تنجح الزراعة وتقوم المدن والقرى ؛ وفي المنطقة الثالثة لا يزرع من الأرض إلا ما أمكن سقيه بالينابيع والأنهار والآبار ؛ وفيما عدا ذلك تمتد السهوب الواسعة حيث تنقل القبائل البدوية مع مواشيها ؛ والمنطقة الرابعة تضم صحروات خالية .

الكثافة نسبياً (٨ بالكم) ، مع أنها تشتمل على مساحات خصيبة كافية الأمطار ؛ والسبب في ذلك حداثة عهدها بال عمران والسكنى ؛ وكانت حتى الحرب العالمية الأولى مرتعاً للعشائر البدوية وحدها ، ثم أخذ العمران يمتد فيها وتقوم القرى الزراعية ، بعد استتباب الأمن واستجابة البدو للنظام .

ووجود الجبال المرتفعة يسبب بصورة عامة ضعف الكثافة السكانية لضيق الأرض الزراعية فيها وصعوبة المواصلات وشدة البرد وتراكم الثلوج . ولكن الجبال المرتفعة أكثر من ١٥٠٠ م لا تشغل في سورية سوى ١/١٠ من المساحة العامة ؛ وهي قد تكون أهلة بالسكان للأسباب التاريخية التي أشرنا إليها (جبال العلويين . جبل الدروز) ، أو لوجود ينابيع فيها تجتذب السكان ؛ وهكذا ترتفع بعض القرى السورية إلى ١٥٠٠ أو ١٦٠٠ م في جبال القبلون وحرمون ولبنان الشرقي وجبل الدروز ، وإلى ١٠٥٠ م في جبال العلويين . وتشكل هذه القرى واحات معمورة وسط الصرود أو في حنايا الأودية.

وفي الواقع أن التوزيع الواحي ، يتبدى جلياً في سورية ؛ فجميع المدن السورية مدينة بوجودها إلى نبع أو نهر ، وحول كل منها حقول ومزارع تنقطع فجأة حيث ينقطع الماء فتستحيل إلى مفاوز جرداء أو سهوب للرعى . وينجم عن ذلك التقاء نوعين من أنماط المعيشة : البداوة وحياة الاستقرار .

والمسافر جواً لا يرى على الأرض السورية سوى بقع مخضوضرة محدودة تتوسط العراء المترامي ، سواء ذلك في غصون الجبال والمضبات أو وسط رحبات البوادي . وهو يدرك ما ذهب إليه بعضهم من أن اسم الشام ليس سوى جمع شامة ، وقد أطلق على الأرض السورية للشبه بين قراها المتناثرة وبين الشامات على جسم الإنسان .

ولولا نهري بردى وكانت العاصمة دمشق قطعة من الصحراء ، بينما تزيد

المحافظة	النسبة المئوية إلى المساحة العامة	النسبة المئوية إلى مجموع السكان	الكثافة بالكم ^٢
١- اللاذقية	٣ و ٣	١٥ و ٧	٨٩
٢- حلب	١٢ و ٤	٣٠	٤٤ و ٨
٣- مدينة دمشق ولواء دمشق	١٠ و ٥	٢١ و ٣	٣٦
٤- حوران (درعا)	٢ و ٢	٤ و ١	٣٣ و ٨
٥- حماة	٤	٥ و ٧	٢٦ و ٨
٦- جبل الدروز (السويداء)	٣	٣	١٧ و ٨
٧- الجزيرة (الحسكة)	١٢ و ١	٥ و ١	٨
٨- حمص	٢٢ و ٥	٧ و ٦	٦ و ٣
٩- الفرات (دير الزور)	٣٠	٧ و ٥	٤ و ٦

وإنكم لتلاحظون أن محافظة اللاذقية تضم على صغرها (٣٠٣٪ من المساحة العامة) عدداً من السكان (١٥٧٪ من المجموع العام) يفوق ما تضمه معاً محافظتا حمص والفرات (١٥١٪ من مجموع السكان) ومساحتهما تزيد عن نصف مساحة سورية (٥٢٥٪ من المساحة العامة) ..

ولا ريب في أن غزارة الأمطار في محافظة اللاذقية - وهي كورة جبلية تلامس البحر - سبب من أسباب ازدحام السكان فيها ؛ لكنها ليست السبب الوحيد ، بل يجب اعتبار العوامل التاريخية والاجتماعية في تعليل ذلك ، وأهمها لجوء العلويين والاسماعيليين إلى هذه المنطقة المنيعه في العصور التاريخية المضطربة . وتزيد الكثافة السكانية في بعض أقضية محافظة اللاذقية عن ١٢٠ في الكم^٢ (صافيتا) .

وتلاحظون أيضاً أن محافظة الجزيرة الواقعة في أقصى الشمال الشرقي ، ضعيفة

عام ١٩٥١ ، نجد أن أشد الكثافات هى فى لبنان الأوسط ، ثم فى لبنان الشمالى (لوفرة ثلوجه بسبب الارتفاع الشديد) ، ثم فى لبنان الجنوبى (لقلة أمصاره نسبياً) . وتهبط الكثافة هبوطاً كبيراً فى لبنان الشرقى ، أى فى إقليم البقاع وما يحف به شرقاً وغرباً من سفوح جرداء :

المحافظات	النسبة إلى المساحة العامة	النسبة إلى مجموع السكان	الكثافة الحسائية بالكم ^٢ عام ١٩٥١
١ - مدينة بيروت	٠.٥٢	١٦.٥٢	١١١٧٦
٢ - جبل لبنان (بعبداء)	١٨.٥٧	٢٩.٥١	١٩٥
٣ - لبنان الشمالى (طرابلس)	١٨.٥٨	٢١.٥٧	١٤٤
٤ - لبنان الجنوبى (صيدا)	١٩.٥٧	١٨.٥٥	١١٨
٥ - البقاع (زحلة)	٤٢.٥٦	١٤.٥٥	٤٣

هذا وترتفع الكثافة فى محافظة جبل لبنان إلى ٣٧٦ بالكم^٢ فى قضاء بعبداء و ٢٨٨ فى قضاء المتن (الجديدة) و ٢٦٦ فى قضاء عاليه ؛ وتقل الكثافة إلى عشر ذلك فى بعض أقضية البقاع (راشيا : ٣٢ بالكم^٢ ، بعلبك : ٢٦ ، الهرمل ٢١) .

(د) توزيع السكان فى الأردن وفلسطين :

يتمركز السكان على الضفة الشرقية من الأردن فى منطقة الجبال والهضبات الغربية وبعض جهات الغور ، لاعتدال المناخ ونداءة الجرنسياً . هنالك تقوم القرى الزراعية والمدن الهامة ، ولا تزيد مساحة هذه المنطقة المعمورة عن ١٧٥٠٠ كم^٢ ، أى ما يعادل ١٩٪ فقط من مساحة الضفة الشرقية ؛ وفيما عدا ذلك تسود السهوب والوادي .

وليس فى بلاد شرقى الأردن من ناحية الشرق أنهار تأقى بالمياه من

مناطق بعيدة كما هو الحال في سهول الفرات والجزيرة من سورية الداخلية ، ولذلك فإن التركز البشري ينحصر كله في المنطقة الغربية المعمورة حيث تصل الكثافة إلى ٢٦ بالكم^٢ ، بينما لا تزيد الكثافة العامة لمجموع الضفة الشرقية على ٦٥٥ بالكم^٢ (بما في ذلك اللاجئين من فلسطين المحتلة) .

والمنطقة المطرية المعمورة (من ٢٠٠ إلى ٦٠٠ مم سنوياً) تضيق من الشمال إلى الجنوب ، ولذلك يخف التكاثر على النحو ذاته ، فلواء عجلون ومحافظة عمان ولواء البلقاء (السلط) لا تمتد على أكثر من ٢٠ ٪ من المساحة العامة ، ولكنها تضم ٨٥ ٪ من السكان ؛ ولواء عجلون وحده - في الزاوية الشمالية الغربية من الضفة الشرقية - يشتمل على ٣٦ و ٤ ٪ من جملة السكان حسب تعداد عام ١٩٥٢ ، بينما لواء معان في الجنوب - وهو أعظم الألوية امتداداً - لا يزيد مجموع سكانه عن ٢٩٠٦٠ نسمة ، أي أقل من ٥ ٪ من سكان الضفة الشرقية كافة .

ويقع القسم الأعظم من الضفة الغربية المنضمة إلى المملكة الأردنية في منطقة جبلية متوفرة الأمطار (نابلس ٦٤٦ مم سنوياً ، القدس ٦١٤ مم ، بينما يجرع المطر السنوي في عمان ٣٢٠ مم وفي معان ٤٥ مم) وحتى إذا لم نحسب اللاجئين أو وافدين من فلسطين المحتلة فإن الكثافة السكانية تبلغ هناك ٦٨ بالكم^٢ ، ومع اللاجئين ١٢٤ .

وفي الجدول التالي عدد السكان في ألوية المملكة الأردنية حسب تعداد ١٩٥٢ ، بما في ذلك اللاجئين (١) :

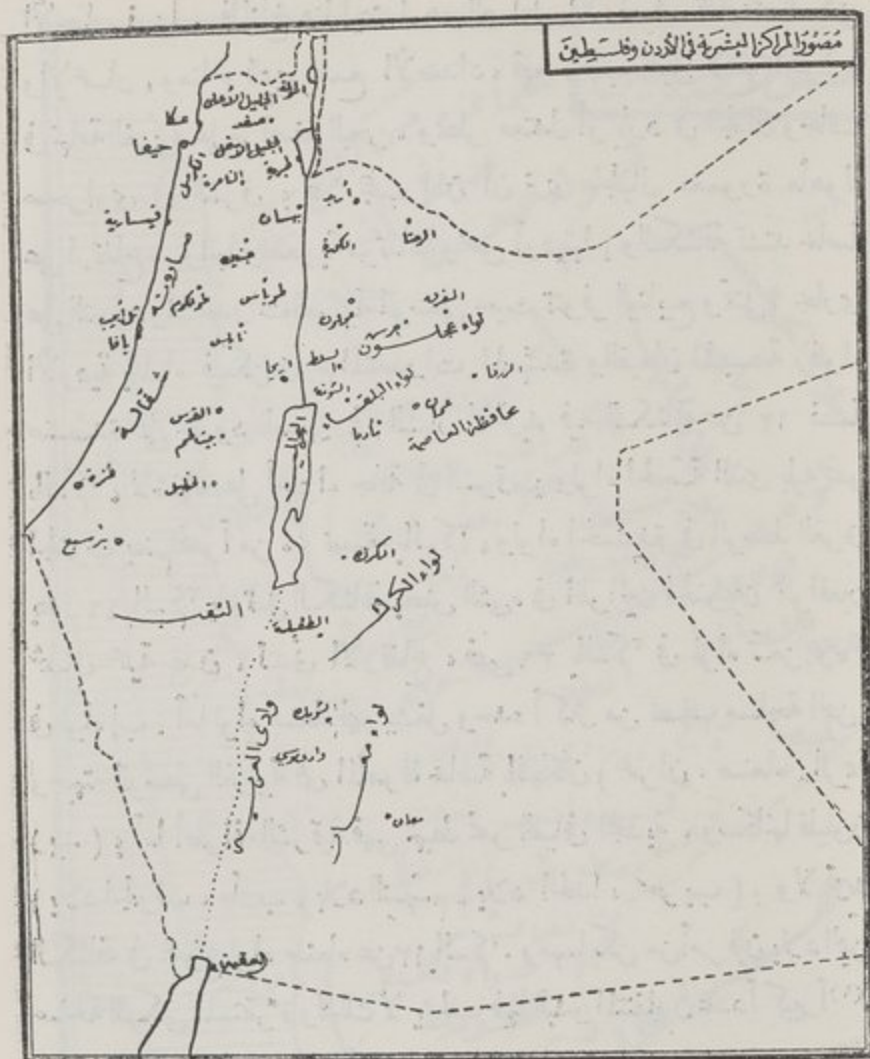
(١) يبلغ عدد اللاجئين ١٢٠.٠٠٠ تقريباً في الضفة الشرقية و ٣٣٥.٠٠٠ في الضفة الغربية .

النسبة إلى مجموع السكان	عدد السكان	الألوية
٠/١٤٥٣	١٩٠,٥٠٠	١- محافظة عمان
٠/١٦٥١	٢١٣,٨٨٠	٢- لواء عجلون
٠/٠٧	٠٩٢,٨٩٠	٣- لواء البلقاء
٠/٠٤٥٦	٠٦٠,٥٦٠	٤- لواء الكرك
٠/٠٢٥٢	٠٢٩,٠٦٠	٥- لواء معان
٠/٤٤٥٢	٥٨٦,٨٩٠	مجموع الضفة الشرقية
٠/٢٣٥٧	٣١٥,٢٣٥	٦- لواء نابلس
٠/٢٢٥٧	٣٠١,٤٠٠	٧- لواء القدس
٠/٠٩٥٤	١٢٥,٦٥٠	٨- لواء الخليل
٠/٥٥٥٨	٧٤٢,٢٨٥	مجموع الضفة الغربية

وهكذا فإن الضفة الغربية تشتمل على أكثر من نصف السكان ، مع أنها تمتد على سدس المساحة فقط ، لوقوعها قبالة البحر الذى يمدّها بالندوة ويلطف مناخها .

أما فى فلسطين المحتلة فتكاثف السكان يظل متأثراً بالشرائط الطبيعية ، ولكنه يخضع قبل ذلك إلى الظروف المصطنعة التى خلقها الصهيونيون . وقد كانت فلسطين قبل مايو ١٩٤٨ تضيق بأصحابها العرب وبمن هاجر إليها من اليهود ؛ فكانت كثافة السكان العامة ٧٤ بالكم^٢ ، أى ما يقارب الكثافة السكانية فى فرنسا رغم قلة الموارد الطبيعية والاقتصادية فى فلسطين ووفرتها فى فرنسا .

وفى الحقبة المشؤومة بين مايو ١٩٤٨ ومايو ١٩٤٩ أدخل الصهيونيون



(٥) توزيع السكان في شبه الجزيرة العربية .

ليس من السهل تقصّي التوزيع البشري على أقاليم شبه الجزيرة العربية لتعذر حصر السكان وتعدادهم بسبب اتساع رقعة البلاد وغلبة الصحراوات على أرضها .

وبلاد اليمن رغم ضيق امتدادها هي أشدّ بلاد شبه الجزيرة ازدحاماً بالسكان ؛ وذلك أن ثلاثة أرباع أرضها جبال عالية لطيفة المناخ ووفيرة

الأمطار نسبياً . فالمناخ هنا أيضاً هو العامل الأول في تفاوت السكني والإعمار ، ومناخ اليمن يجمع الأضداد ، فهو رطب ثقيل لافح الحرارة في تهامة الغربية على مرأصة البحر ، ومطر معتدل أو بارد في الجبال وجاف صحراوي في الشرق ؛ فلا عجب إذن أن نرى الجبال معمورة مأهولة على ارتفاع سرواتها وصعوبة مرتقاها وعمق أوديتها ؛ والكثافة تشتد خاصة على النجود والمنحدرات الغربية الوسطى حيث تتوفر الينابيع وتمتلئ مجارى الأودية بالماء فيمكن زرع المنحدرات الممهدة والقيعان المنبسطة . فلواء صعدة على حدود العسير في الشمال لا تزيد فيه الكثافة عن ١٢ نسمة بالكم^٢ ، لاشتتاله على أجزاء جافة في الشرق ؛ ولواء الحجة الذي يليه نحو الجنوب يضم نحواً من ٤٠ نسمة بالكم^٢ ، ولواء الحديدة في الوسط الغربي يضم ٤٦ بالكم^٢ ؛ وتقل الكثافة بعض الشيء في اللواتين الجنوبيين الواقعين شمال محمية عدن ، لتدنى الارتفاع ، فهي ٣٦ بالكم^٢ في لواء تعز و ٣٥ في لواء إب . أما لواء صنعاء فهو يشغل وحده أكثر من نصف مساحة اليمن ؛ وجهته الوسطى الغربية هي المأهولة خاصة بالسكان (عمران ، صنعاء ، الريمة زيد) ؛ أما أطرافه الشرقية فهي تهبط نحو الفيافي المجربة ، وسكانها قليلون (بلاد الجوف ، مأرب ، بلاد النهم ، بلاد الحدا ، سحريب) ؛ ولا تزيد الكثافة في مجموع لواء صنعاء عن ١٣ بالكم^٢ . ومهما يكن من أمر فإن بلاد اليمن صالحة للسكنى المستقرة ولذلك لا يؤول فيها البدو المتنقلون عدداً كبيراً^(١)



والمملكة العربية السعودية مثال البلاد المتفاوتة السكنى والمبعثرة السكان
لامتدادها وبيان أقاليمها الطبيعية؛ وهي بالاجمال بلاد واحات أو روضات
قائمة على قمم الوديان أو حول الآبار والينابيع؛ والقسم المأهول
محدود المساحة بالنسبة إلى المفاوز الخالية؛ وصحراء الربع الخالي المرملة

تشغل وحدها مليون كم^٢ تقريباً ، يضاف إلى ذلك صحارى النفود وبطائح الحرات البركانية الصلدة والسبخات المملحة . والأماكن الخصبية المعمورة لا تكاد تسد حاجات أهلها من المزروعات ؛ ولا عجب أن تكون حياة البداوة المتقلة هي الأصل في التوزيع البشرى ؛ ويمثل البدو في المملكة حوالى ثلثي السكان^(١) ؛ وهم ينتجعون مواطن الكلاء على الهضبات الجيرية المرتفعة أو بعض البطائح المرملية المعشبة (الدكاكات) .

وإقليم العسير الجبلى المتاخم لليمن من الشمال يتلقى بعض الرياح الموسمية التى تغدق المطر على اليمن ؛ ولذلك فهو الكورة الوحيدة فى المملكة العربية السعودية التى يزيد عدد حضرها على عدد بدورها . وإذا استعرضنا المراكز الحضرية فى العسير وجدناها قائمة على أطراف وديان جبالية (صيا ، خميس مشيط ، ببشة) ؛ وتكاد تكون المراكز المستقرة معدومة على السفوح الشرقية الجرداء ؛ أما على ساحل تهامة فالمدن متواضعة الشأن وقد أوجدتها ضرورات التجارة ، ويحمل الماء إلى أهلها من بعيد (جيزان ، القنفذة) .

وتقف الأمطار الموسمية عند شمال العسير فلا تبلغ إلى الحجاز ؛ ولذلك فإن هذا القطر جاف قاحل ، ولا تكفى أمصاره لرى أراضيه سواء فى جباله أو سهوله الساحلية ؛ والمراكز البشرية التى قامت فيه إنما نشأت على طرق القوافل التجارية ثم استنادت من رفق المواسم الدينية . وسكان الحجاز اليوم أكثرهم بدو رحل (٦٤ . /) ؛ أما الحضر منهم فتمركزون فى واحات ذات بنايع (الطائف ، المدينة) أو آبار (مكة) ؛ وتفتقر مرافئ الحجاز إلى مياه الشرب فتجلب إليها من الآبار والعيون القريبة (جدة ، ينبع البحر) .

ويجب أن نتذكروا دوماً الأوصاف الطبيعية لشبه الجزيرة العربية لتبينوا شرائط العمران البشرى فيها . فالأحساء — على الضفة الغربية من

(١) نمر رضا كحالة : جغرافية شبه جزيرة العرب ، ص : ١٠٦

الخليج الفارسي — هي أرضون منبسطة حارة المناخ، وقسم كبير منها مغمور بكثب الرمل المتقلبة؛ إلا أن العيون الثرة متوفرة في الجنوب وخاصة حول الهفوف والمُبَرِّز والقطيف؛ وقد أدى استثمار البترول هناك إلى المزيد من السكان الحضريين (الظهران، دمام، رأس التنورة).

وينصل الأحساء عن نجد مرتفعات الصَّحَّان ورمال الدهناء؛ وأقليم نجد هو أوسع مناطق المملكة السعودية؛ لكن القسم المأهول منه لا يتعدى سلسلة ضيقة من الواحات، ممتدة على شكل هلال، تحف بها الرمال من كل جانب، وتفصل ما بينها أحياناً؛ فهي محدودة من الجنوب بصحراء الربع الخالي ومن الشرق بالدهناء ومن الشمال بالنفود الكبير ومن الغرب بأنفاد السر والبطرا وقنفذة الخ..

وهذه السلسلة الضيقة من الواحات تقع على مشارف هضاب عَرَمَة وجبال الطويق. هنالك يكون الجو لطيفاً بسبب الارتفاع عن سطح البحر، والأمطار متوفرة في بعض السنين، بحيث تغذى السيول والينابيع. وتبدأ السلسلة المذكورة جنوباً بإقليم وادي الدواسر (دام، الشليل)؛ وبليه نحو الشمال إقليم الأفلاج (للي) ثم إقليم الحريق (الحوطة) ثم إقليم الخرج (الدلم) ثم العارض (الرياض) ثم الوشم (شقرة) ثم سدير (الجمعة)؛ وينتهي طرف الهلال شمالاً بإقليم القصيم عند وادي الرمة (عنيزة وبئر يندة) ثم جبل شمر (حائل).

عدد البدو	عدد الحضر	المقاطعة
٧٠٠,٠٠٠	٤٠٠,٠٠٠	الحجاز
٤٥٠,٠٠٠	٧٥٠,٠٠٠	العسير
١,٣٠٠,٠٠٠	٨٠٠,٠٠٠	نجد
٢٠٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	الأحساء
٣٥٠,٠٠٠	١٥٠,٠٠٠	الملحقات الأخرى

وبلاد عُمان في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية تشبه بعض الشيء بلاد اليمن من حيث غلبة المرتفعات على سطحها (الجبل الأخضر) وتوفر الأمطار فيها ؛ والسكنى فيها مقتصرة على سفوح النجد الجبلى الهابطة نحو خليج عمان (حجر الشرقية والغربية) ، حيث تمتد الأودية المنخفضة ؛ وكذلك على السهل الساحلى (بُطينة) المشهور بنخيله وجوبه ؛ أما طرفها المشرف على بحر العرب فهو سهلى مقفر (جعلان ، البُطين ، وقسم من مهرة) والساحل المعاهد فى الشمال الغربى من عمان تغشاه رمال الربع الخلى ، وكان سكانه القلائل يعيشون من القرصنة ؛ وهم اليوم يحترفون صيد اللؤلؤ . وشبه جزيرة قَطَر على الخليج الفارسى تشمل بعض واحات للنخيل ومرافئ صغيرة لصيد الأسماك ولكن مورد سكانها الآن هو النفط ؛ وكذلك جزر البحرين وبلاد الكويت . وكان سكان هذا القطر الأخير يعيشون قبلا من الغوص على اللؤلؤ والمتاجرة به .

ومستعمرة عدن مدينة بعدد سكانها إلى النشاط التجارى للرفأ ؛ أما محمية عدن فقسما الأكبر جبال مرتفعة (حضرموت) ترسل نحو البحر أودية ميلية خصبة يتجمع السكان على أطرافها وحول الينابيع (كنهر حجر) ، ويعيش ٩٠ ٪ منهم معتمدين على موارد الزراعة .

(و) توزيع السكان في مصر والسودان :

وفي مصر أيضاً تتحكم الشرائط الطبيعية في توزيع السكان ؛ إلا أن الأمطار هنا معدومة الأثر ، والنيل وحده هو المسيطر على تجمع المواطنين ؛ والبلاد إما مزارع مكنتزة على أطراف النيل وفي الدلتا أو نجود وجمال وصحروات مقفرة ؛ ولولا خط المنخفضات العظيمة في الغرب ، حيث يقترب الماء من سطح الأرض وتتها الآبار الارتوازية ، لما عمرت واحات سيوه والبحرية والداخلية والخارجية .

والملاحظ في مصر أن النجود والسهوب المعتمدة على الأمطار القليلة والتي تصلح منتجعا للبدو المتنقلين هي محدودة الامتداد جداً ، وتكاد تقتصر على سواحل البحر المتوسط غرب الإسكندرية ؛ والأودية السيلية والآبار المتغذية بما يهطل على المرتفعات من أمطار تنحصر بمصر في بعض أطراف سيناء ، وفي القسم الجنوبي الشرقي من جبال الصحراء الشرقية على تخوم السودان (موطن بعض البشارين رعاة الإبل) ولضعف امتداد السهوب المطرية يقل البدو الرحل في القطر المصري (٥٥,٠٧٣ في تعداد سنة ١٩٤٧) . والمناطق المأهولة ، سواء على أطراف النيل أو في الدلتا أو في الواحات أو في المدن ، لم تزد مساحتها عام ١٩٥٠ عن ٣٦,٠٠٠ كم^٢ ، أي ما يعادل ٠,٣٦٪ من المساحة العامة ؛ وتقدر كثافة السكان فيها عام ١٩٥٢ بنحو ٥٩٣ بالكم^٢ ؛ وهي أعظم كثافة للسكان في العالم العربي ومن أشد الكشافات المعروفة في العالم . ولكن شبه جزيرة سيناء ومنطقة البحر الأحمر والصحراء الجنوبية (واحات الداخلة والخارجة) والصحراء الغربية (واحات البحرية والفرافرة وسيوة) لا يسكنها كلها سوى ١٨٥,٠٠٠ نسمة ، أي أقل من ١٪ من مجموع السكان ، ولا تزيد الكثافة فيها عن شخص واحد في كل خمسة كيلومترات مربعة .

(ملاحظة : الكثافة السكانية في مصر عام ١٩٥٢ : ١٨٥,٠٠٠ نسمة بالكم^٢)
(ملاحظة : الكثافة السكانية في السودان عام ١٩٥٢ : ١٨,٠٠٠ نسمة بالكم^٢)

البحرى ٥٨٠. من الفدان ، وذلك لضيق الأرض الزراعية على أطراف النيل فى مصر العليا ، واتساعها فى الدلتا بسبب تفرعات النهر ومشاريع الرى . ولإعادة التوازن السكانى المفقود نشاهد حركة انزلاق للسكان من الجنوب نحو الشمال ، كما نشاهد تياراً نزوحياً من الأرياف نحو المدن والبنادر .

وأوفر المديرىات ازدهاماً بالسكان هى أقربها إلى النيل وبالتالى أخصبها وأغناها زراعياً ؛ فقد تراوحت الكثافة عام ١٩٥٢ بين ٨٠٠ و ٩٠٠ بالكم^٢ فى مديرىات جرجا والجيزة والمنوفية والقليوبية . وأبعد المديرىات عن النيل هى البحيرة والشرقية حيث تهبط الكثافة إلى أقل من ٣٠٠ بالكم^٢ . وتقل الكثافة فى مديريةة أسوان لشدة الهجرة منها نحو السودان من جهة ونحو الشمال من جهة أخرى .

ويلاحظ أن المساحة المعمورة تتسع عاماً عن عام ، ولكن نمو السكان يطرد بنسبة أشد ، ولذلك لا تقف الكثافة البشرية عن التزايد . وفى المديرية الواحدة تختلف الكثافة ضعفين أو أكثر حسب قرب المكان أو بعده عن الماء^(١) . وترون فى الجدول التالى تزايد الكثافة وتباينها من منطقة لأخرى عام ١٩٤٧ و ١٩٥٢ :

(١) أنظر الأطلس الإحصائى ، القاهرة ١٩٥٢

المديرية	الكثافة العامة بالكم ^٢ عام ١٩٤٧	الحد الأعلى للكثافة عام ١٩٤٧	الحد الأدنى للكثافة عام ١٩٤٧	الكثافة المقدرة عام ١٩٥٢
الوجه البحرى				
البحيرة	٢٦٩	٤٥٠	٠٩٠	٢٩٤
الغربية والقواضية	٣٢٢	٧٥٠	١٢٠	٣٨٠
الدقهلية	٥٣٩	٨٦٣	٣٣٥	٦١١
الشرقية	٢٧٤	٦٢٠	٠٢٥	٢٥١
المنوفية	٧٣٦	٨٥٠	٦٥٠	٨٢٠
القليوبية	٧٣٢	٩٩٨	٦١٥	٧٩١
الوجه القبلى				
الجيزة	٨٠٧	٩٨١	٥٩٥	٩٠٥
بنى سويف	٥٧٣	٦٠٠	٤٣٠	٦٣٠
الفيوم	٣٧٨	٣٨٠	٢٨٠	٤١٠
المنيا	٥٢٦	٥٥٠	٤٥٠	٥٨٨
أسيوط	٦٧٧	٧٥٥	٥٥٠	٧٤٠
جرجا	٨٣٦	٩٨٠	٦٨٠	٩١٥
قنا	٦٠٨	٨٥٩	٤٢٠	٦٧٢
أسوان	٣٢٨	٤٧٠	٢٠٠	٣٦٢

والإقبال على سكنى المدن والبنادر يجعل لها كثافة سكانية عالية جداً ،
تفوق ما هي عليه في أكثر الدول الغربية الصناعية ، كما يتضح من الأمثلة
التالية (١) :

(١) الإحصاء السنوى للجيب ١٩٥٣ طبع القاهرة ١٩٥٤

المدينة	الكثافة بالسكن عام ١٩٤٧
القاهرة	١١,٧٠٤
الاسكندرية	١٢,٩١٠
دمياط	٢٤,٨٢٩
دمهور	١٤,٢٩٧
المنصورة	١١,٤٥٧
الزقازيق	١٢,٠٣١
الجزيرة	٤١,٣٤٨

ويتفرق السكان في السودان وتعيّن أنماط معيشتهم حسب ما تمنحهم البيئة الطبيعية من مياه جارية وأمطار وتربة ونباتات . والأمطار تجود بمقدار ٦٠٠ إلى ١٠٠٠ مم في الجنوب ، ثم تشح شيئاً فشيئاً نحو الشمال فلا يصيب منطقة الخرطوم منها سوى ١١٠ مم . وتمتد في الجنوب غابات كثيفة ومناقع عديدة ، وتليها نحو الشمال مروج عشبية عمراة لا تلبث أن تفقر بالتدريج وتحوّل إلى سهوب رعوية ثم إلى قفار مجذبة (صحارى البيوضة ، العظمور ، العتباى) .

ولئن كانت الأمطار ذات أثر في توزيع السكان ، فالأثر الأول يظل للأنهار والخيران والآبار ، التي تقوم عليها الحياة المستقرة ونصف المستقرة . ولذلك نجد أن أحفل المناطق السودانية بالسكان هي مديرية النيل الأزرق ؛ ويجمع فيها ٢١ ٪ من مجموع المواطنين رغم أن رقعتها تمثل ٥ ٪ فقط من جملة المساحة ، وتشغل سهل الجزيرة الخصيب الممتد بين النيل الأبيض والنيل الأزرق ؛ وبفضل سد سنار وأقيته تبلغ مساحة الأرض المروية هناك ٨٦٠,٠٠٠ فدان^(١) . وتبلغ الكثافة في هذه المديرية ١٣,٢ بالسكن (عام ١٩٥١) ، وهي أقل من الكثافة في مديرية الخرطوم المتاخمة لها

(١) Robin A. Hodkin : Sudan geography. London 1952, p. 83

(١٨ بالكم)؛ ولكنتا إذا امتدثينا سكان المدينة المثلثة (خرطوم الجنوبية ٧٥,٠٠٠ نسمة، خرطوم الشمالية ٣٤,٠٠٠، أم درمان ١٢٥,٠٠٠) فلا تزيد كثافة سائر المديرية الأخيرة عن ٩,٣ بالكم، لوقوع قسم كبير منها في منطقة المروج القصيرة والسهوب (سهل البطانة)؛ وامتداد السهوب فيها يساعد على وجود قبائل نصف بدوية (قبائل الشكرية بين عطبرة والنيل). ولقد استفادت مدينة الخرطوم من موقعها التجاري؛ وسكانها يعتمدون في تموينهم على تاج المناطق المجاورة والبعيدة.



ومن الطبيعي أن يزهد الأهلون في سكنى المديرية الشمالية لغلبة الصحارى القاحلة على أرضها، ويتجمع فيها السكان على ضفاف النهر، إلا بعض البدو المتجولين على أطراف صحراء البُيوضة (الهاوير)؛ وفي الجنوب الغربي تبدأ المنطقة شبه الصحراوية، فتنمو بعض الأشجار وتكتسى الأرض قليلاً من العشب، فتعيش هنالك قبيلة الكبابيش مع إبلها وماعزها وغنمها.

وتقع مديرتا كردفان ودارفور في الجنوب الغربي من المديرية الشمالية؛ وهما شبه صحراويتين في الشمال وتغشاهما المروج في الوسط والجنوب، ويعتمد السكان هناك على الآبار ومياه الأمطار لرى زرعهم، ويرعى قسم كبير منهم قطعان البقر (البقارة). والكثافة أشد في كردفان منها في دارفور بعد هذه الأخيرة وانعزالها في أقصى الغرب وضعف مواردها نسبياً.

أما مديرية كَسَلا في الشمال الشرقي فهي تمتد حتى سواحل البحر الأحمر، وتشمل بلاد البجة؛ وهي شبه صحراوية في الشمال حيث يتنقل الرعاة البشاريون؛ ولكن الجذب يخف على الجبال وفي الجنوب وتتهيأ سبل الزراعة، ويندفع السكان نحو التحضر والانتقال إلى حياة الاستقرار (الهدندوه) ^(١).

وفي الجنوب من القطر السوداني يعيش الوثنيون على رعاية الماشية وصيد الأسماك وبعض الزراعة (الآزند، الدنكا، النوير، الأنواك الخ. .). وتكون الكثافة البشرية متقاربة في مديرتي أعلى النيل وبحر الغزال والمديرية الاستوائية.

وتجدون في الجدول الملحق تقدير العدد السكان وتكاثفهم عام ١٩٥٢ :

(١) الدكتور محمد عوض محمد: السودان الشمالى القاهرة ١٩٥١، ص ٢٢ — ٢٩

المديرية	عدد السكان	المساحة بالكم ^٢	الكثافة
الخراطوم	٤٨٦,٤٢٠	٢٧,١٧٣	١٧٩
النيل الأزرق (وادمي)	١,٨٤٠,٥٨٢	١٣٩,٣٣٥	١٣٥٢
كردفان (الأبيض)	١,٦٧٣,٦٢٦	٣٨٠,٥٣٠	٤٥٤
بحر الغزال (واو)	٧٧٠,٩٦٤	٢١٣,٧٤٢	٣٥٦
أعلى النيل (الملاك)	٨٥٢,٢١٦	٢٣٨,٩٦٤	٣٥٦
الإستوائية (جوبا)	٦٣٣,٠٧١	١٩٨,١١٣	٣٥٢
كسلا	٧٨٨,٢٣٠	٣٣٤,٤٣٨	٢٥٣
دارفور (الفاشر)	١,٠٠٥,٥٧٠	٤٩٦,٣٥٥	٢
الشمالية (الدامر)	٧١٥,٥٤٩	٤٧٧,٠٥٠	١٥٥
المجموع	٨,٧٦٦,٢٢٨	٢,٥٠٥,٧٠٠	٣٥٥

(ز) توزيع السكان في ليبيا والمغرب العربي :

ولن نجدوا فارقاً ما في الظاهرات الطبيعية والاجتماعية عند انتقالكم من المشرق العربي إلى المغرب العربي؛ فحيثما تولوا وجودهم تشهدوا هذا الالتقاء العجيب بين الحقول المزروعة والفيافي الموحشة، وتروا انقسام الأهلى إلى زراع ونصف زراع حول الينابيع والأنهار وبداة في السهوب المعشبة ذات الآبار. فالطبيعة تفرض شرائطها القاسية، ويستجيب لها الإنسان خاضعاً مستسلماً؛ وقد يذل بعض الجهد في درء غوائلها أو استزادة خيراتها، فيقيم السدود ويشق الترع؛ ولكن هيمنة البيئة الجغرافية تبدو دوماً أظهر وأغلب.

وليبيا بلد لا نهر فيه؛ والأودية السيلية في نجد برقة وجبل طرابلس لا تكاد قراراتها تبتل بماء المطر إلا أياماً معدودة من السنة. واعتماد السكان في حياتهم يكون على الآبار وبعض الينابيع؛ وأمطار ليبيا تختص

بآلاتها رقعة ضيقة من الأرض في النجد البرقاوى ومرتفعات طرابلس
(جبل النفوسة).

ويسقط من المطر على سواحل برقة من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ مم سنوياً، وعلى
نجدها من ٥٠٠ إلى ٦٠٠ مم؛ ولكن لا تكاد تسير ١٠٠ كم من الساحل نحو
الجنوب حتى تناقص كمية الغيث إلى ١٠٠ مم، فتكون الأرض سهبية ذات
كلا ثم محراء جافة رملية وصخرية. ويتكرر المشهد في الغرب أيضاً؛
فيهطل في مدينة طرابلس ٣٥٠ مم من المطر، وفي زوارة الواقعة إلى غربها
على الساحل ٢٠٠ مم؛ وعمق المنطقة المطرية نحو الجنوب (من ٣٠٠ إلى ١٠٠ مم
سنوياً) لا يزيد في المتوسط عن ٦٠ كم؛ ثم تبدأ الصحراوات المترامية؛
وهي تمتد لسانها الظامى حتى ماء البحر عند خليج سدره في أوسط البلاد.

وهكذا تشغل الصحراوات الجافة ثلثي مساحة ليبيا على أقل تقدير؛
وفيها بعض منخفضات ذات عيون وآبار تحيط بها واحات فقيرة (جفوب،
جالو، أوجلة، كفرة في الشرق؛ غدامس، سبها، فزان ومرزوق، الغات
والقطرون في الغرب).

والصحراوات الجافة تغطي ثلثي مساحة ليبيا على أقل تقدير؛
وفيها بعض منخفضات ذات عيون وآبار تحيط بها واحات فقيرة (جفوب،
جالو، أوجلة، كفرة في الشرق؛ غدامس، سبها، فزان ومرزوق، الغات
والقطرون في الغرب).

والصحراوات الجافة تغطي ثلثي مساحة ليبيا على أقل تقدير؛
وفيها بعض منخفضات ذات عيون وآبار تحيط بها واحات فقيرة (جفوب،
جالو، أوجلة، كفرة في الشرق؛ غدامس، سبها، فزان ومرزوق، الغات
والقطرون في الغرب).



وتنقسم ليبيا إدارياً إلى ثلاث ولايات : برقة في الشرق وتمتدّ على نصف المساحة تقريباً ، ولكنها لا تشتمل إلا على ٢٩٪ من السكان ، وطرابلس في الشمال الغربي حيث يتمركز ثلثا السكان ، وفزان في الجنوب الغربي حيث يقيم على أطراف الواحات ٥٥٪ من مجموع السكان مع أن الولاية تحتل ثلث الأرض الليبية .

وهكذا تكون الكثافة ٤٥ و٢٠ بالكم^٢ في ولاية طرابلس ؛ بينما نجد شخصاً واحداً في كل ٢٥٣ كم^٢ من ولاية برقة ، وفرداً واحداً في كل ٧٣٠ كم^٢ من ولاية فزان : .

الولاية	المساحة بالكم ^٢	عدد السكان المقدر عام ١٩٥٣	الكثافة بالكم ^٢
طرابلس	٣٥٣,٠٠٠	٨٥٠,٠٠٠	٢.٤
برقة	٨٥٥,٤٠٠	٣٧٥,٠٠٠	٠.٤
فزان	٥٥١,١٤٠	٧٥,٠٠٠	٠.١
المجموع	١,٧٥٩,٥٤٠	١,٣٠٠,٠٠٠	٠.٧

واختلاف الأقاليم الطبيعية يفرض تنوع طراز المعيشة للسكان ؛ فنسبة المزارعين الثابتين هي ٣٧٪ من جملة السكان ، وأنصاف البدو يبلغون ٢٢٪ ، والبدو الرحل ٢٠٪ .

وبلاد الأطلس أشبه الأقطار العربية ببلاد الشام ، سواء في بنيتها ومناخها أو في ملاحظها الاجتماعية . فقوام تونس والجزائر ومرآكش جبال فنية شائخة تراصف البحر وتستمد منه نذاتها وتدين له بأحراجها وأدغالها ، وسهول ساحلية وداخلية خصيبة مروية تجود بالزرع ، ثم هضاب سهبية تصلح لرعى الأغنام ، ويلها جبال داخلية معرّة ومحفوفة بصحراوات شاسعة ذات واحات .

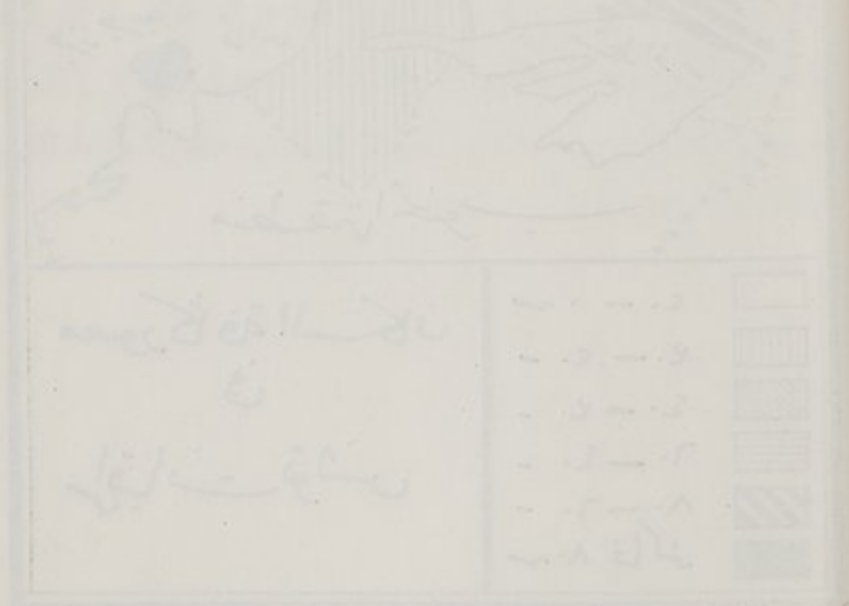
والأمطار هنا — كما في بلاد الشام — أعمق أثراً في حياة السكان من مسایل الأنهار ؛ ويتراوح مقدارها السنوى بين ٨٠٠ و ١٠٠٠ مم في منطقة السهول والجبال الساحلية (منطقة التل) ، وبين ٤٠٠ و ٦٠٠ مم في السهول الداخلية، وتهبط إلى ٢٠٠ — ٣٠٠ مم في النجود الوسطى، ثم إلى ١٠٠ — ٢٠٠ مم في الجبال المطلة على الصحراء . والمنطقة المطرية الملائمة للحراث تمتد وسطياً على عمق ٢٠٠ كم من البحر نحو الداخل .

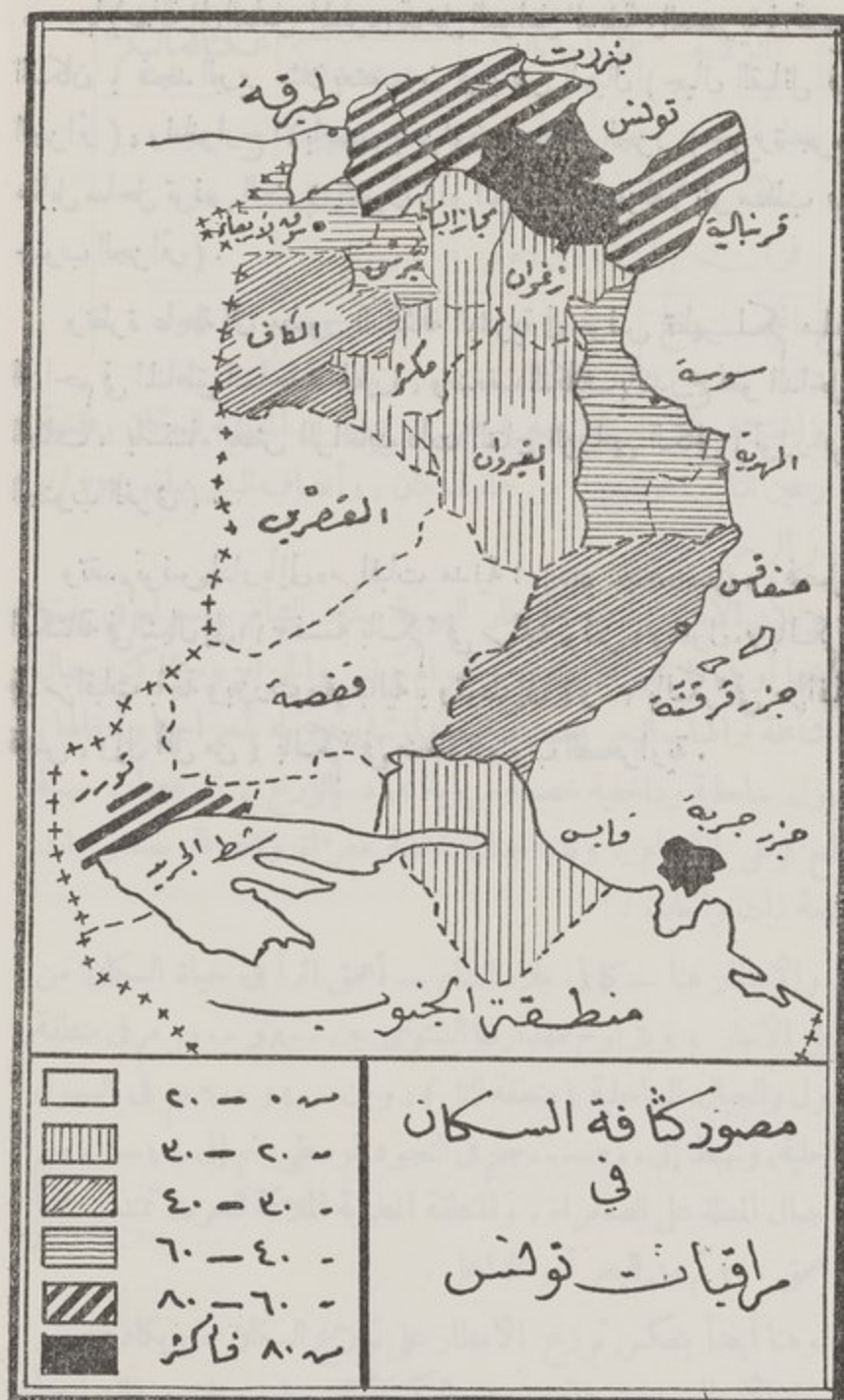
وهنا أيضاً ينعكس توزيع الأمطار على توزيع السكان ، ويكاد مصور خطوط الأمطار ينطبق على مصور الكثافة البشرية . ويلازم ذلك أيضاً انقسام الأهليين إلى مزارعين ثابتين ومزارعين نصف ثابتين وبداءة متنقلين .

وبالإضافة إلى العامل المطري تدخل العوامل الدينية والعنصرية في تجمع السكان ؛ فنجد البربر مثلاً يعتصمون في بعض الجبال (جبال القبائل في الجزائر) ، والخوارج الإباضيين ينزلون في بعض الجزر (جزيرة جربة مقابل ساحل تونس الجنوبي الشرقي) أو الواحات المنعزلة (بنو مَظب في جنوب الجزائر) .

ونظرة عاجلة إلى مصور الكثافة البشرية في تونس تظهر لكم مبلغ التزاحم في المناطق الساحلية المطيرة ، وضعف التكاثر بالتدريج نحو الداخل الجاف ، باستثناء بعض الواحات ذات النتاج الزراعي الكافي (توزر في الجنوب الغربي) .

وتقسم تونس إدارياً إلى «مراقبات مدنية : Contrôles civils» ؛ فنصل الكثافة في الشمال إلى ٢١١ نسمة بالكم^٢ في مراقبة تونس ، وحول ٧٠ بالكم^٢ في مراقبات باجة وبنزرت وقرنباية ؛ وتهبط إلى ٤ و ٢٠ بالكم^٢ في مراقبة قابس ، وإلى أقل من ٤ بالكم^٢ في منطقة الجنوب الصحراوية .





ويتناقص السكان في بلاد الجزائر من الشمال نحو الجنوب تبعاً لتناقص الأمطار ، كما في الجدول التالي :

المناطق	المساحة بالكم ^٢	عدد السكان عام ١٩٤٨	الكثافة بالكم ^٢
منطقة التل	٩٧,٦٠٠	٦,٤٠٢,٩١٩	٦٥,٥٥
توابع التل	٣٨,٤٠٠	٩٨٥,٣٢٩	٢٥
السهوب	١٨٨,٩٠٠	٦٦٨,٥٣٧	٣,٥٥
الصحراء	١,٨٦٦,٥٠٠	٦٢٥,٢٠٠	٠,٣٣
المجموع	٢,١٩١,٤٠٠	٨,٦٨١,٧٨٥	٤

المصدر: Encyclopédie d'Outre-Mer: Algérie, p. 10

فالمنطقة الشمالية (التل وتوابعه) تشمل ٨٥ ٪ من مجموع السكان ، مع أنها لا تمتد على أكثر من ٦,٢ ٪ من المساحة ؛ والسهوب والصحارى تشغل ٩٣ و ٨ ٪ من المساحة وتضم ١٥ ٪ فقط من السكان . وأكثر البقاع الجزائرية ازدهاماً بالسكان هي الأرياف المحيطة بمدينة الجزائر (الساحل وسهل متيجة) ثم جبال القبائل الكبرى والصغرى ؛ فتصل الكثافة البشرية هناك إلى ٢٠٠ بالكم^٢ .

ويتناقص السكان في بلاد الجزائر من الشمال نحو الجنوب تبعاً لتناقص الأمطار ، كما في الجدول التالي :

المناطق	المساحة بالكم ^٢	عدد السكان عام ١٩٤٨	الكثافة بالكم ^٢
منطقة التل	٩٧,٦٠٠	٦,٤٠٢,٩١٩	٦٥,٥٥
توابع التل	٣٨,٤٠٠	٩٨٥,٣٢٩	٢٥
السهوب	١٨٨,٩٠٠	٦٦٨,٥٣٧	٣,٥٥
الصحراء	١,٨٦٦,٥٠٠	٦٢٥,٢٠٠	٠,٣٣
المجموع	٢,١٩١,٤٠٠	٨,٦٨١,٧٨٥	٤

المصدر: Encyclopédie d'Outre-Mer: Algérie, p. 10

فالمنطقة الشمالية (التل وتوابعه) تشمل ٨٥ ٪ من مجموع السكان ، مع أنها لا تمتد على أكثر من ٦,٢ ٪ من المساحة ؛ والسهوب والصحارى تشغل ٩٣,٨ ٪ من المساحة وتضم ١٥ ٪ فقط من السكان . وأكثر البقاع الجزائرية ازدحاماً بالسكان هي الأرياف المحيطة بمدينة الجزائر (الساحل وسهل متيجة) ثم جبال القبائل الكبرى والصغرى ؛ فتصل الكثافة البشرية هناك إلى ٢٠٠ بالكم^٢ .

١ — أن الأراضي المصنفة « غير قابلة للزراعة » ليست بالضرورة عديمة الفائدة ؛ فالغابات والمراعي الطبيعية والمناطق قد تكون منتجة ومستثمرة بحيث تسهم في تنمية الثراء العام للامة . وللراعي الطبيعية على وجه الخصوص قيمة كبيرة في اقتصاد الوطن العربي لسعة امتدادها (مناطق المروج والسهوب) واعتماد السكان البداة ونصف البداة عليها في معاشهم .

٢ — أن تصنيف الأراضي إلى « قابلة للزراعة » و « غير قابلة للزراعة » هو تصنيف مؤقت مرهون بإمكانات مادية وفنية معينة في زمن معين ؛ فالصحراوات قد يروى بعضها ويصلح ، والمناطق قد تجفف وتستثمر ، والأحراج قد تقطع أو تحرق وتحوّل إلى حقول زراعية . وفي هذا الميدان يبدو تقدم الأمم أو تخلفها وتحكمها في الطبيعة أو خضوعها لها .

والتباين الملحوظ في التقديرات الدولية للمساحات القابلة للزراعة يرجع إلى الخلاف على المفهوم من هذا التعبير ؛ فبعض الدول تعني بذلك الأراضي التي يمكن زرعها بالوسائل ورؤوس الأموال المتوفرة في البلد ذاته ضمن حدوده الاقتصادية وفي الزمان الذي صدر فيه الإحصاء ؛ ودول أخرى تأخذ بالمعنى الأعم وهو الأراضي الممكنة للزراعة بأنجع الأساليب الفنية وعلى مقياس مالي عالمي ؛ فكل أرض تعتبر صالحة إذا كانت قادرة عن الانبات لو تهيأت لها وسائل الري .

ومهما يكن الأمر ، يجب أن نأخذ التصنيف المذكور على أنه متحرك متطور ؛ فلقد كانت مساحة الأراضي المصنفة « غير صالحة للزراعة » في سورية ١٢٠٥٤٢٩٠ هكتاراً عام ١٩٤٧ ، فنقصت إلى ١١٦٥١٦٤٧ عام ١٩٥٢ ثم إلى ١١٥٢٠١٠٧ عام ١٩٥٣ . ومشاريع التوسيع الزراعي في مصر ستستصلح من الأرض مائتي ألف فدان في الوجه البحري وحده حتى عام ١٩٥٦ ؛ ومشروع السد العالي في جنوب أسوان سيزيد المساحة الزراعية في مصر مليوني فدان ؛ ولا يمكن الكلام عن أرض غير صالحة في السودان

٤ - السطوح واستثمار الأرض

لا حظتم من الاستعراض الذي قننا به أن الكثرة الغالبة من سكان الوطن العربي مرتبطة بنتاج الأرض . وقد آن أن نتبين مبلغ وفاء الأرض العربية بالحاجات الأساسية للقيمين عليها .

وقبل الدخول في التفاصيل يجدر أن تتفق على تحديد بعض المفاهيم العامة . فعندما نتكلم عن الأرض الصالحة للزراعة أو للحرث نقصد بذلك^(١) :

(١) الأراضي المخصصة بالزراعات السنوية من حبوب وبقول وخضروات الخ...؛ والأراضي التي تزرع مرتين في العام لا تحسب إلا مرة واحدة .

(ب) الأراضي المتروكة بوراً في بعض السنين لراحتها .

(ح) أراضي المروج العشبية الموقته المزروعة للعلف والرعي .

(د) الأراضي المغروسة بالكرمة والزيتون والأشجار المثمرة المختلفة .

(هـ) جميع الأراضي التي يمكن زرعها ولكنها لا تزرع .

والأراضي المزروعة تشمل الأنواع المذكورة عدا الأراضي المبوّرة مؤقتاً والتي لا تزرع أبداً . أما الأراضي غير القابلة للزراعة فهي تشمل على :

(١) أراضي المراعي الطبيعية والاصطناعية الدائمة .

(ب) أراضي الأحراج والغابات .

(ح) أراضي الصحراوات والمناقع ، وذرى الجبال ، والصخور الصلدة ،

وسطح المياه الجارية ، والأراضي المشغولة بالعمران

والطرق الخ...

ويقتضينا هذا لتصنيف التنبيه إلى أمرين هامين :

(١) راجع الحولية الإحصائية للأمم المتحدة ، عام ١٩٥١ ، ص : ٨٣ .

النسبة إلى المساحة العامة ٪	الأراضي الصالحة للزراعة بالكم	البلد
٣٩,٥٥	١٥٤,٥٠٠	مراكش
٢٧	١٢٠,٠٠٠	العراق (١)
٥٠	٧٨,٩٠٠	تونس
٣٦,٩٦	٦٧,٥٦٣	سورية
٣	٦٣,٨٤٠	الجزائر
٣,٥٥	٣٤,٨٩٠	مصر
٨,٩٤	٢٩,٨٦٠	ليبيا (ولاية طرابلس) (٢)
٥,٥٩	٢٣,٨٣٠	السودان
٤٤,٥٤	١٢,٠٠٠	فلسطين (٣)
٥,٥٣	٤,٨٠٠	شرقي الأردن (٤)
٤٢,٥٢	٤,٣٩٠	لبنان
٨	٥٩٤,٥٧٣	المجموع

المصدر : الحولية الإحصائية للأمم المتحدة عام ١٩٥١ والمجموعات الإحصائية الخاصة بكل دولة .

(١) أخذنا بتقدير مديرية الري العامة في تقريرها المطبوع ببغداد عام ١٩٥٤ ، ص ٢٦ ؛ بينما جاء في نشرة مجلس الاممار عام ١٩٥٣ (ص : ١) أن الأراضي الصالحة للزراعة تقدر بنحو ٢٢ مليون مشارة (٥٠٠ ر ٦٢ كم^٢)

(٢) نقلا عن الحولية الإحصائية للأمم المتحدة عام ١٩٥١ . وقد ورد في بحث مقدم إلى حلقة الدراسات الإجتماعية العربية الرابعة من الأستاذين فتح الله محمد الرصافي وتوفيق حسن وصفي أن الأراضي الصالحة للزراعة في ليبيا توزع كما يلي : ولاية طرابلس : عشرة ملايين هكتارة ولاية برقة أربعة ملايين (الآثار الاجتماعية للتنمية الزراعية والصناعية في المملكة الليبية المتحدة - تقرير مستنسخ ص ٦)

(٣) نقلا عن A. Bonné : The economic Development of the Middle East, London 1945, p. 63.

= (٤) =

ومصر ما لم يستنفد البلدان جميع إمكانات الري بمياه النيل، وهما لا يستخدمان منها سوى نصفها^(١). وإذا تم إرواء بلاد الكويت بمياه شط العرب تحولت من قفار مجربة إلى جنات منبثة. ومشروعات الري التي أنجزت في العراق منذ تأسيس العهد الوطني رفعت المساحة المزروعة على ضفاف الفرات إلى ٦٧١,٠٠٠؛ مشاركة؛ والمشروعات التي لا تزال قيد التنفيذ ستزيد هذه المساحة إلى الضعف تقريباً؛ وستؤدي مشاريع الري من دجلة إلى زراعة ٩ ملايين مشاركة^(٢).

وهكذا فإن الأرقام التي سنوردها قد تنم عن واقع راهن، ولكنها ليست بذات دلالة على المستقبل، لأن دراسة فنية كاملة لإمكانات الأرض العربية لم تتم بعد. وعلى كل حال ليس لهذه الأرقام سوى قيمة تقريبية لأن أعمال التحديد والتحرير (التسوية) مازالت في مراحلها الأولى. بل لعلها لم تبدأ بعد في أكثر بلدان العالم العربي.

وسترون أن بعض البلاد العربية قد أخذت في تقدير المساحة الصالحة للزراعة بالمفهوم الواسع، وأخذ غيرها بالمفهوم الضيق، وستجدون تبايناً في تقديرات البلد الواحد حسب الدائرة التي قامت بالتخمين.

.....

(١) H.E.Hurst: Le Nil. Trad. A. Guieu, Payot, Paris, 1954, p. 274

(٢) المشاركة العراقية أو الدونم = ٢٥٠٠ م^٢ أو ٦٠ و. فدان مصري.

المستمر ، وإنما الحل الأمثل هو في السير نحو معالجة المشاكل العربية على أساس الوطن العربي الموحد ؛ فالبلد الضعيف التكاثف يستمد السواعد المنتجة التي تعوزه من البلد المفرط الكثافة .

كثافة السكان على الأراضي الصالحة للزراعة بالكم ^٢		
٦٢٢	(١٩٥٣)	مصر
٣٧٠	(١٩٥٢)	السودان
٣٠	(١٩٥٢)	لبنان
١٤٥	(١٩٥٣)	الجزائر
٠٠٨	(١٩٥٢)	مراكش
٠٠٦	(١٩٥٣)	سورية
٠٤٦	(١٩٥٢)	تونس
٠٤٣	(١٩٥٠)	العراق

وقد تعجبون لشدة الكثافة الزراعية في السودان العربي (٣٧٠ بالكم^٢) وضآلة الكثافة الحسائية فيه (٣٥ بالكم^٢) ؛ ويزول منكم العجب عندما تذكر أن المروج والمراعي تحتل من هذا القطر ٢٤٠,٠٠٠ كم^٢ ، وهي لا تدخل في الأرض المصنفة « قابلة للزراعة » رغم أنها تزخر بالأنعام ويعيش على نتاجها قسم كبير من السكان . وقد سقنا لكم هذا المثال لتنبيهكم مرة أخرى على أن الكثافات ليست المقياس الوحيد لمعرفة الوضع الاقتصادي الصحيح في بلد ما .

وقد تكون الأراضي المزروعة فعلاً أصدق شهادة على الكيان الزراعي للبلدان العربية ؛ فهي تدل على أن جميع هذه البلدان لا تزال تتمتع ببنائض غير مستثمر من الأرض الصالحة ، إما لنقص الوسائل الفنية والأيدى العاملة ، وإما لأن الأراضي تعتمد على رى المطر ويجب تبوير بعضها وزرع البعض الآخر على التناوب .

وبالقياس والمقارنة نستطيع أن نصل إلى حصر تقريبي للمساحات القابلة للزراعة في الوطن العربي كاملاً؛ والأقطار العربية التي لم تدرج في الجدول السابق أكثرها صحراوي هزيل الامكانيات الزراعية؛ وبكثير من التفاؤل نستطيع أن نطبق على مجموعها النسبة المئوية لجملة البلاد العربية المدرجة في الجدول السابق، أي نفرض المساحات الصالحة فيها مساوية لثمانية بالمائة من مجموع المساحة العامة. وهكذا يمكننا القول بصورة تقريبية أن الأراضي القابلة للزراعة في العالم العربي كله لا تتجاوز ٩٠٠,٠٠٠ كم^٢؛ فتكون الكثافة الزراعية ٩١ نسمة بالكم^٢ أي ما يعادل هكتاراً لكل شخص؛ وهي نسبة معقولة لو كانت المساحة الصالحة تزرع كلها وتستخدم فيها الوسائل الانتاجية الحديثة؛ وقد قدر أن الغذاء اليومي لكل مواطن فرنسي يقتضي حالياً مساحة قدرها ٩٠ إلى ١٠٠ آر^(١)؛ ولكن فرنسا لا تمتلك سوى ٢١١,٣٠٠ كم^٢ من الأرض الممكنة للفلاحة^(٢)، فيصيب كل فرنسي إذن نصف هكتار أي نصف ما يجب لمزوته ونصف ما يصيب وسطياً كل مواطن عربي؛ ويعوض الفرنسيون ما ينقصهم بالاعتماد على رفقهم مستعمراتهم وموارد صناعاتهم.

وهكذا يبدو أن ليس ثمة حتى الآن مشكلة للأرض الزراعية في العالم العربي مجتمعاً؛ ولكن المشكلة تعظم بالنسبة لبعض البلدان العربية، وخاصة مصر حيث تصل الكثافة الزراعية إلى ٦٢٢ بالكم^٢؛ وليس حلاً سليماً إتباع سياسة تحديد النسل — كما يقترح بعضهم — للحد من تصاعد الكثافة

== والؤلف من خبراء الصهيونيين في التحريات الاقتصادية. أما تقدير منظمة الأمم المتحدة فهو ٦٩٧٠ كم^٢ (١٩٤٧)؛ وقد رجحنا التقدير الأول لأنه يحسب حساب جميع المشروعات المائية الممكنة التنفيذ في فلسطين وتقدير المساحات الصالحة للزراعة في فلسطين المحتلة وحدها بنحو ٨٠٠ كم^٢ (L'avenir économique d'Israël par l'Alliah des Jeunes, Paris, 1949, p. 41)

(٤) بقدر (بونية) المساحة الصالحة من شرق الأردن بـ ٤٦٠٠ كم^٢ فقط
(٥) J. E. Gravier : Productivité et population. Revue Popula-

tion, 5e année, No. 2, avril — juin 1950, p. 302.

(٦) الحولية الإحصائية للأمم المتحدة عام ١٩٥١

والمعضلة الكبرى في إقتصاد العالم العربي ليست ضيق الأرض الزراعية، بل قلة المروى منها رياً دائماً، وباستثناء مصر تعتمد جميع البلاد العربية على ري الأمطار قليلاً أو كثيراً^(١)؛ والأمطار لا تهطل بانتظام أكثر السنين، بل قد تنحبس سنوات طويلة، فيعم القحط ويتضور المزارعون وتسوء الحالة الإقتصادية في البلاد كله. وحياة قلقه مرتبكه مثل هذه لا بد وأن يكون لها بليغ الأثر في سمات المجتمع وفي الطبائع النفسية الباطنين.

٥ - احمد المازنم لاطار :

ويسوقنا بحث الكشافة إلى التساؤل: أليس للأرض إمكانات عضوية
تزوّدها لتغذية عدد معين من السكان فإذا تجاوزوه ضاقت الأرض بهم
وعجزت عن تغذيتهم؟ وفي حالة مثل هذه ألا يكون تزايد السكان شراً
يجب تفاديه؟

ولقد أشرنا فيما سبق إلى النمو المضطرب في عدد سكان الأرض. واستمرار هذا النمو جل ولا يزال يحمل الإقتصاديين على التفكير في مصير البشرية ، والحيولة دون ما يتوقعون لها من بؤس وضنك ، بسبب زيادة الأفراد وضمور الموارد .

والواقع أن البشرية تزاد كل يوم سبعين ألف نسمة ، وقد قال أحد الاقتصاديين ذات يوم لتلاميذه : منذ بدأت محاضرتي عليكم أتى إلى العالم ٥٠٠ طفل جديد يدفعون من سبقهم ليحتلوا مكانا على الأرض .

== (٣) بلغت المساحة المزروعة فعلا في العراق عام ١٩٥٢ : ١٠٨١٠٨١٠٨ مشاركة
يضاف إليها ٦٥١.٦١٢ مشاركة مستخدمة في استنبات أشجار الفواكه والكروم (المجموعة
الإحصائية السنوية العامة ١٩٥٣ ص : ١٠٥)

(٤) يدخل في المجموع مساحة الزمام المزروع في مصر دون المساحة المحصولة.

(١) تبلغ نسبة الأراضي المتمتعة بالرى الدائم ٥٢٪ من جملة الأراضي المزروعة في العراق و ٤٢٪ في السودان و ١٤٪ في سورية و ١٣٪ في فلسطين المحتلة و ٤٪ في المملكة الأردنية

ومصر هي البلد الوحيد في العالم العربي الذي يستثمر أرضه مرتين في السنة لتوفر الري الدائم ؛ ولذلك تزيد فيه مساحة المحصولات على مساحة الأرض المزروعة .

وسيتضح لكم من الأرقام التالية أن الكثافة الإنتاجية تظل متفاوتة من قطر لآخر ؛ ولئن كانت هذه الكثافة لا تبلغ إلى ما تبلغ إليه في هولندا وبريطانيا واليابان مثلاً ، فوقعتها أشد في بعض البلدان العربية لأن كثرة السكان هنا يعيشون من الموارد الزراعية .

القطر	الأرض المزروعة بالكم ^٢	النسبة المئوية إلى الأرض الصالحة	الكثافة الإنتاجية بالكم ^٢
مصر (الزمام المزروع)	٢٤٥٠٠	٧٠	٨٩٥
» (مساحة المحصول)	٣٩٠٦٥		٥٦١
لبنان	٢٣٩٠	٥٤	٥٥٢
السودان	١٧٠٠٠	٧١	٥١٥
فلسطين المحتلة ^(١)	٤٠٠٠		٤١٢
المملكة الأردنية ^(٢)	٦٦٧٨	٦٣	٢٠٠
الجزائر	٣٨٢٣٠	٦٠	٢٤٢
مراكش	٥٠٠٠٠	٣٢	١٨٠
العراق ^(٣)	٢٦٥٥٠	٢٢	١٩٢
تونس	٢٣٠٦٠	٢٩	١٥٦
سورية	٣٦٦٩٢	٥٤	١٠٢
المجموع ^(٤)	٢٢٩,١٠٠	٤٠	٢٩٥

(١) عن الكتاب السنوي لفلسطين المحتلة (١٩٥٢) ص ٣٤١

(٢) تبلغ مساحة « أراضي المفتاح » في المملكة الأردنية ٢٨ ر ٩٢٨ دونم والأراضي المشجرة ١٣٥ ر ٧٥٠ دونم (مخاضرات في إقتصاديات الأردن ، للاستاذ علي الدجاني ، طبع معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٤ ، ص : ٣٢) .

يحمل أن الرقي الصناعي سيزيد من الموارد ويرفع من مستوى المعيشة. وبالنظر
تضاعف سكان بريطانيا بعد مالتوس مرات ثلاث ، وازداد في الوقت نفسه
رفههم وحسنت تغذيتهم .

وذهب علماء آخرون إلى أن الشعوب تصل إلى مرحلة يبلغ فيها مستواها
المعاشي حده الأعلى ، فإذا زاد سكانها انخفض هذا المستوى . وهذا ما يدعى
بالحد الموافق أو الملائم للسكان (أو السكان في حالة الكمال : optimum)
وهذا التوازن المثالي بين عدد السكان وكمية الموارد يقاس بالدخل الفردي
أو سوية المعيشة . بيد أنه من العسير معرفة متى يصل البلاد إلى الحد الموافق ،
ومتى يكون زائداً عنه (surpeuple) أو ناقصاً (sous-peuple) ؛ فقارنة حاجات
الإستهلاك بإمكانات الإنتاج تتعلق بالحضارة المادية لكل شعب وبمستواه
العقلي ومعتقداته وطباعه .. وقد يعتبر الأمريكي نفسه بائساً وهو يتمتع برفه
لا يحلم به أبناء الهند الصينية مثلاً ...

والكثافة العددية ليست بذات دلالة على زيادة السكان عن الموارد أو قلتهم ،
لأن السكان لا يعيشون من موارد الأرض وحدها .

وعدد العمال العاطلين عن العمل ليس أيضاً دليلاً على وفرة السكان وقلة
الموارد ، بل قد يرجع ذلك إلى سوء توزيع العمل ، وخاصة إلى فساد التنظيم
الاقتصادي والاجتماعي . وقد تكون موارد الأمة كافية لإعالة العاملين وغير
العاملين ؛ والبرهان على ذلك أن كثيراً من الدول تدفع للتعطلين تعويضاً
مالياً ، وهذا دليل على غنى الأمة بمجموعها .

الحقيقة أن فكرة الحد الزائد للسكان هي فكرة نسبية لا مطلقة ، وذلك
للاسباب الآتية :

١ — في العالم اليوم مساحات شاسعة غير مستثمرة . والبؤس المشاهد
في بعض المناطق يزول إذا تغير توزيع السكان .

٢ — أن القدرة الإنتاجية متفاوتة لدى الشعوب ومن الممكن الحصول

ولا سبيل إلى التكران أيضاً أن اكتظاظ بعض المناطق بالسكان قد أفضى إلى فقرهم وشقائهم كما هو الحال في بلدان الشرق الأقصى .
ولكن الكثرة العددية وحدها ليست مقياساً للفاقة ، وكـم من بلاد ضئيلة الكثافة السكانية وتشكو العوز والمجاعة ، بينما تكون بلاد أخرى أرفه حالاً مع شدة إزدحام السكان فيها .
ويجب أن لا ننسى بأن كثرة السكان كانت سبباً في إعمار الأرض ونشر الحضارة (١) .

والسكان القلائل قلما يستطيعون القيام بمشاريع إقتصادية ضخمة تساعد على تنمية كسبهم ورفع مستوى معيشتهم ، كأعمال الري وفتح الطرق واستثمار المناجم الخ ...

ومنذ القديم نبه بعض فلاسفة اليونان إلى أخطار كثرة السكان . وتعرفون أن الانجليزى توماس مالتوس (Malthus) (١٧٦٦ - ١٨٣٤) قد عبّر عن هذا التشاؤم بوضوح وصراحة ، فهو يزعم في (كتاب عن مبدأ السكان) عام ١٧٩٨ : أن سكان الأرض يتكاثرون بنسبة هندسية ، بينما موارد الأرض تزداد بنسبة عددية . وهو يقول : « كل مولود جديد يأتى إلى العالم لاحق له في نصيب من الغذاء ، إذا لم تكن أسرته تستطيع إعالة ، أو لم يكن المجتمع قادراً على إياد عمل له ، فهو زائد على الأرض ، وليس له مكان على مائدة الطبيعة ، والطبيعة تأمره أن يزول ، ولا تلبث أن تنفذ أمرها ... » وهو لذلك يحث على العفة والإقلال من الزواج وتحديد النسل .

إلا أن مالتوس كان متأثراً بما رأى من تزايد الشعب البريطانى ، ولم يكن

(١) من المراجع العربية عن هذا الموضوع : كتاب : سكان هذا الكوكب للدكتور محمد عوض محمد . القاهرة ١٩٢٦ ، ص ١٤٠ - ١٦٦ ويراجع أيضاً : كتاب : العناصر الحيوية لمشكلة السكان في مصر ، للاستاذ السيد عبد الحميد الدالى . القاهرة ١٩٥٤ ، ص : ٣٣٤ - ٣٩٤ ؛ وكتاب : دراسة تحليلية لإحصاءات ونمو السكان في مصر تأليف الدكتور جمال الدين محمد سعيد . القاهرة ١٩٥٢ ، ص : ١٣١ - ١٦١ .

الفصل الخامس

الذكور والإناث وفئات الأعمار

١ - رمح عمر النساء في العالم

إن معرفة مقدار الذكور والإناث في شعب ما تثير بعض الجوانب الاجتماعية والاقتصادية من حياته ؛ فقلة النساء أو كثرتهم لها مساس بمشاكل الزواج والطلاق ، كما لها علاقة بتوزيع العمل على المواطنين . والملاحظ في جميع بلاد العالم أن المواليد الذكور يزيدون عن المواليد الإناث ؛ ولكن الأمر ينعكس في نهاية الحياة ، فيبقى من الإناث أكثر مما يبقى من الذكور ؛ وهذا يعني أن الموت أشد فتكاً بالرجال منه بالنساء . ومن حيث المجموع نجد أن عدد النساء يتفوق على عدد الرجال في أكثر دول العالم ؛ ولكن التباين بين الجنسين ليس كبيراً ؛ ولا نعرف في العالم بلداً يبلغ فيه الرجال أقل من ثلثي النساء أو بالعكس .

ويكثر الرجال خاصة في البلاد التي فتحت أبوابها للمهاجرين ، وهؤلاء هم على الغالب من الشبان الذكور ؛ والنساء كثيرات في البلاد التي تشتد الهجرة منها .

والملاحظ أن الحرب العالمية الأخيرة قد قضت على عنصر الشباب من الذكور فزادت من نسبة النساء ؛ وارتفعت نسبة النساء كذلك في بلاد العالم الجديد التي حدثت الهجرة إليها .

وفيما عدا هذه الحالات الخاصة نجد أن نسبة النساء إلى الرجال آخذة بالتناقص ، وذلك لأسباب عدة أهمها :

على منتج أوفر بتحسين سبل الانتاج وإستعمال الوسائل الفنية فى الزراعة والصناعة .

٣ - فى كثير من الظروف يكون البؤس ناجماً عن الجهل والكسل ، أو عن سوء التنظيم الاقتصادى والاجتماعى ، كأن تكون فئة قليلة من المواطنين تملك أكبر حصة من الأرض وأعظم نصيب من المال . ولا يمكن أن يكون هنالك تعريف مطلق لحد السكان الزائد إلا إذا ثبت أن القدرة الانتاجية قد بلغت حدّها الأقصى ولا يمكن زيادتها ، وهذا لم يتحقق ، بل المشاهد هو العكس ؛ فقدرة البشر الانتاجية لا تنفأ فى نمو . والأمم العربية تحل مشكلة تزايد السكان فى هذا العصر بالتحديد الطوعى للنسل (Birth Control) ؛ لكن الإقلال من الذرية له خطره على السكان القومى للأمة وقدرتها الدفاعية ؛ ولذلك يندد بعض المفكرين والسياسة بهذه المتوسية الجديدة ، ويؤمنون بأن العلم كفى بأن يخلق دوماً من الموارد ما يكفى لإعاشة البشر ولزيادة رفاهتهم وسعادتهم .

وفما يختص بالشعوب العربية فإن أكثرها لم يصل بعد إلى درجة من الكثافة تخشى معه تجاوز الحد الملائم . ولا صير على العالم العربى من نمو مواطنيه ، وبالتالى من ارتفاع الكثافة فيه ، إذا أخذ بالحلول التالية :
١ - رفع الحدود بين الدول العربية القائمة وتنظيم انتقال السكان فيما بينها .

٢ - توسيع الأرض المستثمرة بتوسيع شبكة الرى الدائم ؛ فقد حسب أن الأسرة المتوسطة تحتاج إلى ٢ أو ٣ هكتار فى الأراضى المروية ، وإلى ١٢ و ١٥ هكتار فى الأراضى البعل .
٣ - زيادة القدرة الانتاجية فى الزراعة باستعمال الأسمدة والآلات الخ .
٤ - التعمارن على دعم التصنيع وتنسيقه فى مختلف الأقصار العربية بحيث يتم بعضها بعضاً .

نسبة النساء إلى ١٠٠٠ من الرجال				
الدولة	السنة	النسبة	السنة	النسبة
النمسا	١٩٣٤	١٠٨١	١٩٥١	١١٥٥
المانيا	١٩٣٩	١٠٤٤	١٩٥١	١١٣٢
انجلترا	١٩٣١	١٠٨٨	١٩٥٢	١٠٨٠
البرتغال	١٩٣٠	١٠٩٧	١٩٥١	١٠٧٨
يوغوسلافيا	١٩٣١	١٠٢٢	١٩٥٢	١٠٦٤
فرنسا	١٩٣٦	١٠٨٠	١٩٥٣	١٠٦١
سويسرا	١٩٣٠	١٠٧٧	١٩٥١	١٠٥٠
اليابان	١٩٣٥	٩٩٤	١٩٥١	١٠٣٨
بلجيكا	١٩٤٠	١٠٢٨	١٩٥١	١٠٣١
الولايات المتحدة	١٩٤٠	٩٨٩	١٩٥٢	١٠٢٦
النرويج	١٩٣٠	١٠٥٢	١٩٥١	١٠١٦
الدانمارك	١٩٣٥	١٠٣٢	١٩٥٢	١٠١٦
هولندا	١٩٣٠	١٠١٣	١٩٥٢	١٠٠٨
البريزيل	١٩٢٠	٩٨٤	١٩٥٠	١٠٠٧
السويد	١٩٣٥	١٠٢٣	١٩٥٠	١٠٠٥
تركيا	١٩٣٥	١٠٣٦	١٩٥٠	٩٨١
استراليا	١٩٣٣	٩٦٩	١٩٥٢	٩٧٤
كندا	١٩٣١	٩٣١	١٩٥٢	٩٧٣
الهند	١٩٤١	٩٣٥	١٩٥١	٩٤٦

وتختلف السن التي يبدأ فيها عدد النساء بالتفوق على عدد الرجال ؛ ففي الولايات المتحدة والبريزيل وسويسرا والبرتغال مثلاً يبدأ رجحان النساء في فئة السن ١٥ - ١٩ ، بينما هو في سن ٢٠ - ٢٤ بكندا و ٢٥ - ٢٩ (م - ٧ أحوال السكان)

(أ) إن عدد النساء كان يربو على عدد الرجال لكثرة الوفيات بين هؤلاء الآخرين ؛ ولكن الوسائل الطبية الحديثة من شأنها أن تقضى على هذا الفارق أو تخفف منه .

(ب) إن المرأة بدأت تقتحم ميادين العمل كلها ، ولم تعد بمنجاة من الأخطار التي كان يتعرض لها الرجل وحده .

(ج) إن تيارات الهجرة من العالم القديم إلى العالم الحديث قد ضعف شأنها ؛ فلم يعد هنالك بلاد تفقر بالرجال وأخرى تزخر بهم .

هذا وأن الحروب الجماعية الحديثة سيكون من نتائجها زيادة تدنى الفرق في العدد بين الجنسين ؛ لأنها لم تعد تهلك الرجال المحاربين وحدهم بل يعم شرها السكان جميعهم .

وتظهر لكم في الجدول الآتي نتائج الهجرة والحروب في البلاد التي تعرضت لها ، فانسأ وألمانيا واليابان خاصة خلت من الرجال بسبب الحرب بينما زادت نسبة النساء في بلاد العالم الجديد لتوقف سيل الهجرة .

الذكور في المهجر ؛ ونسبة النساء إلى الرجال بين المغتربين الجزائريين في فرنسا لا تتجاوز ١٠٠/٢ (١) ؛ وبما أن تيار الهجرة هو ضعيف بين مسلمي مراکش وتونس فإن نسبة الرجال فيهما تظل أعلى من نسبة النساء ؛ فيقابل كل ١٠٠٠ رجل ٩٩٦ امرأة في مراکش و٩٥٨ في تونس .

وقد دلّ تعداد عام ١٩٤٧ أن نسبة النساء في مصر هي ١٠٢٠ امرأة لكل ١٠٠٠ رجل ؛ أي أن الذكور يبلغون ٤٩٥٠/١٠٠ من جملة السكان ، والانات ٥٠٥٠/١٠٠ . ويلاحظ اضطراب في النسبة بين الجنسين في التعدادات السابقة :

سنة التعداد نسبة الذكور إلى جملة السكان

سنة التعداد	نسبة الذكور إلى جملة السكان
١٨٨٢	٠/١
١٨٩٧	٤٩٥٨
١٩٠٧	٥٠٥٧
١٩١٧	٥٠٥١
١٩٢٧	٥٠
١٩٣٧	٤٩٥٧
	٥٠

أما بعد ١٩٤٧ فالتقديرات المبينة على الزيادة الطبيعية تدل على تزايد قليل في نسب الذكور (٢) :

سنة التعداد نسبة الذكور إلى جملة السكان

سنة التعداد	نسبة الذكور إلى جملة السكان
١٩٤٨	٤٩٥٥
١٩٥٠	٤٩٥٥
١٩٥١	٤٩٥٦
١٩٥٢	٤٩٥٧
١٩٥٣	٤٩٥٨

ولا تعليل لهذه الظاهرة سوى تناقص الفرق في الوفيات بين النساء والرجال . ومهما يكن من أمر فإن تعداد عام ١٩٤٧ يكشف عن وفرة الرجال

(١) Documents Nord-Africains. Document No. 130. Mars 1954

(٢) الأحصاء السنوي للجيب .

بتركيا و٤٠ — ٤٤ بفرانسا والنرويج و٧٠ — ٧٤ في الهند .
وفي السنوات المتقدمة من العمر يصبح النساء ضعف الرجال في بعض
البلدان ؛ والأمثلة التالية توضح هذا التفوق بعد سن الخامسة والثمانين :

البلد	السنة	عدد النساء	عدد الرجال
بلجيكا	١٩٥١	٢٥,٢٩٣	١٤,٧١٥
سويسرا	١٩٥١	١٠,٥١٢	٥,٦٦٥
البرتغال	١٩٥٠	٢١,٨٧٣	٨,٩٨٠
فنلندا	١٩٥١	٦,٦٠٠	٢,٧٠٠
فرانسا	١٩٥٣	١٥٧,٦٠٠	٦٤,١٠٠

٢ — الذكور والإناث لدى الشعوب العربية :

يتضح من الإحصاءات العربية في حالتها الراهنة أن عدد النساء يرجح
على عدد الرجال في العراق والجزائر ومصر ؛ وينقص عنه في مراکش
وتونس وسورية ولبنان والمملكة الأردنية . وفي مجموعة البلاد العربية ذات
الإحصاءات يتساوى الجنسان في العدد .

وكنا أشرنا إلى الشكوك التي تحوم حول إحصاءات الذكور والإناث
في العراق^(١) ؛ وذكرنا أن بعض العراقيين قد ألفوا تسجيل البنين على أنهم
بنات خوفاً عليهم من الجندية ؛ ولذلك بلغت نسبة الإناث إلى كل ١٠٠٠
من الذكور ١١٣٣ في عام ١٩٤٧ ؛ ولو صحّ هذا الرقم لكانت العراق الدولة
الثانية في العالم بعد النمسا من حيث عدد النساء ؛ ومما يؤكد الرية أن نسبة
النساء إلى ١٠٠٠ من الرجال لم تزد في العام نفسه عن ٩٣٨ في قضاء
العاصمة بغداد .

أما في بلاد الجزائر فيقابل كل ١٠٠٠ ذكر بين المسلمين ١٠١٦ أنثى
(عام ١٩٥٣) ؛ وهذا رقم معقول في بلد يعدّ مئات الألوف من أبنائه

(١) راجع ص : ١٧

والإحصاءات السورية — على عللها — تدل على تكاثر مستمر في عدد الذكور ؛ ولكنها لا تشف عن كثرة النساء في المدن وقلتهن في الأرياف ، وذلك لسببين : أولهما أن سورية لا تقوم بتعداد دوري للسكان فتسجل كلا في المكان المقيم فيه ؛ وثانيهما أن تسجيل النساء أدنى إلى الصحة في الحواضر منه في القرى والساكنة .

وتستدلون على تكاثر الذكور من الأرقام التالية :

نسبة النساء إلى ١٠٠٠ رجل في سورية			
السنة	النسبة	السنة	النسبة
١٩٣٧ :	٩٩٧	١٩٤٩ :	٩٦٣
١٩٤٥ :	٩٧٢	١٩٥٠ :	٩٦٣
١٩٤٦ :	٩٧١	١٩٥١ :	٩٦٣
١٩٤٧ :	٩٧١	١٩٥٢ :	٩٥٩
١٩٤٨ :	٩٦٨	١٩٥٣ :	٩٥٦

وهذا التدنى المضطرب في نسبة الاناث يشاهد في جميع المحافظات عدا الجزيرة ؛ وذلك أن هذه المحافظة الغنية كانت حتى أمد قريب محطّ الهجرات الداخلية والخارجية ، فحفلت بالوافدين من الرجال ؛ ولما خفت وطأة الهجرة أخذ التوازن بين عدد النساء والرجال يعود إلى سننه الطبيعي .

وقد كانت نسب الاناث إلى الذكور في المحافظات السورية كما يلي في عامي ١٩٣٧ و ١٩٥٣ :

الجزيرة

٨٧٧

اللاذقية

٧٧٦

الحمص

٧٧٦

الدمشق

٥٦٨

في المدن وبعض البنادر وقلتهم نسبياً في الأرياف ؛ وقد يُعزى ذلك إلى
نزوح الذكور نحو المدن ، كما يُعزى إلى ارتفاع نسبة الوفيات بين الرجال
في الأرياف :
نسبة الاناث إلى ١٠٠٠ من الذكور في مصر عام ١٩٤٧ (عدا البدو) :

محافظات المدن	محافظات أقسام الحدود
القاهرة : ٩٦٦	سيناء : ٨٤١
الاسكندرية : ٩٧٧	الصحراء الجنوبية :
القنال { بور سعيد : ٩١٤ الاسماعيلية : ٨٩٤ }	الواحة الخارجة : ١٠٢٢
السويس : ٨٨٨	الواحة الداخلة : ١١٠٢
دمياط : ٩٨١	الصحراء الغربية : ١٠٩٤
الجملة : ٩٦٢	قسم البحر الأحمر : ٥١١
	الجملة : ٨٩٠
مديريات الوجه البحرى	مديريات الوجه القبلى
البحيرة : ١٠٧٨	الجيزة : ١٠٠٦ (بندر الجيزة : ٩٧٣)
الغربية : ١٠٥٨	بنى سويف : ١٠٥٩
(بندر المحلة الكبرى : ٨٩٩)	الفيوم : ١٠٥٠
الدقهلية : ١٠٣٩	المنيا : ١٠٢٦
الشرقية : ١٠١٩	أسيوط : ١٠٠٢
(بندر الزقازيق : ٩٧٥)	جرجا : ١٠٠٥ (بندر سوهاج : ٩٧٥)
المنوفية : ١٠٤٣	قنا : ١٠٠٠ (بندر قنا : ٩٥٦)
(بندر شبين الكوم : ٩٦٦)	أسوان : ١١٤٦ (بندر أسوان : ٩٢٠)
القليوبية : ١٠٠٨	الجملة : ١٠٢١
(بندر بنها : ٩٩٩)	
الجملة : ١٠٤٥	

وليس للمملكة الأردنية إحصاءات سكانية متواترة تسمح بمقارنة عدد الذكور والاناث في سنوات متعاقبة ؛ وعلى كل حال يدل تعداد عام ١٩٥٢ على أن عدد الذكور أكبر من عدد الاناث على وجه العموم ، وفي المدن الكبرى بصورة خاصة :

المنطقة	نسبة الاناث إلى ١٠٠٠ من الذكور
لواء معان	٩١٥
د الكرك	٩١٨
محافظة عمان	٩٢٥
(مدينة عمان)	٩٢٢
لواء البلقاء	٩٣٨
د عجلون	٩٧٢
د نابلس	٩٨٠
د الخليل	٩٨١
د القدس	١٠٠٣
(مدينة القدس)	٩٨١
المجموع	٩٦٨

٣- فئات السن :

لعلّ أهم ما يجدر بالدولة أن تعرفه صحيح المعرفة هو توزع مواطنيها حسب الأعمار ؛ وذلك لحصر القادرين على العمل والإنتاج والقاصرين عنهما والمتهين لحمل السلاح والذود عن الوطن والعاجزين عن ذلك ، والمكلفين بدفع الضرائب ، ومن يحق لهم الاشتراك في الانتخابات والمساهمة بالشؤون العامة ، ومن هم في سن التوظيف ، ومن هم في سن التحصيل الخ . . . وللدلالة على مختلف الأعمار في بلد ما تحسب الأعمار على خط رأسي

المحافظة	نسبة الإناث إلى ١٠٠٠ من الذكور	
	عام ١٩٥٣	عام ١٩٣٧
حمص	٨٧٦	٨٧٨
جبل الدروز (السويداء)	٨٩٧	٨٩٩
الجزيرة (الحسكة)	٩٠٥	٨٥٧
حوران (درعا)	٩١٧	٩٧٩
حماة	٩٤٧	٩٥٣
دمشق (عدا المدينة)	٩٤٩	٩٦٤
الفرات (دير الزور)	٩٥٩	١٠٠٧
دمشق (المدينة)	٩٦٨	٩٨١
حلب	٩٨٦	١٠٣٢
اللاذقية	١٠٠٦	١١٠٧

وفي لبنان أيضاً تناقصت نسبة النساء إلى الرجال ؛ ففي عام ١٩٤٤ كان هناك ٩٧٢ امرأة لكل ١٠٠٠ رجل ، فهبطت هذه النسبة إلى ٩٦٩ عام ١٩٤٧ . وكان موهوماً في لبنان أن تزيد نسائه على رجاله لوفرة المهاجرين من الرجال ؛ ولكن دوائر الأحوال المدنية اللبنانية لا تسقط المهاجرين الجدد من قيودها ؛ ولذلك لا يبدو أثر الهجرة في الظاهرات السكانية .

وهذه نسب النساء إلى الرجال في المحافظات اللبنانية عام ١٩٤٧ :

المحافظة	نسبة الإناث إلى ١٠٠٠ من الذكور
بيروت	١٠١٠
لبنان الجنوبي	٩٧٨
لبنان الشمالي	٩٧٧
البقاع	٩٧٠
جبل لبنان	٩٣٥

وتُسمَّى قرينة الهرم (Indice de vieillesse) نسبة الشيوخ الذين تزيد أعمارهم على ٦٠ سنة إلى ١٠٠ مراهق دون العشرين؛ وقد كانت هذه القرينة بين ١٩٥٠ و ١٩٥٣ : ٥٥ في بريطانيا و ٥٣ في فرنسا و ٣٤ في الولايات المتحدة الأمريكية و ٢٩ في إيطاليا و ١٥ في الاتحاد السوفيتي و ١٢ في تركيا .

وتقسم الشعوب من حيث الفتوة والهرم إلى ثلاث مجموعات :

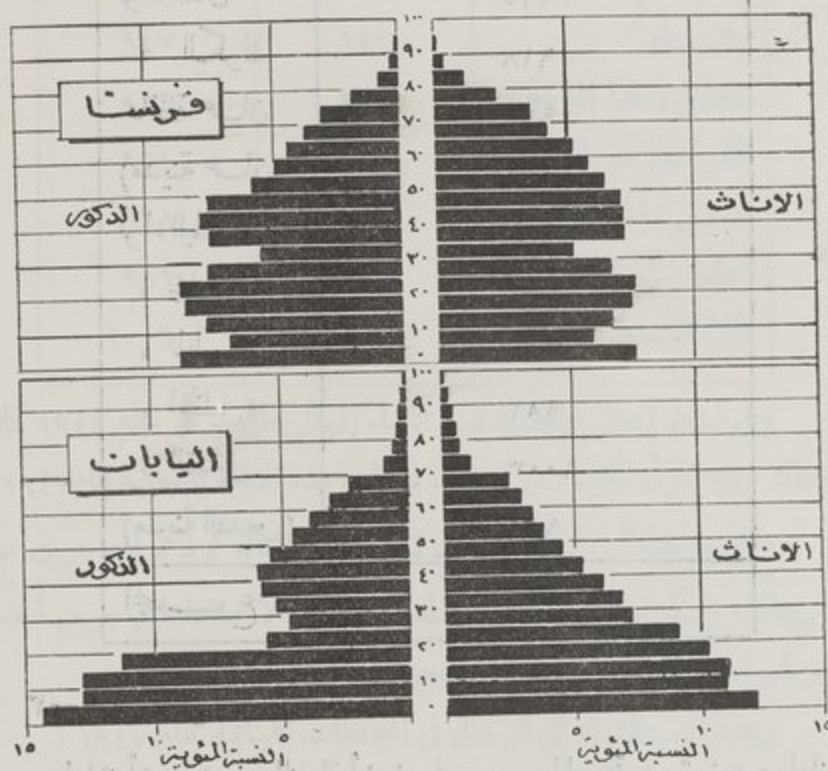
آ - مجموعة الشعوب الهرمة : حيث تزيد قرينة الهرم عن ٣٠ أى أنها تضم ٣ شيوخ لكل ١٠ أطفال ، وهذه نماذج منها :

الدولة	السنة	فئات السن لكل ١٠٠ فرد	قرينة الهرم
		أقل من ٢٠ سنة من ٢٠ إلى ٦٠ فوق ٦٠	
		% % %	
بريطانيا	١٩٥٢	٢٩ ٥٥ ١٦	٥٥
فرنسا	١٩٥٣	٣٠ ٥٤ ١٦	٥٣
السويد	١٩٥٠	٢٩ ٥٦ ١٥	٥١
أستراليا	١٩٥٢	٣٤ ٥٤ ١٢	٣٥
الولايات المتحدة	١٩٥٢	٣٥ ٥٣ ١٢	٣٤

والمشكلة في بلاد كهذه هي تعذر تحديد السن الأعلى للعمل بستين سنة لكثرة من يتجاوزونها .

ب - مجموعة الشعوب المكتهلة : حيث نجد شيخين أو ثلاثة لكل ١٠ أطفال ، أى أن قرينة الهرم لديها تتراوح بين ٢٠ و ٣٠ . مثال ذلك :

وعدد السكان من كل عمر على خطوط أفقية ؛ والصورة الناتجة تسمى اصطلاحاً بسلم الأعمار أو هرم الأعمار (Pyramide des âges) وعند ما يكون هذا الهرم واسع القاعدة مؤلل الذروة فهو يدل على شعب فتي كثير المواليد والوفيات ؛ وعند ما تضيق القاعدة يكون الشعب هرمياً كثيراً الشيوخ قليل الأطفال ، كما هو واضح في الرسم الممثل لفئات الأعمار في فرنسا واليابان .



هرم الأعمار في فرنسا واليابان

والحروب والمجاعات تترك في درجات الهرم فجوات واضحة ، كما هو الحال في هرم الأعمار الفرنسي الذي يدل على نقص المواليد وكثرة في الوفيات أثناء الحربين الأخيرتين ؛ ويلاحظ في هرم الأعمار الياباني نقص الذكور بين العشرين والأربعين بسبب الحرب العالمية الثانية .

الحديثة أدركنا سر تكاثر الشيوخ تكاثراً مضطرباً ، كما هو الحال في فرنسا مثلاً :

عام ١٨٥١م	عام ١٩٠١م	عام ١٩٣٦م	عام ١٩٥٣م
من ٠ إلى ٢٩ سنة	٣٦ ٪	٣٥ ٪	٣٠ ٪
من ٢٠ إلى ٥٩ سنة	٥٤ ٪	٥٣ ٪	٥٤ ٪
من ٦٠ سنة فما فوق	١٠ ٪	١٢ ٪	١٦ ٪

٤ — فتوة الشعوب العربية

ليس موضع عجب أن تكون الشعوب العربية في طليعة الشعوب الفتيّة ؛ فهي من جهة تكثر من الولد حتى لتبلغ الحد الأقصى من الإخصاب وهي من جهة ثانية لا تعدّ كثيراً من الشيوخ المعمّرين لسوء التغذية وفتك الأمراض .

وحسبكم أن تعرفوا أن فرنسا مثلاً تعدّ طفلاً دون الخامسة من العمر لكل عشرة مواطنين ، بينما نجد في مصر طفلاً يمثل هذه السن لكل سبعة مواطنين . وسكان فرنسا يبلغون ضعف سكان مصر تقريباً ، إلا أن عدد الشيوخ الفرنسيين الذين تجاوزوا الثمانين يبلغ سبعة أضعاف أترابهم في مصر . وإذا اعتبرنا سن الخامسة عشرة مبدأ نظرياً لحياة التكسّب والانتاج وجدنا من هم دون هذه السن لا يتجاوزون ٢٣ و ٢ ٪ من جملة السكان في فرنسا و ٢٨ و ١ ٪ في الولايات المتحدة الأمريكية ؛ بينما هم ٣٨ و ١ ٪ في مصر و ٤٠ ٪ في مراکش و ٤١ و ٧ ٪ في تونس و ٤٢ و ٥ ٪ بين مسلي الجزائر و ٤٥ و ١ ٪ في شرقي الأردن .

والاحصاءات المتهبّئة لدينا تثبت أن ما من بلد عربي يضم شيخين أو أكثر كبروا عن سن الستين بالنسبة إلى عشرة من الشبان والاطفال دون سن العشرين .

الدولة	السنة	فئات السن لكل ١٠٠ فرد			قرينة الهرم
		أقل من ٢٠ سنة من ٢٠ إلى ٦٠ فوق ٦٠			
إيطاليا	١٩٥٠	٣٨	٥١	١١	٢٩
البرتغال	د	٣٩	٥١	١٠	٢٦
يوغوسلافيا	١٩٥٢	٤١	٥١	٨	٢٠

ج — مجموعة الشعوب الفتية : حيث يوجد شيخان لكل ١٠ أطفال ،
أى لا تزيد قرينة الهرم عن ٢٠ ومنها :

الدولة	السنة	فئات السن لكل ١٠٠ فرد			قرينة الهرم
		أقل من ٢٠ سنة من ٢٠ إلى ٦٠ فوق ٦٠			
اليابان	١٩٥١	٤٥	٤٨	٧	١٧
تركيا	١٩٥٠	٤٩	٤٥	٦	١٢
المكسيك	د	٥٠	٤٥	٥	١٠
البريزيل	د	٥٢	٤٤	٤	٨

ولدى مثل هذه الشعوب يتولّى الكهول والشيخوخ عبء إعالة عدد ضخم من الأطفال ؛ ويُسمح غالباً للصغار بالعمل منذ سن مبكرة . ولا ريب فى أن الاقلال من الأولاد ، أى الاهتمام بهم كفى لا كماً ، من أبرز خصائص المدنية فى أوربا ولدى الشعوب المتحدّرة من أصل أوروبى أو المتأثرة بالحضارة الأوروبية . وسوف نرى فيما بعد أن الشعوب الرفيعة أكثر ذرية من الشعوب المدنية ، والمتدينين أقل تحديداً للنسل من غير المتدينين . وإذا أضفنا إلى تحديد المواليد إطالة أمد الحياة بالوسائل الوقائية

سن العمل الفعلية عن السن القانونية ؛ ولكن مقدرة الأطفال على العمل لا تعدل من حيث الدكم والنوع مقدرة المراهقين والكهول ؛ وهذا من جملة أسباب تدنّي القدرة الإنتاجية في العالم العربي ؛ كما هو من جملة العوامل في ضعف الموازنات الحكومية والدخل القومي والفردى^(١) .

(ح) إن وفرة الشباب وندرة الشيوخ أمر يُفضي إلى غلبة العنصر الفتى في أجهزة الدول العربية ومناصبها الرئيسية .

وسنلاحظ بعض التباعد في زمر الأعمار بين البلدان العربية ؛ ولعل السبب فيه تفاوت الصحة في التصريح عن العمر . وعلى كل حال أن نسبة الشيوخ فوق الستين لا تزيد عن ٠.٩٦٪ من مجموع السكان (العراق) ، ولا تنقص عن ٠.٥٪ (مسلمو الجزائر) . ونسبة من هم دون العشرين تتراوح بين ٠.٤٨١٪ (مصر) و ٠.٥٣٨٪ (مسلمو الجزائر) ؛ وهكذا فإن قرينة الهرم تتأرجح بين ١٩ (العراق) و ٩ (مسلمو الجزائر) ؛ وإليك بعض التفصيل :

(١) فئات السن في العراق :

من حيث مجموع الذكور والاناث يؤلف الأحداث دون سن العشرين ٠.٥٠٥٪ من مجموع السكان ؛ ولكن موطن الغرابة هو زيادة الاناث على الذكور في جميع زمر الأعمار باستثناء زمرة ٤٠ - ٤٩ سنة و ٥٠ - ٥٩ سنة ؛ وقد أشرنا أكثر من مرة إلى علة ذلك ، وهي تسجيل البنين على أنهم بنات في سني الطفولة :

(١) يبلغ نصيب الفرد من النفقات العادية للحكومات العربية (عام ١٩٥٣) ١٠ جنيهات في العراق و ٩ في مصر و ٧ في لبنان و ٦ في سورية و ٣.٦ في المملكة الأردنية و ٤ في تونس و ٣.٣ في السودان ؛ بينما يبلغ نصيب الفرد من موازنة الحكومة الفرنسية ١٤٠ جنيتها . ويبلغ الدخل الفردي السنوي ٧٩٩ جنيتها في الولايات المتحدة الأمريكية و ٢٨٤ في إنجلترا و ٢٤٠ في فرنسا ؛ ولا يزيد هذا الدخل عن ٣٩ جنيتها في مصر وسورية .

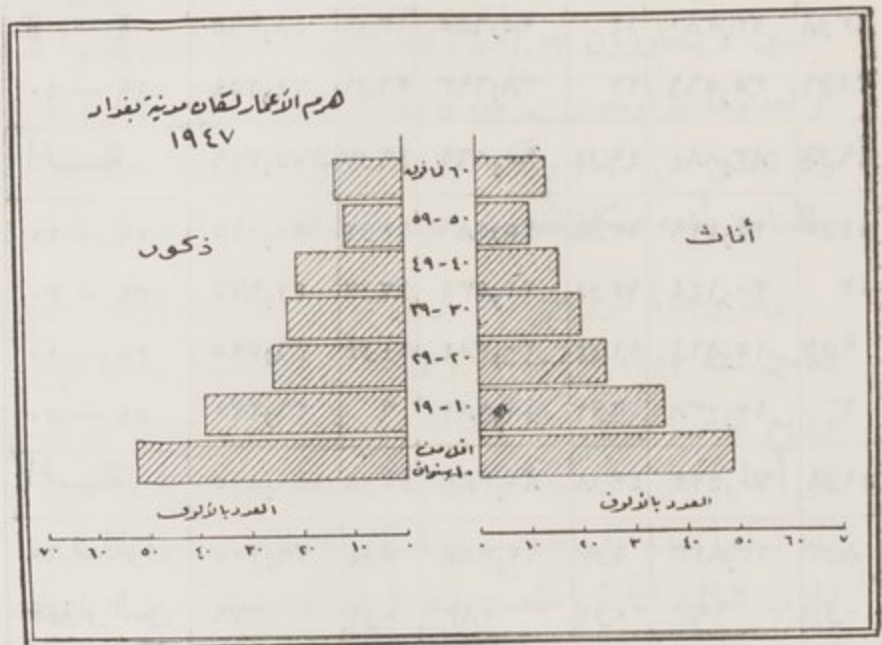
وقبل أن نستعرض توزيع المواطنين حسب الأعمار في الأقطار العربية المتوفرة الاحصاءات يحسن أن نشير إلى بعض النتائج الهامة التي تنجم عن فتوة الشعوب العربية :

(١) أن نسبة الاطفال في سن التحصيل الأولى والابتدائي لا تتجاوز ١٢٪ من جملة السكان في فرنسا، بينما تبلغ ١٧٪ وسطياً في البلدان العربية، فتتفوق أكثر هذه البلدان بنسب تفقيهم، وتعجز في أكثر الأحوال عن تعليم نصفهم^(١).

(ب) أن عدد السكان العاملين والمضطّلعين بعبء الإنتاج ودفع الضرائب محدود بالطبع لوفرة الاطفال، ولذلك سمحت أكثر التشريعات العمالية العربية بالعمل لمن هم في سن الثانية عشرة؛ وفي أغلب الأحوال تقل

(١) بلغ عدد الأميين في العراق عام ١٩٤٧ : ٤٦٩ ٣١٩ ر ٣ ولا يشمل هذا الرقم الأطفال دون سن الخامسة كما لا يشمل القبائل الرحالة؛ فنسبة الأميين كانت إذن ٨٩٪ من جملة السكان الذين هم فوق سن الخامسة. وكان عدد الأميين في مصر عام ١٩٤٧ : ٨٨٤ ١٢٠ ر ٥٧ باستثناء من هم دون سن الخامسة (أي ٧٤٪ من مجموع السكان الذين تجاوزوا سن الخامسة). ومع دمج رياض الأطفال في معاهد التعليم الأولى والابتدائي تبلغ نسب الأطفال في هذه المعاهد (عام ١٩٥٢ — ١٩٥٣) ١٦٪ من مجموع السكان في لبنان و ١٠٪ في المملكة الأردنية (للسنوات الخمس الأولى فقط من التعليم الابتدائي)، و ٩٪ في سورية و ٧٥٪ في مصر و ٤٧٪ في العراق و ٣٣٪ في ليبيا وتونس وأقل من ١٪ في المملكة العربية السعودية.

وبالإضافة إلى العوامل الديموغرافية يتخذ الفرنسيون المحتلون للمغرب العربي خطة آتمة لاستبقاء السكان الأصليين في جهالة مظلمة؛ ففي تونس يتعلم واحد من كل أربعة أو خمسة تونسيين عرب؛ والطلاب الفرنسيون يزيدون على ٢٢٪ من مجموع الطلاب في المدارس الرسمية، بينما عدد الفرنسيين في تونس كلها لا يزيد على ٧٪ من عدد السكان. وكل ثلاثة طلاب جزائريين في المدارس يقابلهم طالبان فرنسيان، مع أن الفرنسيين لا يتجاوزون تسع السكان؛ وجميع الفرنسيين في سن التحصيل يتعلمون في الجزائر، بينما لا يتعلم من أبناء الجزائريين سوى واحد من خمسة (أنظر: ليبيا وتونس والجزائر لنقولاً زيادة، بيروت ١٩٥٢) — وقد جاء في نشرة حزب الاستقلال المراكشي المطبوعة بالإنجليزية في نيويورك عام ١٩٥٣ أن عدد المسلمين المراكشيين الذين يتلقون التحصيل لا يتجاوز ٦٪ ممن هم في سن التحصيل، بينما يتعلم من الأوربيين ٩٤ ر ٣٪، وتتفق سلطات الحماية ٣٢٠٠٠ فرنك على كل طالب أوربي، ولا تتفق على الطالب المسلم سوى نصف هذا المبلغ (مراكش تحت الحماية، ص : ٥٢).



الاناث		الذكور		المجموع		فئات السن
النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	
١٧ و ٦	٤٣٠,١٠١	١٩ و ٢	٤٠٩,٠٣٩	١٨ و ٤	٨٣٩,١٤٠	أقل من ٥ سنوات
١٦ و ٤	٣٩٩,٢٣١	١٥ و ٩	٣٣٧,٤٣٣	١٦ و ١	٧٣٦,٦٦٤	من ٥ - ٩
١٧	٤١٥,٤٤٨	١٤ و ٩	٣١٧,٩٦٧	١٦	٧٣٣,٤١٥	من ١٠ - ١٩
٥١	١,٢٤٤,٧٨٠	٥٠	١,٠٦٤,٤٣٩	٥٠ و ٥	٢,٣٠٩,٢١٩	الجملة
١١ و ٧	٢٨٥,٤٦٨	٩ و ٤	٢٠١,٢٢٤	١٠ و ٧	٤٨٦,٦٩٢	من ٢٠ - ٢٩
١٢ و ٤	٣٠١,٦٩٥	١١ و ٨	٢٥٠,٦٥٠	١٢ و ١	٥٥٢,٣٤٥	من ٣٠ - ٣٩
٠٩ و ٥	٢٣٢,٢٦٢	١١ و ٩	٢٥٢,٢٢٤	١٠ و ٦	٤٨٤,٤٨٦	من ٤٠ - ٤٩
٠٥ و ٩	١٤٤,٥٧٦	٦ و ٩	١٤٨,١٧٦	٠٦ و ٤	٢٩٢,٧٥٢	من ٥٠ - ٥٩
٣٩ و ٥	٩٦٤,٠٠١	٤٠	٨٥٢,٢٧٤	٣٩ و ٨	١,٨١٦,٢٧٥	الجملة
٩ و ٤	٢٢٨,٩٨٠	٩ و ٩	٢٠٩,٥٦١	٩ و ٦	٤٣٨,٥٤١	٦٠ فما فوق
٠ و ١	١,٠٧٩	٠ و ١	١,٠٧١	٠ و ١	٤,١٥٠	مجهولو السن
١٠٠	٢,٤٣٨,٨٤٠	١٠٠	٢,١٢٧,٣٤٥	١٠٠	٤,٥٦٦,١٨٥	المجموع العام

فئات السن في العراق حسب تعداد ١٩٤٧ باستثناء البدو

المصدر : المجموعة الإحصائية السنوية العامة لسنة ١٩٥٣ ، ص : ٤٥ - ٤٦

وبما لا ريب فيه أن إحصاء السكان في مدينة بغداد (الرصافة والكرخ) هو أدنى إلى الصحة ؛ فقد بلغت فيها نسبة الأطفال والمراهقين دون العشرين : ٤٩ و ٧٪ من جملة السكان ؛ وبلغت نسبة الشيوخ فوق الستين ٧ و ٤٪ ، فتكون قرينة الهرم قرينة من ١٥ . وعدد الذكور فيها يظل أكبر من عدد الاناث حتى سن الستين ، كما هو واضح في الرسم والجدول التاليين :

(ب) فئات السن في لبنان وسورية :

لقد أسلفنا القول بأن إحصائيات سورية ولبنان تستقي من قيود الأحوال المدنية ؛ ويعوز هذه القيود المزيد من الصحة والدقة ؛ بيد أنها على ما يشوبها من غثاء تدل على فتوة غالبية لدى سكان البلدين . فالأحداث دون العشرين يبلغون ٥١٪ من المجموع على أقل تقدير ؛ ومن هم فوق الخمسين لا يتجاوزون ١٣٪ ، ونجد بالاستنتاج أن الذين بلغوا الستين أو تعدوها يتراوحون بين ٥ و ٧٪ ؛ فقرينة الهرم لا تزيد عن ١٣ ولا تنقص عن ١٠ . وهكذا فإن الإحصاءات الراهنة تجعل السوريين واللبنانيين أشبه بسكان مصر من حيث ندرة الشيوخ وضعف قرينة الهرم . وقد وجدنا لتوزيع الأعمار في لبنان ثلاث إحصائيات ترجع إلى العامين سنة ١٩٤٣ و ١٩٤٤ ؛ وهي متدانية في النتيجة لكنها متباينة في توزيع الزمر الحياتية . فالإحصائية الأولى تثبت أن ٥١٪ من اللبنانيين تقل أعمارهم عن ٢٠ سنة عام ١٩٤٣^(١) . والإحصائية الثانية تعود للعام ذاته لكنها تستند إلى تعداد مبدئي للسكان قامت به مصلحة الجبوب خلال الحرب العالمية الثانية وخلصت منه إلى أن نصف اللبنانيين هم دون سن العشرين^(٢) .

(١) دون ٤ سنوات = ١٠٪	(٢) دون ٥ سنوات = ١٤٪
من ٤ إلى ١٠ = ١٩٪	من ٥ إلى ١١ = ١٦٪
من ١١ إلى ١٩ = ٢٢٪	من ١٢ إلى ٢٠ = ٢٠٪
من ٢٠ إلى ٣٣ = ١٨٪	من ٢١ إلى ٥١ = ٣٧٪
من ٣٤ إلى ٥٠ = ١٧٪	من ٥١ إلى ٦٥ = ٩٪
فوق الخمسين = ١٤٪	٦٦ فما فوق = ٤٪
٤٩	

(١) (مجموعة إحصاءات عن سورية ولبنان : ١٩٤٢ — ١٩٤٣ ص : ١٦)

(٢) A. Gibb : The economic development of Lebanon. London 1948 (٢) p. 30).

فئات السن	المجموع		ذكور		إناث	
	العدد	النسبة ٪	العدد	النسبة ٪	العدد	النسبة ٪
أقل من ٥ سنوات	٥١,٥٢٥	١٤,٥٧	٢٦,٤٩١	١٤,٥٤	٢٥,٠٣٤	١٤,٥٩
٥ — ٩	٤٨,٩٦٥	١٣,٥٩	٢٥,٦٨٥	١٤	٢٣,٢٨٠	١٣,٥٨
١٠ — ١٩	٧٤,٢٥٩	٢١,٥١	٣٨,٦٩٣	٢١	٣٥,٥٦٦	٢١,٥١
الجملة	١٧٤,٧٤٩	٤٩,٥٧	٩٠,٨٦٩	٤٩,٥٤	٨٣,٨٨٠	٤٩,٥٨
٢٠ — ٢٩	٥٠,٠١٥	١٤,٥٢	٢٥,٥٨٦	١٣,٥٩	٢٤,٤٢٩	١٤,٥٥
٣٠ — ٣٩	٤٢,٩٧٥	١٢,٥٢	٢٢,٨٣١	١٢,٥٤	٢٠,١٤٤	١٢
٤٠ — ٤٩	٣٦,٥٩٥	١٠,٥٤	٢٠,٧٨٤	١١,٥٤	١٥,٨١١	٩,٥٤
٥٠ — ٥٩	٢١,٢٢٠	٦	١١,١٨٢	٦,٥١	١٠,٠٣٨	٦
الجملة	١٥٠,٨٠٥	٤٢,٥٨	٨٠,٣٨٣	٤٣,٥٨	٧٠,٤٢٢	٤١,٥٩
٦٠ فما فوق	٢٦,٢٠٧	٧,٥٤	١٢,٣٨٤	٦,٥٧	١٣,٨٢٣	٨,٥٢
مجهولو السن	٣٧٦	٠,٥١	١٨٣	٠,٥١	١٩٣	٠,٥١
المجموع العام	٣٥٢,١٣٧	١٠٠	١٨٣,٨١٩	١٠٠	١٦٨,٣١٨	١٠٠

فئات السن في مدينة بغداد حسب تعداد عام ١٩٤٧

المصدر: إحصاء السكان سنة ١٩٤٧؛ طبع بغداد سنة ١٩٥٤، ج ١، ص ٧.

وبمقارنة فئات الأعمار في العاصمة مع ما يقابلها في القطر العراقي كله يتبين لنا أن نسبة الأطفال والشيوخ الطاعنين في السن تقل في المدينة عنها في سائر المملكة، بينما تزداد نسبة المراهقين والشبان؛ وذلك لأن المدينة تتلقى من الأرياف عدداً كبيراً من هؤلاء الآخرين:

من سن ١٠ — ٣٩ : مجموع العراق : ٣٨,٨٪

في بغداد : ٤٧,٥٪

وقد قدر السير الكسندر جيب فئات السن في سورية عام ١٩٤٤ كما يلي :

أقل من ٤ سنوات :	١٣ و ٤ .٪
من ٥ إلى ١١ :	١٨ و ٦ .٪
من ١٢ إلى ٢٠ :	٢١ و ٦ .٪
الجملة :	٥٢ و ٦ .٪
من ٢١ إلى ٥٠ :	٣٤ و ٦ .٪
بعد الخمسين :	١٢ و ٨ .٪
الجملة :	٤٧ و ٤ .٪

المصدر : تقرير الكسندر جيب وشركاه عن تطور سورية الاقتصادي ١٩٤٦
الترجمة العربية ، طبع الحكومة السورية عام ١٩٥٠ ، الجدول ١٠

ووصلنا إلى نتائج مماثلة من سجلات الأحوال المدنية لمناطق مختلفة من سورية عام ١٩٤٥ ؛ إلا أننا حسبنا نسب الذكور والإناث إلى مجموع السكان لا إلى مجموع كل جنس :

النسبة المئوية إلى مجموع السكان	فئات السن
من ٠ إلى ٩ :	٢٩ و ٥ .٪ (١٥٥٥ ذكور + ١٤ إناث)
١٠ - ١٩ :	٢١ و ٥ .٪ (١١ د + ١٠ و ٥ د)
الجملة :	٥١ .٪ (٢٦ و ٥ د + ٢٤ و ٥ د)
٢٠ - ٢٩ :	١٦ .٪ (٨٥٥ د + ٧٥٥ د)
٣٠ - ٣٩ :	١١ و ٥ .٪ (٦ د + ٥٥٥ د)
٤٠ - ٤٩ :	٩ .٪ (٤٥٥ د + ٤٥٥ د)
٥٠ - ٥٩ :	٧ و ٥ .٪ (٣٥٥ د + ٤ د)
٦٠ فما فوق :	٥ .٪ (٢ د + ٣ د)
الجملة :	٤٩ .٪ (٢٤ و ٥ د + ٢٤ و ٥ د)
المجموع العام :	١٠٠ .٪ (٥١ ذكور + ٤٩ إناث)

ونميل إلى ترجيح الإحصائية الثالثة التي تعود إلى عام ١٩٤٤ ، وهي مستندة أيضاً إلى تعداد للسكان الحاضرين فعلا ذلك العام أجرتة مصلحة الجيوب ؛ ويتضح من هذا التعداد ان ٥٢٪ من المقيمين في لبنان هم دون سن ٢١ . وأهم ما يتكشف عنه هذا الإحصاء إرتفاع نسبة النساء في سن الشباب والكهولة (٢١ سنة - ٥١) لوفرة المهاجرين في هذه السن من الذكور .

فئات السن	المجموع		الذكور		الاناث	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
من ٠ إلى ٤	١٣١,٦٥٦	١٢,٥٤	٦٩,٨٣٥	١٢,٥٨	٦١,٨٢١	١١,٥٩
من ٥ إلى ١١	١٩٧,٦٩٢	١٨,٥٦	١٠٥,٦٩٢	١٩,٥٥	٩٢,٠٠٥	١٧,٥٦
من ١٢ إلى ٢٠	٢٢٩,٥٦١	٢١,٥٦	١٢٠,٢٣٦	٢٢,٥١	١٠٩,٣٢٥	٢١,٥١
من ٢١ إلى ٣٤	١٨٩,٣٢٨	١٧,٥٨	٩٢,٩٤٣	١٧,٥١	٩٦,٣٨٥	١٨,٥٥
من ٣٥ إلى ٥١	١٨٠,٣٢٢	١٦,٥٩	٨٧,٣٠٦	١٦,٥٩	٩٣,٠١٦	١٧,٥٩
فوق ٥١	١٣٥,٦٢٧	١٢,٥٧	٦٧,١٣٧	١٢,٥٥	٦٨,٤٩٠	١٣,٥١
المجموع	١,٠٦٤,١٨٦	١٠٠	٥٤٣,١٤٩	١٠٠	٥٢١,٠٣٧	١٠٠

فئات السن في لبنان عام ١٩٤٤

المصدر : مجموعة إحصاءات عن سورية ولبنان ١٩٤٤ ؛ المجلس الأعلى للمصالح المشتركة بيروت ١٩٤٦ ، ص : ٣١

على عدد النساء في سن الزواج (٢٠-٤٩ سنة)؛ فالنساء في هذه السن كانوا ٩١,٨٢١ والرجال ١٠١,٩١١ (تسع نسوة لكل عشرة رجال). وبما يلفت النظر أن الإحصاء الذي نحن بصدده يدل على وجود ١١,٣٧٩ امرأة فوق سن السبعين مقابل ١٥,٥٩٣ رجلاً، خلافاً لليهود في جميع بلاد العالم؛ وقد يدل هذا على أن الموت هنا لا يفتك بالرجال أكثر مما يفتك بالنساء.

فئات السن	المجموع		الذكور		الاناث	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
جميع الاعمار	٦٠٠,٠٠٠	١٠٠	٣٢١,٤٦٧	١٠٠	٢٧٨,٥٣٣	١٠٠
اقل من سنة	٩,٣٨١	١.٥٦	٥,١٠٩	١.٥٦	٤,٢٧٢	١.٥٥
١ - ٤	٧٥,١٠٤	١٢.٥٥	٣٨,٣٦٤	١١.٥٩	٣٦,٧٤٠	١٣.٥٢
٥ - ٩	١٠١,٩٦٣	١٧	٥٥,١٦١	١٧.٥٢	٤٦,٨٠٤	١٦.٥٨
١٠ - ١٤	٨٠,٤١٨	١٣.٥٤	٤٧,٠١٠	١٤.٥٦	٣٣,٤٠٨	١٢
١٥ - ١٩	٥٠,٨٩٥	٨.٥٥	٢٥,٨١١	٨	٢٥,٠٨٤	٩
٢٠ - ٢٩	٧٤,٩٣٠	١٢.٥٥	٣٧,٣٠٥	١١.٥٦	٣٧,٦٢٥	١٣.٥٥
٣٠ - ٣٩	٦٢,٩٤١	١٠.٥٥	٣٢,٧٤٦	١٠.٥٢	٣٠,١٩٥	١٠.٥٨
٤٠ - ٤٩	٥٥,٨٦١	٩.٥٣	٣١,٨٦٠	٩.٥٩	٢٤,٠٠١	٨.٥٦
٥٠ - ٥٩	٣٥,٢٦٣	٥.٥٩	٢٠,٠٩٢	٦.٥٣	١٥,١٧١	٥.٥٤
٦٠ - ٦٩	٢٦,٢٧٠	٤.٥٤	١٢,٤١٦	٣.٥٩	١٣,٨٥٤	٥
٧٠ فما فوق	٢٦,٩٧٢	٤.٥٥	١٥,٥٩٣	٤.٥٩	١١,٣٧٩	٤.٥١

فئات السن في شرقي الأردن عام ١٩٥٠

المصدر: الحولية الديموغرافية للأمم المتحدة عام ١٩٥١، ص: ١٣٤

(د) فئات السن في مصر:

لا يمكن أن نستنتج من التعدادات المصرية المتعاقبة تطوراً معيناً في السن لدى الشعب المصري؛ فعدد من هم دون العشرين تراوح في التعدادات الخمسة الأخيرة بين ٤٧.٧٪ (عام ١٩٣٧) و ٤٨.٦٪ (عام ١٩٠٧).

ويذكر الجدول السابق أنه كان في سورية رجالان وثلاث نساء فوق سن الستين من مجموع ١٠٠ مواطن ؛ بينما نجد في حقبة الحياة قبل العشرين ٠/٥١ من السكان ، منهم ٠/٢٦٥ ذكور و ٠/٢٤٥ إناث . ويتعادل عدد الرجال والنساء في سن ٤٠ - ٤٩ ثم يرجح عدد النساء .

ويمكن أيضاً أن نفيد من الجدول السابق لمعرفة إمكانيات الزواج ؛ بفرض صحة الإحصاءات نجد في سورية ٣٨ رجلاً لكل ٢٥ امرأة في سن ٢٠ - ٤٩ ؛ بينما يكون في فنلندا مثلاً ٤١ امرأة لكل ٣٨ رجلاً في زمرة السن ذاتها .

(ح) فئات السن في فلسطين وشرقي الأردن :

نشرت بعثة الأمم المتحدة إلى الشرق الأوسط عام ١٩٤٩ أن السكان العرب في فلسطين يتوزعون كما يلي (١) :

أقل من سنة	: ٥
من ١ إلى ١٥	: ٤٥
من ١٦ إلى ٥٠	: ٤٠
أكثر من ٥٠	: ١٠

وتدل هذه الأرقام على درجة عالية من الفتوة لا ضاهيها أي بلد عربي آخر ؛ فمن هم دون سن ١٦ وحدهم يبلغون نصف السكان .

أما في الضفة الشرقية من الأردن فإحصاءات عام ١٩٥٠ توضح أن ٠/٥٣ من السكان تقل أعمارهم عن ٢٠ سنة ؛ ونسبة الشيوخ فوق الستين تصل إلى ٠/٩ ، ونجد فوق سن الستين ٠/٩١ من مجموع النساء و ٠/٨٥٨ من مجموع الرجال ؛ أما دور العشرين فالنسبة هي ٠/٥٣ للذكور و ٠/٥٢ للإناث .

ويلاحظ الشبه بين سورية وشرقي الأردن من حيث غلبة عدد الرجال

(1) Rapport Final de la Mission Économique d'Étude des Nations—Unies pour le Moyen—Orient (Mission Clapp) Lake Success, 1949. Fasc. 1 p. 26.

الذكور في مثل هذه السن ، مع أن المواليد الذكور أكثر عدداً من المواليد الاناث ؛ ولا يمكن أن يكون هذا صحيحاً إلا إذا كانت نسبة الوفيات بين ذكور الاطفال تفوق كثيراً نسبة الوفيات بين لداتهم البنات . وقد بلغ عدد المعمرين الذين تجاوزوا الثمانين ٥٢١٠٣ ، يقابلهم ٧٦١٧١ امرأة عجزوا في مثل تلك السن .

والنسب التفصيلية للأعمار كانت كما يلي :

النسبة المئوية	النسبة المئوية	النسبة المئوية	فئات السن :
من مجموع السكان	من مجموع الاناث	من مجموع الذكور	
أقل من ٥ سنوات	١٣٥٧	١٣٥٧	١٣٥٧
٥ - ٩	١٢٥٧	١٢٥٥	١٢٥٩
١٠ - ١٤	١١٥٧	١١٥٢	١٢٥٢
١٥ - ١٩	١٠	٩٥٦	١٠٥٥
الجملة	٤٨٥١	٤٧	٤٩٥٣
٢٠ - ٢٤	٧٥٣	٧٥٤	٧٥٢
٢٥ - ٢٩	٧٥٨	٨٥٢	٧٥٣
٣٠ - ٣٩	١٤	١٤٥١	١٣٥٩
٤٠ - ٤٩	١٠٥٤	١٠٥٣	١٠٥٥
٥٠ - ٥٩	٦٥٤	٦٥٥	٦٥٣
الجملة	٤٥٥٩	٤٦٥٥	٤٥٥٢
٦٠ - ٦٩	٣٥٧	٤	٣٥٥
٧٠ - ٧٩	١٥٦	١٥٧	١٥٤
٨٠ - ٨٩	٥٥	٥٦	٥٥٤
٩٠ فما فوق	٥٢	٥٢	٥٢
الجملة	٦	٦٥٥	٥٥٥
	١٠٠	١٠٠	١٠٠

ولا يعزى هذا الفارق إلى تدني نسبة المواليد أو إلى نقصان نسبة الوفيات بل هو ناشئ في أغلب الظن عن نسبة الخطأ في كل تعداد .

فئات السن	عام ١٩٠٧	عام ١٩١٧	عام ١٩٢٧	عام ١٩٣٧	عام ١٩٤٧
من ٠ إلى ٩	٣٠٠١	٢٨	٢٧٥٥	٢٧٥٢	٢٦٩٤
من ١٠ إلى ١٩	١٨٥٥	٢٠٠٣	٢٠٠٣	٢٠٠٥	٢١٥٧
من ٢٠ إلى ٢٩	١٨	١٥٥٥	١٦٥٤	١٥٥٢	١٥٥١
من ٣٠ إلى ٣٩	١٤٥٧	١٣٥٥	١٤٥١	١٤٥٧	١٤
من ٤٠ إلى ٤٩	٩	٩	٩٥٢	١٠٠١	١٠٥٤
٥٠ فما فوق	٩٥٧	١٣٥٧	١٢٥٥	١٢٥٣	١٢٥٤
	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

وقد قيل بحق أن الشعب المصري شيخ تاريخياً ونفسانياً ، لكنه شاب حيويًا ، فثلثا أفراده لا يزيد عمرهم عن الثلاثين . ومن تحليل تعداد ١٩٤٧ يتضح أن الشبان والكهول هم أعلى نسبة في المدن منهم في الأرياف ؛ وقد عللنا ذلك بهجرة القرويين نحو المدن . وينجم عن ذلك ارتفاع نسبة الشيوخ في المديريات الريفية ، وبالتالي ارتفاع قرينة الهرم فيها :

المناطق من ٦٠ سنة فما فوق ٢٠ - ٥٩ سنة دون ٢٠ سنة أعمار غير مبنية قرينة الهرم

	٪	٪	٪	
محافظات المدن	٤٥٧	٤٧٥٥	٤٧٥٤	٠٠٤
أقسام الحدود	٥٥٩	٤٥٥٥	٤٨٥١	٠٠٥
مديريات الوجه البحرى	٥٥٩	٤٤٥٨	٤٩٥١	٠٠٢
مديريات الوجه القبلى	٦٥٨	٤٦	٤٦٥٩	٠٠٣

ويدل تعداد ١٩٤٧ أيضاً على أن النساء يفقن الرجال عدداً منذ زمره السن ٢٠ - ٢٤ ؛ ويلاحظ أن عدد البنات دون سن الخامسة يفوق عدد

والفوارق تلاحظ أيضاً بين السكان أصحاب البلاد في مراکش والجزائر وبين الأجانب المحتلين والمتوطنين .

وكان توزيع السكان الاصيلون حسب الأعمار في مراکش عام ١٩٤٧ كما يلي :

دون ١٥ سنة : ٤٠٪

١٥ - ٦٠ : ٥١٪

فوق ٦٠ : ٩٪

ونتهي هذا الحديث عن الأعمار بمقارنته فئات السن في بلاد الجزائر عند السكان الاصيلين والسكان الأوربيين (٢) عام ١٩٥٣ :

الجزائر (مسلمون) الجزائر (أوربيون)

دون ٢٠ سنة : ٥٣٪ (ذكور ٥٥٪، إناث ٥٢٪) ٣٤٪

٢٠ - ٥٩ : ٤١٪ (٣٩٪ ، ٤٢٪) ٥٣٪

٦٠ فما فوق : ٥١٪ (٥٠٪ ، ٥٢٪) ١١٪

ملاحظات :

١ - ...

٢ - ...

٣ - ...

٤ - ...

٥ - ...

٦ - ...

٧ - ...

٨ - ...

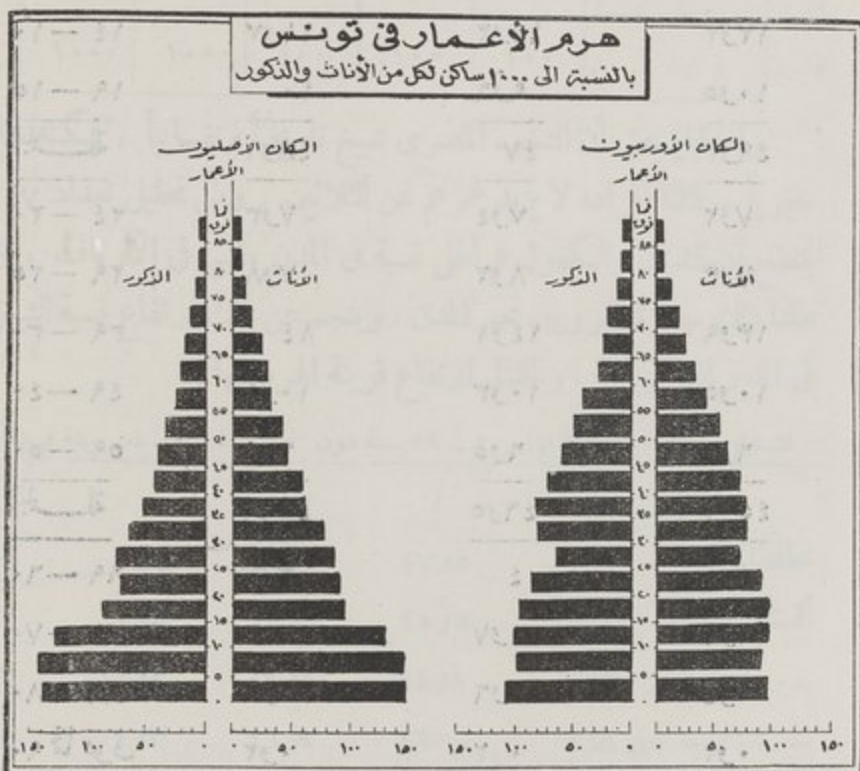
(١) Encyclopédie coloniale, p. 172.

(٢) الحولية الديموغرافية لعام ١٩٥٣ ، ص : ١٤٣ .

(هـ) فئات السن في المغرب العربي :

ليست شعوب المغرب العربي أقلّ صِباً من الشعوب العربية الأخرى ،
لتماثل الشرائط الاجتماعية والاقتصادية فيما بينها .

ففي تونس بلغت نسبة من هم دون العشرين في آخر تعداد ٥٠٥٠٠/٠ ،
ومن هم في سن الستين فما فوق ٦٠٨/٠ . وبمقارنة هذه الأرقام الخاصة
بالسكان الأصليين مع ما يقابلها بالنسبة للسكان الأوربيين ، نجد الفارق
كبيراً بين الخصائص الحيوية لشعبي يعيشان على أرض واحدة . فالأطفال
والمراهقون من الأوربيين (دون ٢٠ سنة) لا تتجاوز نسبتهم ٢٨/٠ ؛
وتصل نسبة المعمرين من الستين فما فوق إلى ١٠/٠ . والرسم التالي يوضح
هذه الفروق بشكل ملموس (١)



ويتبع هذا التصنيف تصنيف آخر هو تقسيم السكان إلى منتجين وغير منتجين . فالنوع الأول يشمل جميع السكان الذين يخلقون موارد جديدة كالزراعة والصناعة . أما التجار وأرباب المهن الحرة والموظفون فهؤلاء لا ينتجون بصورة مباشرة ، وإنما مهمة بعضهم الوساطة بين المنتج والمستهلك (التجار) ، ومهمة الآخرين توفير الصحة والثقافة وتوطيد الأمن وتأمين العدل للمنتجين .

فكما أن للزراعة والصناعة إنتاجية مفيدة ، فلاصحاب الفعالية الثالثة إنتاجية هامة أيضاً . فإنتاجية الجيش أن يربح المعارك ويحمي الوطن ، وإنتاجية القاضي أن يقيم العدل بأسرع وقت وأقل كلفة ، وإنتاجية المدرس أن يعلم أبناء الأمة خير المعلومات الضرورية لها وبأجمع طريقة وأسهلها .

ولابد أيضاً من معرفة السكان العاملين وغير العاملين في كل أمة لبناء اقتصادها على أسس قوية ؛ ونقصد بالسكان العاملين جميع من لهم عمل يعيشون من موارده ؛ أما الأطفال وطلاب المدارس والمعاهد والشيخوخة والعجز والنساء الملتزمات بيوتهن والملاك العقاريون ، فهم كلهم غير عاملين^(١) وبصورة عامة يقل عدد المواطنين العاملين في البلاد التي يكثر أهلها من النسل ويكون عدد الأطفال لديهم كبيراً جداً ، وكذلك في البلاد التي لاتفسح ميدان العمل للنساء .

ومن الوجهة النظرية يجب أن نعتبر من السكان العاملين جميع من بلغوا سن العمل رجالاً ونساءً . وفي حالة استفادة الأمة من جهود أكثر أبنائها تكون قد بلغت مرحلة العمل التام (Plein emploi) . وفي الواقع يكون العاملون فعلاً قلةً بالنسبة لمن هم قادرون على العمل ؛ فليس جميع الشبان والكهول يضطلعون بعبء الكسب في الحياة ويسهمون في تنمية الإنتاج

(١) إن التصنيف المتفق عليه دولياً يعتبر العمال المتعطلين لأسباب خارجة عن إرادتهم من جملة السكان العاملين أيضاً .

الفصل السادس

التصنيف المهني للسكان

والمدن والقرى

١ - الفعاليات البشرية

لقد اعتاد الجغرافيون أن يصنفوا البشر حسب أنماط معيشتهم إلى رعاة وزراة وصناع وتجار ناميين ذلك في أغلب الظروف إلى أثر البيئة الطبيعية. ولكن العصور الأخيرة أثبتت أن الإنسان يقهر عوامل الطبيعة كلما أمعن في التقدم العلمي ، وأن أنماط المعيشة قد تكون في نهاية الامر تنظيماً اجتماعياً يرجع إلى عقل الإنسان وتدييره .
والتقسيم المألوف اليوم يفرق في نشاط البشر الاقتصادي بين فعاليات ثلاث :

١ - الفعالية الأولى : وهي المقتصرة على الرعي والصيد والتحطيب والزراع .

ب - الفعالية الثانية : وهي المنصرفة إلى الصناعة .

ج - الفعالية الثالثة : وهي التي يمارسها التجار والموظفون وأصحاب المهن الحرة الخ . . .

وقد لوحظ أن الفعاليات الأولى أقل ربحاً من الفعالتين التاليتين ، لأن نتاج الأرض محدود بإمكانات مساحية وعضوية .

ونمو الفعالية الثالثة قد يكون دليلاً على تقدم الأمة ورفقها ، كوفرة الأطباء والأدباء والفنانين والمعلمين والمدرسين .

والصناعة (١):

الدولة	نسبة النساء المشتغلات بالزراعة إلى ١٠٠ من الرجال الزراعيين	نسبة النساء المشتغلات بالصناعة إلى ١٠٠ من الرجال الصناعيين
ألمانيا الغربية (١٩٥٠)	١٢٧	٢٧
ألمانيا الشرقية (١٩٤٦)	١٢٧	٨
النمسا (١٩٥١)	١١٠	٣٠
تركيا (١٩٥٠)	٩٩	١٦
تاييلاند (١٩٤٧)	٩٩	٤٨
اليابان (١٩٥٠)	٩٦	٣٠
فرنسا (١٩٤٦)	٧٧	٣٦
فنلندا (١٩٥٠)	٦٨	٤٤
هولندا (١٩٤٧)	٣٩	١٤
بلجيكا (١٩٤٧)	١٦	٢٣
انجلترا (١٩٥١)	١٢	٣٣
الولايات المتحدة ١٩٥٠	٩	٢٤
السويد (١٩٥٠)	٩	٢٠
سويسرا (١٩٤١)	٨	٣٠
النرويج (١٩٥٠)	٨	٢٠
البريزيل (١٩٥٠)	٨	١٨
الباكستان (١٩٥١)	٦	٧
المكسيك (١٩٤٠)	١	١٠

(١) جميع الأرقام الإقتصادية الواردة في هذا الفصل محسوبة على أساس الاحصاءات المدونة في (حولية إحصاءات العمل) التي يصدرها مكتب العمل الدولي بمجنيف ، الطبعة ١٤

سنة ١٩٥٤ : *Annuaire des statistiques du travail* 1954. Genève 1954.

Annuaire des statistiques du travail 1954. Genève 1954.

القوى ؛ وفي أكثر بلدان العالم لا يزيد عدد العاملين عن نصف من هم قادرين على العمل .

ويحول دون تحديد عدد السكان العاملين تحديداً صحيحاً وجود فئة كبيرة من العمال الذين لا يستخدمون إلا في مواسم موقوتة من السنة . وبما يتعذر حصره بمجموع الأبناء الذين يؤازرون ذويهم ساعات من اليوم في أعمال البيع والشراء أو في المهام الزراعية البسيطة .

وعند ما يُقارن بين نسب العاملين في كل دولة يجب الانتباه إلى اختلاف سن العمل في البداية والنهاية تبعاً للتشريع المحلي ، ثم إلى درجة تقيد الشعب بهذه السن القانونية .

وتبدو الصعوبات أشد في حصر النساء العاملات . وإذا أمكن إحصاء عددنهن في الصناعة فمن العسير معرفة من يعمل منهن في الزراعة أو في الحرف المنزلية . والتفاوت الذي نلسه في عدد العاملين لدى الشعوب المختلفة يرجع في كثير من الأحيان إلى التفاوت في تسجيل النساء العاملات . ولذلك نجد أن نسب الرجال العاملين تختلف من بلد لآخر بين ٥٥ و ٧٠٪ من مجموع الرجال ، بينما تتراوح نسب النساء العاملات بين ٥ و ٥٠٪ من جملة النساء .

والإحصاءات العالمية المتوافرة تدل على أن نسب الرجال العاملين تزيد في جميع البلاد على نسب النساء العاملات ؛ وهذا أمر طبيعي لاشتغال ربات البيوت في أعمالهن المنزلية . وبعض البلاد تسجل في العمل الزراعي نسبة أكبر للنساء من الرجال كالألمانيا والنمسا وبلغاريا . أما في الصناعة فلا يزيد عدد النساء العاملات على الرجال العاملين إلا حيث تعتمد البلاد على الصناعات الخفيفة والحرف اليدوية والمنزلية (نيكاراغو ، بيرو ، بورتوريكو ، كولومبيا ، فينزيلا) . ويسجل النساء تفوقاً على الرجال بصورة خاصة في حقل الخدمات التجارية والمنزلية .

وليكم بعض الأمثلة العالمية عن نسب النساء في حقل الزراعة

نسبة السكان العاملين إلى مجموع السكان	نسبة الرجال العاملين إلى مجموع الرجال	نسبة النساء العاملات إلى مجموع النساء	الدولة
٠/٠	٠/٠	٠/٠	
٦٠ و ٤	٦٧	٥٣ و ٧	تركيا (١٩٥٠)
٥١ و ٥	٦٧ و ١	٣٧ و ٥	فرنسا (١٩٤٦)
٤٩ و ٩	٦٦ و ١	٣٣ و ٧	الدانمارك (١٩٥٣)
٤٩ و ٢	٦١ و ١	٣٨ و ٤	فنلندا (١٩٥٠)
٤٨ و ٣	٦٣ و ٧	٣٥	النمسا (١٩٥١)
٤٨ و ١	٦٤ و ٢	٣٢ و ٩	تشيكوسلوفاكيا (١٩٤٧)
٤٦ و ٣	٦٢ و ٨	٣٠ و ٨	يوغوسلافيا (١٩٥٣)
٤٦ و ٢	٦٦ و ٨	٢٧ و ٢	بريطانيا (١٩٥١)
٤٥ و ٥	٦٦ و ٧	٢٥ و ٩	سويسرا (١٩٥٠)
٤٤ و ٣	٦٥ و ٤	٢٣ و ٣	السويد (١٩٥٠)
٤٣ و ١	٦٦ و ١	٢١ و ٣	إيطاليا (١٩٥١)
٤٢ و ٥	٦٥ و ٥	١٩ و ٩	النرويج (١٩٥٠)
٤٠ و ٩	٦٣ و ٣	١٩	بلجيكا (١٩٤٧)
٤٠ و ٨	٦٠ و ٢	٢١ و ٥	اليونان (١٩٤٠)
٤٠ و ٦	٦٣ و ٤	١٦ و ٦	الأرجنتين (١٩٤٧)
٣٩ و ٩	٥٨ و ٢	٢١ و ٨	الولايات المتحدة (١٩٥٠)
٣٩ و ١	٥٣ و ٩	٢٣ و ٤	الهند (١٩٥٠)
٣٨ و ٦	٥٥ و ٦	٢١ و ٧	الايكواتور (١٩٥٠)
٣٧ و ٩	٥٨ و ٤	١٦ و ٩	كندا (١٩٥١)
٣٦ و ٨	٦٧ و ٤	١١ و ٨	اسبانيا (١٩٥٠)
٣٥ و ٣	٥٧ و ١	١٧ و ٤	البرتغال (١٩٥٠)
٣٥ و ٢	٥٩ و ٣	١١ و ٦	سلقادور (١٩٥٠)
٣٥	٥٥ و ١	١٤ و ١	باناما (١٩٥٠)
٣٤	٥٧ و ٦	١٠ و ٤	كوستاريكا (١٩٥٠)
٣٣	٥٦ و ٤	٠٩ و ٦	البريزيل (١٩٥٠)
٣٢ و ٤	٥٦ و ٨	٠٨ و ٧	المكسيك (١٩٥٠)
٣١ و ٧	٥٦ و ٥	٠٣ و ٧	الباكستان (١٩٥١)

ولا يمكن تأويل هذه الفروق بالعادات الاجتماعية وحدها ، وإنما بتفاوت التسجيل أيضاً .

ورغم العدد الكبير من الشبان الذين أهلكتهم الحرب العالمية الأخيرة ، نجد نسب السكان العاملين مرتفعة في البلاد الاشتراكية ، كما تدل الأرقام التالية (١) :

نسبة السكان العاملين من مجموع السكان (١٩٤٩)

بلغاريا :	٥٦.٥٠ /
الاتحاد السوفيتي :	٥٧.٥٠ /
رومانيا :	٥٧.٥٩ /
بولونيا :	٤٧.٠٠ /
تشيكوسلوفاكيا :	٤٨.٥١ /

وقلة السكان العاملين قد تدل على فقر البلاد وتدنى معيشة أبنائها وعدم استغلال جميع إمكانياتها الإنتاجية كدول أمريكا اللاتينية والباكستان والهند وأندونيسيا .

ولكن السكان العاملين قد يقلون أيضاً في البلاد الراقية التي تفرط في استخدام الآلة ، وتفاوت فيها حظوظ العمل والكسب ، كالولايات المتحدة وكندا .

وندرج في الجدول التالي أمثلة عن نسب السكان العاملين نساءً ورجالاً :

(١) أنظر : Pierre George : Introduction à l'étude géographique

de la population dumonde, Paris, 1951, p. 104.

تجهد في الاقلال من عدد العاملين دون سن العشرين وفوق سن الخامسة والستين ، فتيح للأولين فرصة الدراسة وتمنح للآخرين إمكانية الراحة والحياة الهائلة؛ وهذا ما نجده في الولايات المتحدة والنمسا وسويسرا والسويد وبريطانيا وكندا وغيرها من الأمم العريقة في المدينة .

وتصنّف الدول حسب نوع الفعالية الإقتصادية التي يمارسها أكثر سكانها إلى الأنواع التالية :

(١) النوع الزراعي :

ويشمل البلاد التي تزيد نسبة الزراعة فيها عن ٦٠٪ من مجموع سكانها العاملين . ومن أمثلة ذلك تركيا والباكستان ، حيث يتوزع السكان العاملون كما يلي :

(تركيا عام ١٩٥٠)

فعالية أولى (زراعة) : ٨٥١٪

فعالية ثانية (صناعة) : ٧٥٥٪

٩٢٦٪

فعالية ثالثة :

نقلات ومواصلات : ٥٩٪

تجارة ومال : ٢٪

إدارة عامة ومهن حرة : ٣٣٪

خدمات خاصة ومنزلية : ١٢٪

٧٥٤٪

١٠٠٪

وبداية سن العمل لدى أكثر الامم الراقية هي في الخامسة عشرة؛ ولدى
سائر الشعوب في الثانية عشرة، وقبلها يُتقيّد بها. ففي مصر كانت نسبة
العاملين دون سن الخامسة عشرة تبلغ عام ١٩٣٧ : ١١.١١٦٪ من مجموع
الرجال العاملين و ١١.١١٩٪ من مجموع النساء العاملات؛ بينما لا تزيد النسب
ذاتها عن ٣.٠٪ و ٣.٠٪ في فنلندا.

والكثرة الغالبة للعاملين متجمعة بين سن العشرين و سن الرابعة والستين
كما يدل الجدول التالي :

رجال نساء

أقل من ١٥ سنة	١٥ من إلى ٢٠	٢٠ من إلى ٦٤	أقل من ١٥ سنة	١٥ من إلى ٢٠	٢٠ من إلى ٦٤	أقل من ١٥ سنة	١٥ من إلى ٢٠	٢٠ من إلى ٦٤	أقل من ١٥ سنة
٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
٨.١	١٥.٩	٧٢.١	٣.٩	٧.٢	٣.٩	٧.٨	١٩.٤	٦٩.٩	٢.٩
٦.٥	١٦	٧٣.٦	٣.٩	٧.٣	٣.٩	٣.٩	٢٣.٦	٧٠.٩	١.٦
٦	١٤.٣	٧٤.٨	٤.٩	٧.٤	٤.٩	٧.٣	١٥.٥	٧٢.١	٥.١
٤.٦	١٥.٦	٧٣.٥	٦.٣	٧.٣	٦.٣	٤.٩	١٥.٥	٧٣.٤	٦.٢
٤.٧	١١.٤	٨٠.٣	٤.١	٨.٠	٤.١	٤.٩	١٦.٤	٧٦.٨	١.٩
٣.٨	١٢	٧٨.١	٦.١	٧.٨	٦.١	٥.٩	١٩	٦٩.٢	٥.٩
١.٢	٩.٤	٨١.٨	٧.٦	٨.١	٧.٦	١.٣	١٢	٧٩.٣	٧.٤
١	١٤.٢	٨٠.٨	٤	٨.٠	٤	١.١	٢٢.٢	٧٤.٦	٢.١
٠.٩	٧.٨	٨٥	٥.٤	٨.٥	٥.٤	١.٨	١٥.١	٨٠.٧	٢.٤
٠.٨	١٠.٦	٨٤.٨	٣.٨	٨.٤	٣.٨	١.١	١٦.٦	٧٩.٣	٣
٠.٦	٨.٢	٨٧.٤	٣.٨	٨.٧	٣.٨	١.٢	١٦.٤	٧٩.١	٣.٣
٠.٣	٥.٦	٨٨.٦	٥.٥	٨.٨	٥.٥	٠.٣	٨.٤	٨٨.٢	٣.١
٠.٣	٩.٩	٨٦.٥	٣.٣	٨.٦	٣.٣	٠.٦	١٦.٣	٧٩.٨	٣.٣
٠.٣	١٠	٨٤.٩	٤.٨	٨.٤	٤.٨	٠.٢	١٠.٧	٨٥.٤	٤.٣
٠.٢	٧.٦	٨٧.١	٥.١	٨.٧	٥.١	٠.٢	١٧	٨٥.٥	٢.٣
٠.١	٦.٨	٨٧.٦	٥.٥	٨.٧	٥.٥	٠.٢	١٣.٧	٨٢.٤	٣.٧
٠	١٠.٩	٨٤.٣	٤.٨	٨.٤	٤.٨	٠	١٥.٣	٨١	٣.٧
٠	٦.١	٨٩.٢	٤.٧	٨.٩	٤.٧	٠	٧.٨	٨٧.٨	٤.٤
٠	١٣.١	٨٠.٨	٦.١	٨.٠	٦.١	٠	١٥.٩	٨١.١	٣
٠	٨	٨٧.٦	٥.٥	٨.٧	٥.٥	٠	١٧.٧	٧٩.٩	٢.٤

وليس من ريب في أن أرقى الدول وأدناها إلى العدالة والخير هي التي

وفي المثاليين السابقين تبقى الزراعة المورد الأول للسكان ، لكن الصناعة تحتل مكاناً هاماً أيضاً ؛ وبمجموع الفعالية الثالثة يبلغ في اليابان ٣١٥٧٪ ، وفي البرزيل ٢٦٥٣٪ من الفعالية العامة .

(ح) - النوع الصناعي :

وتبلغ فيه نسبة الأفراد العاملين في الصناعة ٣٠٪ على الأقل من مجموع السكان العاملين . وهذه النسبة تصل إلى ٤٨ و ٧٪ في بلجيكا و ٤٧ و ٥٪ في بريطانيا و ٤٣ و ٥٪ في سويسرا و ٤١ و ٩٪ في ألمانيا الغربية و ٣٦ و ٣٪ في النمسا و ٣٤ و ٧٪ في الولايات المتحدة الأمريكية و ٣٢ و ٣٪ في هولندا .

ولا بأس أن نستعرض تفصيلاً توزيع السكان العاملين في بلدين منها ، هما بريطانيا والولايات المتحدة :

بريطانيا (١٩٥١) الولايات المتحدة (١٩٥٠)

فعالية أولى :	٤٥٩٪	١٢٥٢٪
فعالية ثانية :	٤٧٥٪	٣٤٥٧٪
فعالية ثالثة :		
نقلات ومواصلات :	٧٨٪	٧٪
تجارة ومصارف :	١٤٪	١٨٥٪
غاز ، كهرباء ، ماء :	١٥٦٪	١٥٣٪
خدمات عامة وخاصة :	٢٣ و ٨٪	٢٣ و ٦٪
فعاليات غير معينة ومتعطلون :	٤ و ٠٪	٢ و ٧٪
	٤٧ و ٦٪	٥٣ و ١٪
	١٠٠٪	١٠٠٪

ويتضح من الأرقام السابقة أن السكان غير المنتجين مباشرة يزدون في الولايات المتحدة عن السكان العاملين في الإنتاج المباشر .

(الباكستان عام ١٩٥١)

فعالية أولى (زراعة ، تحريج ، صيد) :	٧٧و٥
صناعات استخراجية وتحويلية وبناء :	٧
تجارة ومالية :	٥
نقلات ومواصلات :	١٣
إدارة وبلديات وتربية وصحة :	٢و٥
خدمات منزلية وشخصية :	٢و٨
ديانة وفن وفعاليات غير معينة :	٣و٩
	١٠٠

ويدل هذان المثالان على بلدين زراعيين بالدرجة الأولى ، فلا تزيد فيهما نسبة العاملين بالصناعة عن ٧٪ و ٧,٥٪ ، ولا يشتغل بالتجارة من مواطنيهما سوى ٥٪ (الباكستان) و ٢٪ (تركيا) . وبمجموع الفعالية الثالثة يمارسها فقط ٧,٤٪ من المواطنين العاملين الأتراك و ١,٥٪ من الباكستانيين .

(ب) النوع الزراعي ذو الفعالية الصناعية الثانوية :

وهو سائد في البلاد المشتغلة بالزراعة مع استثمار لبعض المناجم واهتمام محسوس بالصناعات . وأحسن نماذجه اليابان والبريزيل حيث يتوزع المواطنون العاملون على النحو التالي :

البريزيل (عام ١٩٥٠)

اليابان (عام ١٩٥٠)

فعالية أولى :	٤٧و٤	فعالية أولى :	٥٧و٧
فعالية ثانية :	٢٠و٩	فعالية صناعية :	١٦
كهرباء ، غاز ، ماء ، صحة ، نقلات ومواصلات :	٥	تجارة ومال :	٦و٢
خدمات :	١٢و٩	نقلات ومواصلات :	٤
تجارة ومال :	١١و٦	خدمات :	١٤و٣
		جيش وأمن :	١و٥
متعطلون وفعاليات غير معينة :	٢و٢	فعاليات غير معينة :	٠و٣
	١٠٠		١٠٠

بينما تصل النسبة ذاتها إلى ٦٢٪ بين الأوربيين في المغرب العربي و ٥٩٪ في الولايات المتحدة الأمريكية .

ولا فصل إلى نسب مماثلة لما هي عليه لدى الشعوب الغربية إلا إذا اتخذنا بداية العمل في سن الثانية عشرة .

يبد أن دلالة السن على مبلغ العاملين وغير العاملين تظل دلالة نظرية ؛ وفي الواقع يجب أن ندخل في الحساب الأمور التالية :

(أ) في العالم العربي فئة كبيرة من القادرين على العمل غير العاملين لسوء التنظيم الاجتماعي وانتشار الأساليب القطاعية في الاستثمار الزراعي .

(ب) بما أن الفعالية الاقتصادية السائدة هي الفعالية الزراعية ، فهناك عدد كبير ممن لهم عمل مؤقت مرهون بموسم الحصاد أو الحرث الخ . .

(ح) يكثر عدد المتعطلين بسبب فشو الأمراض وكثرة العجزة وذوي العاهات (١) .

(د) لا يمكن في الظروف الراهنة الوثوق تماما بالاحصاءات المتهمة لتعذر حصر النساء العاملات والأطفال العاملين في الأرياف وبين أفراد البدو الرحل .

ومهما يكن من أمر فالثابت أن نسبة السكان العاملين فعلاً في جميع البلاد العربية لا تزيد وسطياً عن ٤٠٪ ؛ وأن الشعوب العربية كافة هي من النوع الزراعي ، أي أن نسبة المشتغلين فيها بالفعالية الأولى تزيد عن ٦٠٪ من مجموع السكان العاملين ؛ وقد تصل إلى ٩٠٪ (بحمية عدن) . غير أن التجزئة السياسية المفروضة قد تخلق بعض الاستثناءات الموضعية ،

(١) يبلغ عدد ذوى العاهات في العراق ١٢٨٧٧٥ (٢٠٨٪ من مجموع السكان) عدا القبائل الرحالة ، منهم ٣٥٣٨٤ فاقد البصر (المجموعة الاحصائية السنوية العامة لسنة ١٩٥٣ ، ص ٥٢) . ويرتفع عدد أصحاب العاهات في مصر إلى ٢٤٣٩٧٠ منهم ٧٥٣٤٤ فاقد البصر (تقرير إدارة التأهيل المهني بوزارة الشؤون الاجتماعية عن ذوى العاهات في مصر عام ١٩٥٤)

(د) - النوع الاشتراكي :

وهو السائد في الاتحاد السوفيتي وبعض الجمهوريات الشعبية الأخرى ؛ ويتميز بالتطور السريع من الزراعة إلى الصناعة وبإلغاء التجارة والمصارف الخاصة وقلبها إلى مصالح حكومية أو نقابية . والجدول التالي يدل على ذلك بوضوح :

الاتحاد السوفيتي عام ١٩٣٩

روسيا عام ١٩١٣

سكان زراعيون :	٠.٧٥	٠.٤٦٩٤
سكان صناعيون :	٠.١٥	٠.٣٥٩٢
مشتغلون بفعاليات ثالثة :	٠.١٠	٠.١٨٩٤

٢ - التصنيف المهني للسكان في العالم العربي :

إذا اعتبرنا السن وحدها مقياساً للسكان العاملين وفرضنا أن المواطنين نساءً ورجالاً يعملون جميعهم منذ سن الخامسة عشرة حتى الستين ، وجدنا الفرق كبيراً بين نسبة القادرين على العمل في البلاد العربية ونسبة أمثالهم في البلاد المكتملة . فالسكان العرب في حقبة السن المذكورة يبلغون بالنسبة إلى مجموع السكان :

في شرق الأردن	٠. ٤٦٩٧
في العراق	٠. ٤٨
في مراکش	٠. ٥١
في تونس	٠. ٥١٩٤
في الجزائر	٠. ٥٢٩٤
في سورية ولبنان	٠. ٥٤
في مصر	٠. ٥٦

في العالم العربي ١٣٥

أقل من ١٥ سنة ١٥-١٩ سنة ٢٠-٦٤ سنة ٦٥ فما فوق

السكان الأصليون:

ذكور : ٠/٢٥٧	٠/١٦٥٦	٠/٧٦٥١	٠/٤٥٦
إناث : ٠/٠٥٩	٠/١٦٥٦	٠/٧٩٥٦	٠/٢٥٩

السكان الأوربيون :

ذكور : ٠/٠٥٤	٠/٧٥٢	٠/٨٧٥٦	٠/٤٥٨
إناث : ٠/٠٥٧	٠/١١٥٤	٠/٨٣٥١	٠/٤٥٨

ويمكن أن ننسب أيضاً كل زمرة من العاملين إلى مجموع السكان في زمرة السن نفسها فنصل إلى النتائج التالية :

١٥ - ١٩ سنة ٢٠ - ٦٤ ٦٥ فما فوق

السكان الأصليون :

ذكور : ٠/٨٢٥٦	٠/٩٤٥١	٠/٩٣٥١
إناث : ٠/٥١٥٤	٠/٥٢٥١	٠/٣١٥٤

السكان الأوربيون :

ذكور : ٠/٤٣٥٤	٠/٩٠٥٥	٠/٤٨٥٥
إناث : ٠/١٩٥٥	٠/٢١٥٧	٠/٨٥٥

ويتضح مما سبق أن الجزائريين الأصليين يضطرون إلى تشغيل ٠/٨٢,٦ من الأحداث الذكور دون سن العشرين و ٠/٩٣,١ من الشيوخ الذين بلغوا الخامسة والستين أو تجاوزوها ، بينما يقل العاملون عن النصف في فئات العمر ذاتها بين الأوربيين^(١) . ويعيش من تتاج الأرض مباشرة ٠/٧٨ من سكان الجزائر ؛ وتمثل الموارد الزراعية ٠/٧٠ من الدخل القومي (عام ١٩٥٢)^(٢) .

(١) ١٩٥٤ - ١٩٥٥

(٢) حولة إحصائيات العمل ١٩٥٤ ، ص : ٦ - ٩ .

بسبب فصل مناطق عن أخرى تتممها اقتصاديا ؛ فستعمرة عدن ليست بلداً زراعياً إذا أخذت مستقلة عن اليمن أو حضر موت ، وكذلك جزر البحرين إذا اعتبرت منفصلة عن السواحل الشرقية لجزيرة العرب ؛ ونلاحظ الأمر ذاته في لبنان ، فإذا لم نعتبره وحدة اقتصادية مع سورية كان ابناؤه المنصرفون إلى العمل الزراعي نصف سكان العاملين فقط .

وإذا كانت الزراعة تشغل العدد الأكبر من سكان الوطن العربي فليس معنى ذلك أنها تدر دوماً معظم الربح ؛ ففي عام ١٩٥٣ بلغ الدخل القومي في مصر ٨٥٦ مليون جنيه ، كان نصيب الزراعة من ذلك ٢٧٢,٧٩٨,٠٠٠ جنيه أى ٣٢٪ . فقط من المجموع ؛ بينما كان نصيب التجارة والنقل ١٨١,٥٧٥,٠٠٠ جنيه والصناعات التحويلية ٦٥,٨٧٦,٠٠٠^(١) . وكان تخمين الدخل القومي في سورية خلال سنة ١٩٥٠ : ١٢٥٠ مليون ليرة ، ليس للزراعة منها سوى ٤٤,٣٪ ؛ وكان نصيب التجارة والمالية ١٣,٢٪ والصناعة ١٠٪^(٢) . وتمثل الموارد الزراعية في لبنان ٢٠٪ فقط من مجموع الدخل العام ، بينما تمثل التجارة ٢٥٪ والصناعة ٢٠٪^(٣) .

وأوثق الإحصاءات العربية المتعلقة بأصناف العاملين نجدها في المغرب العربي ومصر . وقد بلغت نسبة السكان العاملين في الجزائر عام ١٩٤٨ : ٤١,٦٪ من جملة السكان غير الأوربيين ، وتبلغ نسبة الرجال العاملين وحدهم ٥٦,٩٪ من مجموع الرجال ، ونسبة النساء العاملات ٢٩,٥٪ من مجموع النساء . أما السكان الأوربيون فالعاملون من رجالهم يبلغون ٥٨٪ ولا يعمل من نسائهم سوى ١٤,٩٪ ، لأنهم يقطنون المدن في أغلب الأحوال ، حيث لا تعمل المرأة إلا قليلا ؛ وتوزع أعمار العاملين كما يلي :

(١) تصريح وزير المالية المصرية . جريدة الأخبار ١٠/١٢/١٩٥٤ .

(٢) المجموعة الاقتصادية السنوية لعرفة تجارة حلب ، عام ١٩٥٣ ، ص : ٦١٨ .

(٣) محاضرات الدكتور البرت بدر عن اقتصاديات لبنان عام ١٩٥٤ ، طبع معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٥ .

فيها من الأجانب الأوروبيين سوى ٢٤ ٪؛ ويحترف الصناعة والتجارة والنقل ٤٨ ٪ من الأوروبيين العاملين و ١٦ ٪ فقط من السكان الأصليين؛ وبين يهود تونس نحو من ٥١ و ٨ ٪. يمارسون التجارة و ٢٢ و ٣ ٪. يزاولون الصناعة والنقل؛ ونسبة المزارعين منهم لا تصل إلى ٤ و ٠ ٪ من مجموع أفرادهم العاملين (١).

أما في مصر فلم تتجاوز نسبة السكان الذين يقومون بعمل واضح منتج عام ١٩٣٧ : ٤٠ ٪ من مجموع السكان، يتوزعون كما يلي : ٨٥ و ٣ ٪ رجال و ١٤ و ٧ ٪ نساء؛ ويمارس الفعالية الأولى منهم ٧٠ و ٧ ٪، ويحترف الصناعة واستثمار المناجم والبناء ١٠ ٪، والتوزيع التفصيلي كان كالتالي (٢) :

العدد بالآلاف			المهنة
الجملة	إناث	ذكور	
٤,٣٠٨	٧٠٣	٣,٦٠٥	الزراعة والصيد والقنص
٤٨٩	٤٦	٤٤٣	الصناعة واستثمار المناجم
١٢١	١	١٢٠	البناء والتشييد
١٣٩	١	١٣٨	النقل والمراسلات
٤٦٠	٦٠	٤٠٠	التجارة
٣٢٢	١٧	٣٠٥	الإدارات العامة والخدمات الاجتماعية
٢٥٦	٦٩	١٨٧	الخدمات الشخصية
٦,٠٩٥	٨٩٧	٥,١٩٨	الجملة
١,٣٢٧	٤٦٦	٨٦١	صناعات غير منتجة وغير واضحة
٦,٣٩١	٥,٥٠٥	٨٨٦	لا عمل لهم
١٣,٨١٣	٦,٨٦٨	٦,٩٤٥	المجموع العام

(١) Encyclopédie Coloniale : Tunisie, p. 102

(٢) لا يشمل الأطفال دون سن الخامسة (الإحصاء السنوي للجنس ١٩٥٣، ص ١٥)

أما في مراكش فنسبة السكان العاملين من المسلمين هي ٣٩٪ من مجموع المسلمين؛ ونسبة النساء العاملات هي ٢٥٪ من جملة النساء المسلمات، بينما ترتفع نسبة الرجال إلى ٥٣٪، وذلك حسب تعداد عام ١٩٥٢؛ وهي نسب قريية جداً مما هي عليه في الجزائر. وهنا أيضاً يؤلف المزارعون ٧٢٪ من مجموع السكان العاملين، ولا تشغل الصناعة سوى حوالى ٢٠٠,٠٠٠ نسمة أى أقل من ٧٪ من جملة المواطنين العاملين. ويعمل من الأوربيين الرجال ٥٩٪، ومن النساء ١٦٪ فقط؛ وبينما ينصرف المسلمون إلى الزراعة يقبض الأوربيون على الصناعة (٢٨٪ من مجموع السكان العاملين الأوربيين) والوظائف والمهن الحرة (٢٦٪) والتجارة والمواصلات (٢٠٪)؛ ولا يمارس الزراعة منهم سوى ٧٪. ولا تتجاوز نسبة العاملين من يهود مراكش ربع مجموعهم، لندرة العاملات من نسايم؛ وذلك أنهم يحترفون التجارة وبعض الصناعات (الجلود، الأثاث الخ...) وهي مهن لا مجال كبير فيها لعمل النساء^(١).

وكان عدد سكان تونس في سن العمل عام ١٩٤٦ : ٥٢٪ من مجموع أصحاب البلاد والأجانب؛ ولكن الذين لهم عمل دائم لم يزيدوا عن ٤٣٪ ممن هم في السن العمل، أى ٧٢٪ من الرجال في سن العمل و ١٢٪ من النساء في تلك السن. وهذا يعنى أن ٢٨٪ من الرجال و ٨٨٪ من النساء في سن القدرة على العمل لا يقومون بعمل منتج. والعاملون بصورة دائمة من الرجال بين السكان الأصليين هم ٤٠٪ ومن الأوربيين ٦٧٪ من مجموع القادرين على العمل؛ والذين لا عمل لهم من السكان الأصليين الذكور ٣٠٪ من الرجال في سن العمل و ٩١٪ من النساء، ومن الرجال الأوربيين ٥٪ ومن نسايمهم ٦٤٪^(٢).

ويشغل من السكان الأصليين العاملين ٦٤٪ في الزراعة، بينما لا يشتغل

(١) Maroc 54, p. 71 — 77

(٢) Documents Nord-Africains — 5e année, document n° 136

7 mai 1954.

العدد بالآلاف			المهنة
الجملة	إناث	ذكور	
٤,٢٤٥	٥٨٩	٣,٦٥٦	الزراعة والصيد والقنص
٧٢٢	٥٧	٦٥٦	الصناعة واستثمار المناجم
١١٣	١	١١٢	البناء والتشييد
٢٠٣	٢	٢٠١	النقل والمراسلات
٦٢١	٧٦	٥٤٥	التجارة
٥١٥	٢٦	٤٨٩	الإدارات العامة والخدمات الاجتماعية
٣٩٢	١٢٥	٢٦٧	الخدمات الشخصية
٦,٨١١	٨٧٦	٥,٩٣٥	الجملة
١,٥٧٢	٤٤٩	١,١٢٣	صناعات غير منتجة وغير واضحة
٧,٩٩٩	٦,٩٤٥	١,٠٥٤	لا عمل لهم
١٦,٣٨٢	٨,٢٧٠	٨,١١٢	المجموع العام

ومن مقارنة التصنيف المهني لسكان مصر خلال عامي ١٩٣٧ و ١٩٤٧ يبدو جلياً أن نسبة السكان العاملين لم تزد، ولكن نسبة السكان العاملين بالصناعة والمناجم والبناء قد ارتفعت من ١٠٪ إلى ١٢,٢٪. من مجموع من لهم عمل واضح، وانخفضت نسبة المزارعين من ٧٠,٧٪ إلى ٦٢,٣٪، وتدنى عدد النساء العاملات من ٨٩٧,٠٠٠ إلى ٨٧٦,٠٠٠.

ومن الغريب أن تدنى عدد النساء العاملات بالزراعة قد لوحظ أيضاً في سورية بين ١٩٣٧ و ١٩٤٦، كما يظهر من الجدول التالي (١):

(١) تقرير عن الاحصاءات الزراعية لسورية — وزارة الزراعة عام ١٩٤٦

والنتائج الأولى لتعداد عام ١٩٤٧ المنشورة في « الإحصاء السنوى العام » سنة ١٩٥٣ قفزت بعدد العاملين إلى ١٢,٥٨٤,١٤٧ ، أى ما يعادل ٦٥,٩ ٪ من مجموع السكان ؛ وبدأت الزيادة في عدد النساء العاملات خاصة ، فرجحن على عدد الذكور العاملين : ٦,٦٤٨,٦٨٢ امرأة و ٥,٩٣٥,٤٦٥ رجلا . والسبب في هذا التزايد وهمي ، مردّه أن مصلحة الإحصاء وضعت في تعداد ١٩٤٧ جميع ربات البيوت في زمرة العاملات بالخدمات الشخصية ؛ فأصبح عدد الأفراد المنتمين إلى هذه الزمرة : ٢,٨٥٥,٣٩٤ (منهم ٢,٥٨٨,٢٣٥ امرأة) وهذا ما يعادل ٢٢,٧ ٪ من مجموع السكان العاملين ؛ بينما بلغت نسبة جميع العاملين بالصناعة واستثمار المناجم والتشييد ٦,١ ٪ وبالتجارة ١٥,١ ٪ . وأدخلت المصلحة المذكورة أيضاً زوجات المزارعين في عداد العاملين بالزراعة ، فأصبح عددهم الإجمالي ٧,٥٥٤,٦١٤ (إناث : ٣,٨٩٩,٥٦٧ ، ذكور : ٣,٦٥٦,٠٤٧) ، ونسبتهم العامة إلى السكان العاملين ٦٠ ٪ .

إلا أن مصلحة الإحصاء فطنت بعد ذلك إلى خطأ ادماج الخدمات المنزلية ضمن الخدمات الشخصية ؛ وحصرت عدد العاملين فعلاً بالزراعة من الذكور والإناث ؛ ونشرت التصنيف المهني الصحيح لسكان مصر وفقاً لتعداد ١٩٤٧ في الإحصاء السنوى للجيب المطبوع عام ١٩٥٤ ، وهو المدرج فيما يلي (١) :

٢٢٦	٧٦	٥٠٩
٢٥٢	٦٢	٧٨٢
٥٦٠,٢	٧٦٨	٥٦١,٥
٧٧٦,١	٢٣٤	٢٢٥
٢٦٦,٢	٥٠٥,٥	٢٨٨
٦١٥,٢	٨٥٨,٢	٢٢٦,٢

(١) لا يشمل الأملاك دون سن الخامسة (الإحصاء السنوى للجيب ، ص : ١٥)

المزارعون المذكورون سنة ١٤	المزارعون المذكورون تحت سن ١٤	المزارعات الإناث	المجموع
٦٢٢,٩٤٣	٢٩١,٧٣٧	٤٦٥,٧٦٤	١,٣٨٠,٤٤٤

المشتغلون بالتجارة	١١٠,٠٠٠
بالصناعة والحرف اليدوية	٧٥,٠٠٠
بالنقلات	٤٥,٠٠٠
بالخدمات الخاصة والعامة	٧٠,٠٠٠

وسيسمح لنا بحث المدن والقرى في العالم العربي من التأكد بأن ثلثي المواطنين العرب على الأقل يعيشون في الأرياف ويعتمدون في حياتهم على محصول الأرض أو تاج الأنعام.

٣ - مقاييس التفريق بين المدن والقرى :

تزدحم المدن بالسكان في البلاد ذات الاقتصاد الصناعي ، لأن الصناعة تقوم في المدن ، أو أنها كانت تقوم في المدن حتى زمن قريب قبل أن تبدأ بغزو الأرياف ، ولا سيما بعد التوصل إلى نقل التيار الكهربائي حتى مسافات بعيدة .

ويصح أن نتساءل ما هو تعريف المدن ؟ وما هو تعريف السكان الريفيين والسكان المدينيين ؟

إن أكثر الدول تعرف المدن بحسب عدد سكانها ، أي أنها تتخذ العدد وحده مقياساً في التفريق بين القرية والمدينة .

ففي فرنسا كل مجموعة من السكان تعيش في مركز واحد ويبلغ أو يزيد عددها عن ٢٠٠٠ نسمة تعتبر مجموعة مدنية ويعتبر مركزها مدينة ، وكل مركز يقل سكانه عن هذا الرقم يعتبر قرية ويحسب سكانه من الريفيين . وهذا هو الأساس المعمول به أيضاً في ألمانيا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا وتركيا . أما في إيرلندا فالرقم الأدنى لسكان المدينة هو ١٥٠٠ ؛ وفي المكسيك والولايات المتحدة الأمريكية هو ٢٥٠٠ ، وفي بلجيكا وهولندا واليونان والهند هو ٥٠٠٠ .

ولكن هذا التفريق العددي لا يدل على حقيقة فعالية السكان الاقتصادية ،

السنة	عدد العمال الزراعيين في سورية		
	المجموع	إناث	ذكور
١٩٣٧	٧٧٨,٥١٠	٤٧٠,٥١٠	٣٠٨,٠٠٠
١٩٣٨	٧٧٨,٥١٠	٤٧٠,٥١٠	٣٠٨,٠٠٠
١٩٣٩	٨٠٢,٧٠٠	٢٩٧,١٠٠	٥٠٥,٦٠٠
١٩٤٠	٧٩٩,٧٠٠	٢٩٦,١٠٠	٥٠٣,٦٠٠
١٩٤١	٦٤٥,٦٥٠	٢٦٥,٢٠٠	٣٨٢,٤٥٠
١٩٤٢	٦٤٨,٦٥٠	٢٦٤,٧٠٠	٣٨٣,٩٥٠
١٩٤٣	٦٣٧,٥٠٠	٢٤٨,٥٠٠	٣٨٩,٠٠٠
١٩٤٤	٧٣٢,٣٠٠	٢٥٨,١٠٠	٤٨٤,٢٠٠
١٩٤٥	٥٩٥,٥٧٠	٢٧١,٠٥١	٤٢٤,٥١٩
١٩٤٦	٦٨٢,٧٦٧	٢٣٠,٥٥١	٤٥٢,٢١٦

وفيما عدا هذه الإحصاءات عن العمال الزراعيين لم يجر في سورية حصر للسكان حسب مهنتهم المختلفة ، ويستنتج من ازدياد عدد المعامل وتكاثر الإنتاج الصناعي أن سورية أخذت بطريق التصنيع السريع ؛ ولكنها لا تزال في عداد البلاد الزراعية من حيث عدد مواطنيها المشتغلين بالفعالية الأولى . وقد توصلنا إلى تصنيف تقريبي للسوريين حسب مهنتهم يدل على أن السكان العاملين لا يزيدون عن ٤٦,٦ ٪ . من مجموع السكان ، يشتغل ٦٨ ٪ منهم بالزراعة .

وفي العراق كان عدد السكان العاملين ٤٠ ٪ . من جملة المواطنين عام ١٩٥١ - ١٩٥٢ ، منهم ٦٧ ٪ . يزاوون الزراعة ، كما يتضح من الإحصاءات التالية (١) :

(١) راجع محاضرات الأستاذ عبد الرحمن الجليلي (مستسخة) * معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٤ وكذلك :

ويقترح بعضهم إتخاذ المظهر التعاوني مقياساً للتمييز بين المدن والقرى ،
 فحيثما يعيش المواطنون متعاونين في حياتهم الإقتصادية والإجتماعية ، فهناك
 المدينة ، ومن مظاهر هذا التعاون المشاريع المشتركة كإسالة الماء إلى
 المنازل وإنارة الطرق الخ .. والقرية هي التي يسود فيها الإكتفاء الذاتي ،
 فيعجن كل فرد خبزه ويستقي ماءه ويحيط ثيابه الخ .. وواضح أن هذا
 التفريق ، إن دل على شيء — فهو يدل فقط على درجة حضارة الشعب .
 وأصحّ تحديد للمدينة والقرية هو المستند إلى فعالية السكان الإقتصادية
 فالمدينة هي التي يشتغل بالصناعة والتجارة ويعيش من مواردها ٨٠٪ من
 سكانها على الأقل ؛ أما الريف فهو الذي يعيش معظم سكانه في زراعة
 الأرض .

ولكن كثيراً من القرى تجمع إلى فعاليتها الزراعية فعالية صناعية منزلية
 فإذا نطلق عليها ؟ وكثير من المدن العظيمة في البلاد الزراعية الإقطاعية إنما
 يعيش سكانها من موارد الزراعة ولكنهم لا يسكنون قرى ولا يستثمرونها
 بأيديهم .

يضاف إلى ذلك أن الاتحاد السوفيتي أوجد نموذجاً من المدن الكبرى ،
 وهي المعروفة بالمدن الزراعية « Agrovilles » ، وتضم عدداً ضخماً من السكان
 لا عمل لهم سوى استثمار الأرض .

وهكذا يبدو أن المقياس العدي رغم ماأخذه يظل أسهل المقاييس وأناها
 عن التعقيد . والنسبة بين سكان المدن وسكان الأرياف قد تغيرت تغيراً
 كبيراً في أغلب دول العالم ؛ ويمكن القول بصورة عامة أن سكان المدن
 يتزايدون بصورة مستمرة على حساب الأرياف ؛ وهذا النزوح نحو المدن
 يدفع إليه التصنيع وامتعة حياة المدن وإرتفاع الأجور فيها .

فقد كان عدد سكان إنجلترا ١٦ مليون نسمة عام ١٨٠١ ، منهم ١٣
 مليون ريفي ، فأصبح عدد سكانها ٥٠ مليوناً عام ١٩٣٩ منهم ٨ ملايين ريفي

فكم من مراكز يزيد سكانها عن عشرين ألفاً يعيشون كلهم من الزراعة . والكثافة الحسائية للسكان لا تصلح مقياساً للتمييز بين المدينة والقرية ، فكثير من القرى تبلغ فيها الكثافة ٢٠٠٠ نسمة بالكم دون أن يكون لها مظاهر المدينة ونشاطها .

وتتجمع السكان في مكان ما قد يكون ناشئاً عن تركزهم حول بئر أو ينبوع ؛ أو يكون ناجماً عن إختلال الأمن والحاجة إلى الدفاع ؛ أو يكون مرده إلى نظام الشيوع في ملكية الأرض حيث يملك الفلاحون الأرض مشتركين ويتعاقبون على زراعتها بالتناوب ، فلا يستطيعون إقامة منازلهم متفرقة عليها بل يقطنون كلهم في مركز كبير واحد . وقد يكون هذا التجمع أيضاً نتيجة فشو الملكية الواسعة ، الذي يفرض على الفلاحين السكنى في مركز واحد ليكونوا تحت إشراف السيد المالك أو وكيله . وفي أحوال كثيرة يكون التجمع السكاني نتيجة لنظام الري ، فالمساحات المغمورة بالماء قسماً من السنة لا تسمح بإنشاء المنازل عليها ، بل يتجمع السكان في قرى مرتفعة نسبياً ، كما هو الحال في بعض بقاع مصر .

ومن المقاييس المتبعة في التفريق بين المدن والقرى المقياس التاريخي . فالمدينة هي التي لها تاريخ عريق ولا يزال فيها آثار شواهد على مجدها الغابر ؛ ولكن هذا المقياس أيضاً لا يخلو من شوائب ، وذلك أن كثيراً من المدن القديمة قد اندرست وأصبح سكانها أقل من سكان القرى الصغيرة ؛ كما أن كثيراً من المدن الضخمة ليس لها تاريخ طويل .

ومن المقاييس المعتمدة أيضاً المقياس الإداري ؛ فالمدينة هي التي لها مجلس بلدي وفيها موظفون إداريون ومحاكم . وفي البلدان التي تستوفي ضرائب على الأبنية يصح أن يسمى مدينة كل مركز بشري يدفع أهله ضرائب عقارية ، أما القرية فهي التي لا يدفع سكانها سوى ضريبة الإنتاج الزراعي .

وقد يمكن أن يكون ميزان التفريق المظهر الخارجي ، فيعد مدينة كل مركز فيه أبنية جميلة وشوارع مرصوفة وحدائق أنيقة ومخازن ومدارس ومشافى ومقاهى وفنادق الخ . .

في تونس مثلاً لا تشتمل على أكثر من ١٠٠٠ نسمة؛ ومن المراكز الإدارية في المملكة الأردنية قصبات تضم أقل من خمسة آلاف نسمة (معان: ٤٥٠٩، العقبة: ٢٨٣٥، جرش: ٢٦١٤، عجلون: ٢٥١٨)؛ وفي سورية مدن يقل سكانها عن ٢٠٠٠ نسمة (فيق: ١٤٧٥، عين العرب: ١٦٠٥) .

وبصورة عامة ان القاعدة السائدة في العالم العربي هي تجمع السكان في مراكز كبيرة؛ فالمساكن القروية لا تتفرق في الحقول والمزارع بل تتجمع غالباً بعيداً عنها، وذلك للأسباب التي ذكرناها، وأهمها التركيز حول منابع الماء، والتساند للدفاع عن النفس من غارات البدو وغيرهم، وفشو نظام الشيوع في ملكية الأرض، وهيمنة النظام الإقطاعي الخ... وهكذا فليس كل مركز يضم عشرة آلاف أو عشرين ألف نسمة هو بالضرورة مدينة يشتغل أهلها بالصناعة والتجارة، بل كثيراً ما يكون عملهم الغالب هو فلاحه الأرض .

والمراكز التي تضم عشرة آلاف نسمة فأكثر يؤلف أهلها ٣٤ و٠/٠. من مجموع السكان في سورية و٣٣ و٠/٠. في مصر و٢٨ و٠/٠. في المملكة الأردنية و٢٦ و٠/٠. في العراق و٢٠ و٠/٠. في الجزائر و٩ و٠/٠. فقط في المملكة العربية السعودية حيث يتغلب عدد البدو على عدد الحضر .

ومن المستغرب أن يكون في العالم العربي ٣٤ مدينة كبيرة يزيد عدد سكانها على ١٠٠ ألف (باستثناء فلسطين المحتلة) ، مع أن شعوبه كلها تعيش من الزراعة والرعي . وتتوزع هذه المدن كما يلي : ٢٢ في أفريقية العربية و١٢ فقط في آسيا العربية :

- (١) (٦٥٦١) لوبانغ
(٢) (٧٣٦١) لوبانغ
(٣) (٦٥٦١) لوبانغ

فقط . وكانت نسبة الريفيين في الولايات المتحدة ٩٤٪ من السكان عام ١٧٩٠ و ٨٨٪ عام ١٨٤٠ و ٥٤٪ عام ١٩١٠ و ٤٤٪ فقط عام ١٩٤٠ . ولم يكن في فرنسا عام ١٨٠١ سوى ثلاث مدن يزيد سكان كل منها على ١٠٠ ألف نسمة فأصبحت ١٧ مدينة عام ١٩٣٦ . وكان سكان موسكو عام ١٩٢٠ مليون نسمة تقريباً فزادوا عام ١٩٣٩ عن ٤,١٤٠,٠٠٠ ؛ وسكان لينينغراد لم يكونوا عام ١٩٢٠ سوى ٧٢٢,٠٠٠ فأصبحوا ٣,٣٠٠,٠٠٠ عام ١٩٣٩ .

٤ - سطره المرمى وسطه القرى في العالم العربي .

إن أكثر الدول العربية أخذت بالمقياس الإداري في التفريق بين المدن والقرى ؛ فسكان الحضر أو المدن هم الذين يقيمون في مراكز الأقسام الإدارية الرئيسية كعواصم الأولوية والمحافظات والأقضية ، أو في القصبات ذات المجالس البلدية . وعلى هذا الأساس يبلغ سكان المدن ثلث مجموع السكان وسطياً ، كما يتضح من الأمثلة الآتية :

نسبة سكان المراكز الإدارية

أو البلدية إلى مجموع السكان

٣٢٪	مصر (١٩٤٧) :
٣٧,٧٪	المملكة الأردنية (١٩٥٢) :
٣٧٪	سورية (١٩٥٢) :
٣٧٪	تونس (١٩٥٢) :
٣٣٪	العراق (١٩٤٧) :
٢٣,٥٪	مراكش (١٩٥٢) :

وطبيعي أن التفريق الإداري لا يمكن إلا أن يكون عشوائياً ، ولا يدل على طراز معيشة السكان أو مبلغ حضارتهم ؛ فبعض المراكز الإدارية

المدينة	السنة	عدد السكان
(٧) حلب	(١٩٥٣)	٣٩٠,٠٠٠
(٨) دمشق	(١٩٥٣)	٣٨٣,٠٠٠
(٩) وهران	(١٩٥٣)	٢٥٧,٠٠٠
(١٠) بيروت	(١٩٥٢)	٢٥٠,٠٠٠
(١١) مراكش ^(١)	(١٩٥٢)	٢١٦,٠٠٠
(١٢) الرباط	(١٩٥٢)	١٥٧,٠٠٠
(١٣) فاس	(١٩٥٢)	١٨٠,٠٠٠
(١٤) مكة	(١٩٥٢)	٢٠٠,٠٠٠
(١٥) بور سعيد	(١٩٥٢)	٢٠٠,٠٠٠
(١٦) الكويت	(١٩٥٣)	١٧٥,٠٠٠
(١٧) طنجة	(١٩٥٢)	١٧٠,٠٠٠
(١٨) مكناس	(١٩٥٢)	١٤١,٠٠٠
(١٩) الرياض	(١٩٥٢)	١٥٠,٠٠٠
(٢٠) طنطا	(١٩٥٢)	١٥٠,٠٠٠
(٢١) الموصل	(١٩٤٧)	١٣٤,٠٠٠
(٢٢) قسطنطينية	(١٩٥٣)	١٣٠,٠٠٠
(٢٣) عدن	(١٩٥٢)	١٣٠,٠٠٠
(٢٤) السويس	(١٩٥٢)	١٢٧,٠٠٠
(٢٥) حمص	(١٩٥٢)	١٢٦,٠٠٠
(٢٦) طرابلس الغرب	(١٩٥٢)	١٢٥,٠٠٠
(٢٧) أم درمان	(١٩٥٢)	١٢٥,٠٠٠
(٢٨) عنابة (بون)	(١٩٥٣)	١٢٠,٠٠٠

(١) نقصت جميع المدن المراكشية تقريباً في تعداد ١٩٥٢ عما كانت عليه في تعداد ١٩٤٦؛ فحسب هذا التعداد الأخير كان سكان مدينة مراكش مثلاً ٢٤٠,٠٠٠ ويعزو الفرنسيون هذا النقص إلى أن تعداد ١٩٤٦ كان مبالغاً فيه لحدوثه في وقت توزيع بطاقات التكوين

الدولة

عدد المدن التي تضم ١٠٠ ألف ساكن فأكثر

مصر	٨
مراكش	٥
الجزائر	٤
العراق	٣
سورية	٣
المملكة السعودية	٢
السودان	٢
لبنان	١
ليبيا	١
تونس	١
طنجة	١
عدن	١
الكويت	١
المملكة الأردنية	١
	٣٤

وهي بالترتيب العددي التقريبي :

المدينة	عدد السكان
(١) القاهرة	(١٩٥٢) : ٢,٣٦١,٠٠٠
(٢) الاسكندرية	(١٩٥٢) : ١,٠٦٩,٠٠٠
(٣) الدار البيضاء	(١٩٥٢) : ٧٠٠,٠٠٠
(٤) تونس وضواحيها	(١٩٥٣) : ٦٠٠,٠٠٠
(٥) بغداد وضواحيها	(١٩٤٧) : ٥٥١,٠٠٠
(٦) الجزائر	(١٩٥٣) : ٥٣٦,٠٠٠

في العالم العربي ١٤٩

الاسكندرية — عام ١٨٤٨ : ١٣٤,٠٠٠ ، عام ١٨٩٧ : ٣٢٠,٠٠٠
عام ١٩٢٧ : ٥٧٣,٠٠٠ ، عام ١٩٣٧ : ٦١٦,٠٠٠ ، عام ١٩٤٧ : ٩١٩,٠٠٠
القدس — عام ١٨١٤ : ١٢,٠٠٠ ، عام ١٨٨٠ : ٣٥,٠٠٠ ، عام ١٩٣٧ : ١٣٠,٠٠٠ ، عام ١٩٤٧ : ١٥٢,٠٠٠

بيروت — عام ١٨٤٨ : ١٥,٠٠٠ ، عام ١٨٨٠ : ٨٠,٠٠٠ ، عام ١٩٣٨ : ١٨٠,٠٠٠ ، عام ١٩٤٧ : ١٨٥,٨١٧

حلب — عام ١٨٤٥ : ٧٧,٠٠٠ ، عام ١٨٨٢ : ٩٠,٠٠٠ ، عام ١٩٣١ : ١٩١,٠٠٠ ، عام ١٩٣٨ : ٢٧٢,٠٠٠ ، عام ١٩٤٧ : ٣٤٣,٠٠٠

دمشق — عام ١٨٨٠ : ٩٠,٠٠٠ ، عام ١٩٣١ : ١٩٦,٤٠٠ ، عام ١٩٣٨ : ٢٦١,٠٠٠ ، عام ١٩٤٧ : ٣١٠,٢٠٠

بغداد — عام ١٨٣١ : ٢٠,٠٠٠ ، عام ١٩٠٠ : ١٤٥,٠٠٠ ، عام ١٩٣٦ : ٣٠٠,٠٠٠ ، عام ١٩٤٧ : ٣٥٢,٠٠٠ (عد الأعظمية والكاظمية والكرادة)

الدار البيضاء — عام ١٩٣٦ : ٢٥٧,٠٠٠ ، عام ١٩٤٦ : ٥١٥,٠٠٠

تونس — عام ١٩٣١ : ٨٧,٢٠٥ ، عام ١٩٤٧ : ٣٧٥,٠٠٠ (عدا الضواحي)

وقد تطورت نسبة سكان المدن إلى مجموع السكان على النحو التالي :

مصر : عام ١٩٠٧ : ١٩.٠٪

١٩١٧ : ٢١.٠٪

١٩٢٧ : ٢٣.٠٪

١٩٣٧ : ٢٥.٠٪

١٩٤٧ : ٣١.٠٪

١٩٥٣ : ٣٢.٠٪

سورية : عام ١٩٤٧ : ٣١.٥٢٪

١٩٥٢ : ٣٧.٠٪

المدينة	السنة	عدد السكان
(٢٩) المحلة الكبرى	(١٩٥٢)	١٢٠,٠٠٠
(٣٠) الخرطوم	(١٩٥٢)	١٠٩,٠٠٠
(٣١) عمان	(١٩٥٢)	١٠٩,٠٠٠
(٣٢) المنصورة	(١٩٥٢)	١٠٩,٠٠٠
(٣٣) البصرة	(١٩٤٧)	١٠٢,٠٠٠
(٣٤) أسيوط	(١٩٥٢)	١٠٠,٠٠٠

ويصل مجموع سكانها إلى عشرة ملايين نسمة ، أى ما يعادل ١٢.٥٪ من مجموع سكان العالم العربى ، ربعهم فى آسيا والباقي فى إفريقيا .

وقد تضحّت المدن العربية فى العصر الحديث تضخماً كبيراً ، فاتسّعت رقعتها وانتشر عمرانها وتضاعف عدد سكانها ، وأصبح أكثرها مزدوجاً يتألف من قسم قديم ضيق الطرقات عتيق البناء ، وقسم حديث ذى شوارع متسعة وبنيان شاهق ؛ ويتجمع السكان فى القسم القديم حسب مهنتهم فى أحياء المتاجرة ، وحسب مذاهبهم فى أحياء السكنى ، فهناك مثلاً أسواق خاصة بتجار الحرير أو الصوف أو القطن أو الغلال ، وأخرى خاصة بالنجارة والحداة والصياغة والصباغة الخ . وتدعى أحياء السكنى باسم الطوائف والآلهة لها كحى النصارى وحى اليهود ، أو الأقليات العنصرية كحى الأكراد أو حى الأرمن . أما فى الأقسام الجديدة فليس هناك اختصاص مهنى أو افتراق طائفى أو عنصرى .

وإليك بعض الأمثلة على تكاثر سكان المدن فى العالم العربى :

القاهرة — عام ١٨٤٨ : ٢٥٤,٠٠٠ ، عام ١٨٩٧ : ٥٧٠,٠٠٠ ،
عام ١٩٢٧ : ١,٠٦٥,٠٠٠ ، عام ١٩٣٧ : ١,٣١٢,٠٠٠ ،
عام ١٩٤٧ : ٢,٠٩١,٠٠٠ .

أهم أسباب ذلك تمليك السلطات الفرنسية للبتونيين الفرنسيين الأراضي الأميرية والموقوفة (الجبوس) وأراضي المراعى وإخراج السكان الأصليين منها ؛ بل كثيراً ما حكمت السلطات القضائية والإدارية بتجريد الأراضي المملوكة من أصحابها الشرعيين وتسجيلها باسم المستعمرين الأوروبيين . وقد استخدم المزارعون الأوروبيون في الأراضي التي سيطروا عليها قسراً أحدث الآلات الزراعية واستعاضوا بها عن اليد العاملة من الأهليين ، وبذلك كثر المتعطلون من القرويين فنزحوا من بيوتهم والتجأوا إلى المدن^(١) .

ولا مندوحة عن الاعتراف بأن من أسباب المهاجرة عن القرى تفاوت الشرائط المعاشية والحضارية بينها وبين المدن ؛ ففي المدن شوارع مرصوفة وأبنية جميلة وأنوار كهربائية ومياه نقية ومدارس ومشافي وأطباء الخ . . ؛ والقرى ينقصها كل شيء ، حتى قيل بحق أن من أعظم أدواء العالم العربي اشتاله على مدن عامرة تعيش عالة على قرى غامرة ؛ فسكان المدن — على أنهم أقلية — يتمتعون بالهيمنة السياسية والنفوذ المالى والرفه المادى ، ومنهم على الغالب كبار ملاكى الأرض التي يكدها الفلاح ، ومنهم المرابون الذين يرهقون صغار المزارعين ويبتزون أكثر كسبهم . ومن الطبيعى أن يميل أبناء القرويين إلى سكنى المدن بعد أن يتلقوا مبادئ العلم ويشعروا بغضاضة وضعهم بالقياس إلى أهل الحواضر . هذا وأن لاتساع المدن من ناحية الامتداد أسباب عدة ، بالإضافة إلى تزايد السكان ، أهمها :

(أ) استتباب الأمن ؛ وكان السكان حتى زمن قريب مرغمين على الاعتصام فى أحياء ضيقة ذات أبواب تعلق ليلاً ؛ فلما زالت أسباب الخوف امتد العمران باتجاه الأطراف .

(ب) رقى طرق المواصلات ؛ وكان الأهليون مضطرين إلى السكنى بجوار أماكن عملهم ، فلما ذاع استخدام السيارات ومدّت خطوط الترام

(١) انظر : Paul Sebag : La Tunisie, Paris 1951 p. 33-44

وكذلك : Algeria 54, p. 79 - 82

مراكش : عام ١٩٣٧ : ١٥٧٧/٠

١٩٤٦ : ٢٠٩١/٠

١٩٥٣ : ٢٣٥٥/٠

تونس : عام ١٩٢١ : ٢٣/٠

١٩٤٧ : ٣٧/٠

ولم يكن في بلاد الجزائر عام ١٨٩٨ سوى عشر مدن يزيد سكانها على عشرة آلاف ، فأصبحت ١٥ مدينة عام ١٩١١ و ٢١ مدينة عام ١٩٢١ و ٢٣ مدينة عام ١٩٣٦ .

وأسباب ازدهام المدن بالسكان ترجع إلى الهجرات الخارجية والداخلية ، فالأجانب المتوطنون على الأرض العربية حلّ أكثرهم بالمدن ، كالآرمن في سورية ولبنان ، واليونانيين والإيطاليين في مصر ، والأسبانيين في مراكش الشمالية (سبتة ، مليلية) والفرنسيين في سائر المغرب ، ويقدر أن ٨٥/٠ من أوربيّي تونس يعيشون في المدن ، وأن ٥٢/٠ من أوربيّي الجزائر يسكنون المدن الأربعة : الجزائر ، وهران ، قسنطينة ، عنابة .

ولكن السكان الأصليين يهجرون أريافهم ويتخذون المدن مقراً لهم أيضاً ، لأنهم يجدون فيها عملاً دائماً يدر عليهم مورداً ثابتاً ، وخاصة بعد نمو حركة التصنيع ، وارتفاع أجر العامل في المصانع .

يضاف إلى ذلك كله تعاقب سنوات الجفاف في الأرياف المعتمدة على غيث السماء واضطرار المزارعين إلى ترك قرأهم الظمأى والتماس العيش في المراكز الحضرية .

ويلاحظ الفرنسيون أنفسهم بأن حركة النزوح من القرى نحو المدن قد اشتدت في عهد احتلالهم لبلاد المغرب ، ويعترفون بصراحة أن من

الفصل السابع

الزواج والطلاق

١ - معدل الزواج ومعدل الطلاق :

يعتبر الزواج عاملاً من عوامل « حركة السكان » أو « تغيرات السكان » لأنه سبب التكاثر الطبيعي .

ويحسب معدل الزواج (Taux de nuptialité) بنسبة عقود الزواج إلى كل ألف من السكان ؛ وبديهي أن هذه النسبة تتضاعف إذا قصد منها عدد المتزوجين الجدد رجالاً ونساءً . فإذا قلنا أنه سجل في سورية ٢٥٤٨٣ عقد زواج عام ١٩٥٣ فعني ذلك بالطبع أن الذين تزوجوا خلال السنة المذكورة هم ٥٠,٩٦٦ ؛ أما معدل الزواج فهو :
$$V = \frac{1000 \times 25483}{3650904} = 7$$
 والرقم ٣,٦٥٥,٩٠٤ يدل على سكان سورية المسجلين في دوائر النفوس عام ١٩٥٣ .

وليس بمستغرب أن يكون معدل الزواج ضئيلاً في البلاد الفتية لكثرة من هم دون سن الزواج فيها ؛ وهو ضئيل أيضاً في البلاد التي يهاجر منها الشبان إلى البلاد الأخرى ، على العكس من البلاد التي تتلقى هؤلاء المهاجرين (فلسطين المحتلة مثلاً) . والتدين سبب في ارتفاع نسبة الزواج ، وكذلك تشريع الحكومات وتشجيعها المتزوجين مادياً كما فعلت ألمانيا أثناء الحكم الهتلري .

ولحركة الزواج في بعض البلاد صلة محسوسة بسعر الحاصلات الزراعية وكميتها ولا سيما في الأرياف .

انتشرت أحياء السكنى على مسافات بعيدة . وكان لوسائل المواصلات السريعة أثر آخر أيضاً ، فحينما كانت طرق النقل بطيئة كان سكان المدن يتركون حولها مساحات واسعة لزراعة الخضروات والبقول وأشجار الفاكهة اللازمة لتأمينهم ؛ فلما ارتقت سبل النقل عمرت هذه المساحات بالمساكن ، وأصبحت مواد التموين تحمل من بعيد بالوسائل السريعة .

(ح) القيام بمشروعات إسالة الماء إلى المنازل ؛ وكان الحرص على القرب من مراكز المياه يعوق انتشار العمران .

(و) توفر مواد البناء وسهولة العمران بعد تشييد معامل الأسمنت .
(هـ) تطور الأذواق والعادات بتأثير الحضارة الأوربية ؛ الأمر الذى جعل المواطنين يثرثرون الحياة الانفرادية ، وأصبح الأبناء يعزفون عن السكنى مع أهلهم وأقاربهم ، فتعددت المنازل بتعدد الأسر الصغيرة .

ولا مجال هنا لوصف أشكال السكن فى العالم العربى ؛ وحسبنا الإشارة إلى ان منازل الأحياء القديمة من مدن العراق والشام والمغرب تتألف من عرصة مكشوفة تتوسطها بركة ماء ، وتحيط بها غرف السكنى على طابقين ؛ أما فى الأحياء الحديثة فطراز البناء فى جميع بلاد العالم العربى هو البيت المغلق المؤلف من طوابق مستقلة ذات نوافذ وشرفات على الطرقات . على أن البيت الثابت أو « البيت الصلب » لا يسود إلا فى المدن ؛ أما فى البوادي والأرياف فالبداءة يسكنون الخيام من الشعر والصوف ، ونصف المتحضرين يسكنون الأكواخ المضلعة أو الاسطوانية المخروطية المتألفة من أغصان أو أقصاب وحشائش وبعض الطين ، وهى منتشرة فى جنوب السودان وفى العراق (الصرايف) وفى المغرب (النسالة والجورنى أو المشقى والزربية والقب) ؛ ودور الفلاحين المستقرين ندر ما تحتوى أكثر من غرفة واحدة مبنية من اللبن أو الحجر المقطوع ؛ وقد تفصل بحاجز إلى قسمين يخصص أحدهما بالحيوانات ؛ والسقوف مستوية فى الغالب ومشيدة من جذوع الشجر والتراب ؛ وفى سورية الشمالية تسود الدور المخروطية المبنية من اللبن والمتوائمة مع كثرة المطر وندرة الخشب .

وأحسن مقياس لحركة الزواج هو نسبة عدد الزيجات إلى من هم في سن الزواج حسب القوانين المرعية في البلاد . وقد حسب أن العمر المتوسط للزواج في أوروبا الغربية هو ٢٨ سنة للذكور و ٢٥ سنة للإناث .

وسن الزواج مبكرة بصورة عامة في البلاد الشرقية وهي متأخرة في أوروبا الغربية . والجدول التالي يدل على نسبة المتزوجات والمتزوجين في سن ١٥ إلى ٢٠ سنة من كل ألف بهذه السن .

رجال	نساء	رجال	نساء
٦٩٦ (١٩٥١)	٤١	١٥٩٥٥	٩٥٤ (١٩٤٧)
٧٥٨ (١٩٤٧)	٣٦٥٧	٥٢٥٣	٤٥٤ (١٩٥٠)
٢٥٣ (١٩٥٠)	٢١٥٥	٤١٥٤	٤٥٥ (١٩٤٦)
١٥٢ (١٩٥٠)	١٣٥٤		

والعازبات في سني الشيخوخة أعلى نسبة من العزاب :

العزاب والعازبات منذ سن السبعين من كل ١٠٠٠ مواطن بلغوا سن

الزواج :

ذكور	إناث	
٦٩	٩٩	فرنسا
٧٨	٧٩	الولايات المتحدة
٧٨	١٥١	انكلترا

ويشاهد أيضا أن نسبة العزاب تقل مع السن بينما نسبة الأراامل والمطلقين تزداد .

ويتراوح معدل الزواج في العالم بين ٥ و ١٦ لكل ألف ساكن سنوياً ؛ ويمكن اعتبار معدل ٩ بالآلاف كتوسط عالمي . ووصل معدل الزواج إلى ١٤ لكل ألف في فلسطين المحتلة عام ١٩٥٠ لكثرة المهاجرين إليها من الشبان .

وقد لوحظ لدى كثير من الشعوب الغربية إقبال شديد على الزواج إثر الحرب العالمية الثانية ؛ ولكن هذه الحركة لم تستمر طويلا . وفي الجدول الثاني نماذج عالمية لمعدل الزواج في السنوات الأخيرة :

الدولة : عدد الزيجات بالنسبة إلى ١٠٠٠ ساكن (١)

عام ١٩٤٨	عام ١٩٤٩	عام ١٩٥٠	عام ١٩٥١	عام ١٩٥٢
يوغوسلافيا	١٢٠٩	١١٠٤	١١٠٥	١٠٠٥
الولايات المتحدة	١٢٠٤	١٠٠٤	١١	١٠
ألمانيا الغربية	١٠٠٦	١٠٠١	١٠٠٦	١٠٠٣
كندا	٩٠٦	٩٠٣	٩٠١	٩٠٢
هولندا	٩	٨٠٣	٨٠٢	٨٠٨
الأرجنتين	٨٠٦	٨٠٣	٨٠٤	٨
فنلندا	١٠	٨٠٨	٨٠٥	٨
انجلترا	٩	٨٠٥	٨٠١	٨٠٢
سويسرا	٨٠٦	٨	٧٠٩	٧٠٨
بلجيكا	٩٠٣	٨٠٥	٨٠٣	٨٠١
السويد	٨٠٤	٧٠٩	٧٠٧	٧٠٦
فرنسا	٩	٨٠٢	٧٠٩	٧٠٦
إيطاليا	٨٠٤	٧٠٨	٧٠٧	٧
المكسيك	٥٠٩	٥٠٧	٥٠٧	٦٠١
فنزويلا	٤٠٧	٥	٥٠١	٤٠٩

(١) عن الحولية الديموغرافية للأمم المتحدة عام ١٩٥٣ .

نسبة حالات الطلاق إلى كل ١٠٠٠ ساكن

١٩٥٢	١٩٥١	١٩٥٠	
—	٢٥٤٨	٢٥٥٥	الولايات المتحدة الأمريكية
١٥٥٥	١٥٥٥	١٥٦١	الدانمارك
١٥١٤	١٥١٥	١٥١٥	السويد
٥٧٦	٥٨٠	٥٨٤	فرنسا

وترتفع النسبة في بعض البلاد المتخلفة إلى ٧ طلاقات لكل ١٠٠٠ مواطن ؛ ففي زنجبار بلغ معدل الطلاق ١٧ و ٧ عام ١٩٥٠ و ٣٠ و ٧ عام ١٩٥١ و ١٤ و ٧ عام ١٩٥٢ . على أن أعلى نسبة مسجلة في العالم هي في الجزر العذراء التابعة للولايات المتحدة حيث وصلت قرينة الطلاق إلى ١١ و ١٠ عام ١٩٥٠ و ٤٨ و ١٢ عام ١٩٥١ .

وللظروف الطارئة أثرها أيضاً في الاكثار من الطلاق أو الإقلال منه ؛ وقد لوحظ أن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية الناجمة عن الحرب العالمية الأخيرة قد رفعت من نسب الطلاق في النمسا وألمانيا ؛ فلم يكن معدل الطلاق في النمسا يزيد عن ١٠.١ لكل ألف ساكن عام ١٩٣٧ فارتفع إلى ٢٠.٤ عام ١٩٤٨ ؛ ثم أخذ بالتدنى في السنوات التالية ، فكان : ١٨.٤ عام ١٩٤٩ و ١٥.٢ عام ١٩٥٠ و ١٤.٨ عام ١٩٥١ و ١٤.٢ عام ١٩٥٢ . وبلغ في برلين الغربية ٦.٨ عام ١٩٤٨ و ٣.٥٧ عام ١٩٥١ .

ولكن خير مقياس للطلاق هو النسبة بين عدد حالات الطلاق في السنة إلى عدد عقود الزواج ؛ وتأتي الولايات المتحدة الأمريكية في طليعة الدول الغربية الكثيرة الطلاق ، كما تدل الأرقام التالية :

والأزامل والمطلقون أكثر عددا لدى الإناث منهم عند الذكور ، لأن
عمر الرجال أقصر ولأن المرأة المطلقة ندر ما تتزوج مرة ثانية .

والجدول التالى يوضح هذه الملاحظات فى فرنسا عام ١٩٣٦ (١) :

من كل ١٠٠٠ فى كل سن

السن				ذكور				ناث			
				عازب	متزوج	متزمل	مطلق	عازبة	متزوجة	متزملة	مطلقة
من ١٥ إلى ١٩ سنة				٩٩٥	٥	—	—	٩٣٨	٦٢	—	—
» ٢٠ » ٢٩				٥٦١	٤٣٢	٤	٣	٣٥٤	٦٣١	٨	٧
» ٣٠ » ٣٩				١٦٩	٨٠٦	١٤	١١	١٥٢	٧٩٦	٣٦	١٦
» ٤٠ » ٤٩				٩٥	٨٦٢	٢٩	١٤	١٢٦	٧٣٦	١٢٠	١٨
» ٥٠ » ٥٩				٨٤	٨٣٦	٦٧	١٣	١٠٧	٦٤٠	٢٣٧	١٦
» ٦٠ » ٦٩				٨١	٧٥٩	١٥٠	١٠	١٠٦	٤٧٥	٤٠٨	١١
» ٧٠ فما فوق				٧٢	٥٧٤	٣٤٩	٥	١٠١	٢١٥	٦٧٧	٧

ويحسب معدل الطلاق كما يحسب معدل الزواج بالنسبة إلى كل ١٠٠٠
ساكن ؛ وهو يختلف من بلد لآخر تبعاً للقوانين المرعية والديانة المتبعة .
وبصورة عامة ينتشر الطلاق فى البلاد البروتستانتية أكثر من البلاد
الكاثوليكية ، كما هو واضح من المقارنات التالية :

عقود الزواج لدى المحاكم الشرعية فلا يزال الفلاحون في الريف السوري يعتبرون الزواج أمراً شخصياً محضاً ولا يجدون ضرورة لإشراك الحكومة فيه ؛ ولذلك تبدو نسب الزواج في الأرياف أقلّ منها في المدن ، مع أن الزواج يكاد يكون عاماً لدى القرويين ، ومن يتجاوز سن العشرين دون أن يتزوج يكون عاراً على نفسه وعلى ذويه ، ولذلك فإن هذه الحالة ندر ما تصادف (١) .

ولنقارن الآن الحالة الزوجية في بلد عربي وآخر أجنبي لنتبين مدى الفروق بينهما ؛ ولنختار مصر بين البلدان العربية لأنها أوثقها بالمعطيات الإحصائية :

مصر (عام ١٩٣٧) فرنسا (عام ١٩٣٦)

النسبة المئوية إلى مجموع السكان	النسبة المئوية إلى من هم في سن الزواج (٢)	النسبة المئوية إلى مجموع السكان	النسبة المئوية إلى من هم في سن الزواج
متزوجون ٣٩٥٤	٦٩٥٤	٤٦٥٧	٦٣٥٦
عازبون ٩٥٦	١٦٥٩	١٦٥٨	٢٢٥٩
متراولون ٦٥٧	١١٥٧	٩	١٢٥٤
مطلقون ١	١٥٨	٥٨	١٥١

وواضح أن وجود عدد ضخم من الأحداث والمراهقين في مصر يجعل عدد من هم دون سن الزواج ٤٣٥٢٪ من مجموع السكان ، بينما هم في فرنسا ٢٦٥٧٪ فقط ؛ فإذا نسبنا المتزوجين رجالاً ونساء إلى مجموع السكان كانت النسبة بالطبع أضعف في مصر منها في فرنسا : ٣٩٥٤٪ مقابل ٤٦٥٧٪ ؛ ولكننا عندما نقيس عدد المتزوجين بالنسبة إلى من هم في سن الزواج ترتفع النسبة في مصر إلى ٦٩٥٤٪ وتصل في فرنسا إلى ٦٣٥٦٪ فقط ؛

(١) Jacques Weulersse : Paysans de Syrie et du Proche-Orient

Paris, 1946, pp. 221 — 222, 247

(٢) الذكور من الثامنة عشرة والأنات من السادسة عشرة .

نسبة حالات الطلاق إلى ١٠٠ عقد زواج

سنة ١٩٥٢	سنة ١٩٥١	سنة ١٩٥٠	
—	٢٣٥	٢٣١	الولايات المتحدة
١٨٦٧	١٨٢	١٧٦	الدانمارك
١٥٣٣	١٥	١٤٧	السويد
١٠٩٤	١٠٥	١٠٦	فرنسا
٤٥٤	٤١	٤٣	كندا

٢ — حالات الزواج والطلاق لدى الشعوب العربية

أسئلة عديدة ترد على خاطر حين يعرض الباحث إلى حالات الزواج والطلاق في العالم العربي ؛ فهل العرب مثلاً أكثر زواجاً وطلاقاً من الغربيين ؟ وهل تتفاوت نسب الزواج والطلاق بين الريفين وسكان المدن وبين المتعلمين وغير المتعلمين ؟ وهل هناك انخفاض ملحوظ ومستمر في معدلات الزواج والطلاق ؟ وإلى أي حد ينتشر تعدد الزوجات في العالم العربي ؟ وهل للزواج مواسم سنوية تحددها الشرائط الاقتصادية أو العادات الاجتماعية أو المعتقدات الدينية ؟ وأخيراً ما هي عناصر المشكلة الزوجية في البلاد العربية وما هي سبل علاجها ؟ .

ولا بد من معاودة القول بأن الإحصاءات العربية المتصلة بحالات الزواج والطلاق ليست صحيحة كل الصحة ؛ ولا تزال عقود الزواج والطلاق في كثير من البلاد العربية غير خاضعة فعلاً للتسجيل الرسمي ؛ وقد يتمّ القران بواسطة شيخ لا صفة له سوى معرفته بالشرع ، وهذا ما يدعى في المغرب : « الزواج بالفاطحة » ، تفريقاً له عن الزواج بالمحكمة أو « الزواج بالقاضي »^(١) ويقول ويلرس : أنه بالرغم من وجود قوانين توجب تسجيل

(١) Chevalier : Le problème démographique nord-africain, p. 35

الحالة الزوجية		الذكور		الاناث		المجموع	
العدد بالالوف	النسبة %	العدد بالالوف	النسبة %	العدد بالالوف	النسبة %	العدد بالالوف	النسبة %
١٥٢٠٢	٢٣	٦٦٢	١١	١٥٨٦٤	١٧	١٧	١٥٨٦٤
٣٥٦٢٨	٧١	٣٥٧٦٦	٦٥	٧٥٣٩٤	٦٥	٦٧	٧٥٣٩٤
٦٩	١	١٢٧	٢	١٩٦	٢	١٥٧	١٩٦
١٣٨	٣	١٥١٣١	٢٠	١٥٢٦٩	٢٠	١١٥٦	١٥٢٦٩
٨٨	٢	٩٧	٢	١٨٥	٢	٢	١٨٥
٥١٢١	١٠٠	٥٧٨٣	١٠٠	١٥٠٩٠٨	١٠٠	١٠٠	١٥٠٩٠٨
الجملة							
غير مبين							
أرمل							
مطلق							
متزوج							
لم يتزوج أبداً							

تصنيف السكان حسب الحالة الزوجية في مصر عام ١٩٤٧؛ المصدر: الإحصاء السنوي للجيب ١٩٥٣ و ص ١١ .

ويدل التعداد ذاته أن نسبة المتزوجين في القاهرة والاسكندرية هي أقل من النسبة العامة للقطر المصري: ٣٨ و ٥ % من مجموع السكان في القاهرة و ٣٨ % في الاسكندرية؛ ويعني ذلك أن الأرياف أحفل بالمتزوجين من المدن؛ ولكن نسبة المطايعين والمطلقات ترتفع إلى ٣٦ و ٥ لكل ١٠٠٠ متزوج ومتزوجة في القاهرة و ٢٧ في الاسكندرية، بينما المعدل للقطر المصري كله هو ٢٦ و ٥ لكل ألف متزوج ومتزوجة؛ وإذا صحت هذه الأرقام كانت دليلاً على أن سكان الأرياف هم بالإجمال أقل جنوحاً إلى الطلاق من سكان المدن؛ وسنؤكد من ذلك بعد قليل، عند استعراض المعدلات السنوية للزواج والطلاق.

ويستنتج من تعداد عام ١٩٤٧ في العراق أن نسب الزواج والطلاق والتمثل تقل عما هي عليه في مصر، كما تدل الأرقام التالية^(١)، والتي هي كالتالي:

(١) لا يشمل هذا الإحصاء العشرات الرحالة (المجموعة الإحصائية السنوية العامة لسنة ١٩٥٣ ص: ٤٨)؛ وقد أغفلنا ذكر غير المتزوجين لأن دائرة الإحصاء شملت فيهم جميع من بلغوا سن العاشرة أو تجاوزوها وولدت في العراق أو ولدوا في العراق ثم انتقلوا إلى العراق (٢) (م - ١١ أحوال السكان في العالم العربي)

والعازبون في سن الزواج كانوا في مصر ١٧ من كل ١٠٠ في تلك السن بينما كانوا ٢٣ كل مائة في فرنسا.

وهكذا نلّس أن الزواج أكثر انتشاراً في مصر ؛ وكذلك الطلاق ، فلقد كان في مصر عام ١٩٣٧ : ٢٥ مطلق ومطلقة مقابل ١٠٠٠ متزوج ومتزوجة ، بينما كانت النسبة في فرنسا ١٧ مطلق ومطلقة لكل ١٠٠٠ متزوج ومتزوجة . ويتشابه البلدان في وفرة عدد المترملات بالنسبة للمترملين : ٨٧٦,٠٠٠ مترمل و ٢,٨٧٥,٠٠٠ مترملة في فرنسا ، و ١٢٩,٠٠٠ مترمل و ٩٣٢,٠٠٠ مترملة في مصر . والنسبة العامة للترمل أعلى في فرنسا لأنها فقدت عدداً كبيراً من رجالها المتزوجين خلال الحرب العالمية الأولى .

ويجب أن نشير بشكل خاص إلى أن الزواج المشروع هو أكثر انتشاراً في البلدان العربية منه في البلدان الغربية ؛ ولكن الزواج غير المشروع أو « الاقتران الحر » يرجح في النتيجة كفة البلاد الغربية .

وقد ظهر من تعداد ١٩٤٧ في مصر أن نسبة المتزوجين والمتزوجات إلى مجموع السكان قد تدّنت إلى ٣٨ و ٨٠٪ أي ٦٧ و ٦٪ من مجموع الذين بلغوا سن الزواج ؛ ولكن نسبة المطلقين والمطلقات بلغت ٢٦ و ٥ لكل ألف متزوج ومتزوجة .

وفي الجدول التالي تفصيل للحالة الزوجية في مصر حسب التعداد المذكور :

Tableau 10 : État matrimonial de la population égyptienne en 1947 (en milliers d'habitants)

État matrimonial	Population (milliers d'habitants)
Marier	12 900
Marier	2 875
Divorcier	25
Marier	17
Marier	129
Marier	932

Source : Institut National de la Statistique, Recensement de la Population, 1947, tome I, page 1048.

البيانات مأخوذة من : المعهد القومي للإحصاء ، التعداد السكاني ، ١٩٤٧ ، المجلد الأول ، الصفحة ١٠٤٨ .

نسبة عقود الزواج إلى ١٠٠٠ من السكان

السنة	مصر	مسلمو الجزائر	لبنان	سورية	الأردن	الولايات المتحدة
١٩٤٠	١١٩٨					١٢٩١
١٩٤١	١٣٩٧			٤٩٢		١٢٩٧
١٩٤٢	١٥٩١					١٣٩٢
١٩٤٣	١٥٩٦					١١٩٧
١٩٤٤	١٥٩٤		٦٩٥	٦٩٥		١٠٩٩
١٩٤٥	١٤٩٩		٥٩٩			١٢٩٢
١٩٤٦	١٥٩٣	٣٩٨	٥٩٨			١٦٩٤
١٩٤٧	١٣٩٧	٤٩٢	٤٩٨	٤٩٣		١٣٩٩
١٩٤٨	١٤	٤٩٨	٥٩٥	٤٩٤		١٢٩٤
١٩٤٩	١٤٩١	٧٩٦	٥٩٢	٥٩٦		١٠٩٦
١٩٥٠	١٣٩٤	٤١٩٢ ^(١)	٦٩٣	٧٩٧		١١
١٩٥١	١٢٩١	٢٠٩٤	٥٩٥	٦٩٤		١٠٩٦
١٩٥٢			٦	٦٩٧	١٠٩١	١٠٩١

(١) حالات لم تكن مسجلة سابقاً (الحولية الديموغرافية للأمم المتحدة عام ١٩٥٣ ،
ص: ٢٦١) .

ذكور أناث المجموع النسبة المئوية إلى

بمجموع السكان

متزوجون	٨٠١,٢٣٣	٨٦٠,٨٤٦	١,٦٦٢,٠٧٩	٣٦,٠٤
مطلقون	٢,٨٦٠	٩,٩٣٣	١٢,٧٩٣	٠,٣
مترملون	٣٤,٢٧١	٢٤٣,١٩٧	٢٧٧,٤٦٨	٦

ولا تزيد نسبة المطلقين والمطلقات في العراق عن ٧,٧ لكل ١٠٠٠ متزوج ومتزوجة ؛ ومن المعروف أن نصف مسلمي العراق تقريباً ينتمون إلى المذهب الشيعي الجعفري ؛ والشيعه هم على الإجمال أكثر تشدداً في أمور الطلاق من المسلمين السنيين .

ويبدو في العراق أيضاً أن المتزوجين هم أقل نسبة في المدن منهم في الأرياف بعكس المطلقين ، فقد بلغت نسبة المتزوجين في مدينة بغداد ٣٤,٣٪ فقط من جملة سكان المدينة ، وارتفعت فيها نسبة المطلقين والمطلقات إلى ١٢,٣ لكل ١٠٠٠ متزوج ومتزوجة أي قرابة ضعف المعدل العام للقطر العراقي (١) .

وتهبط نسبة المتزوجين في لبنان إلى ٣١,٦٪ من مجموع السكان (عام ١٩٤٤) ؛ وهي ترتفع عن ذلك في المحافظات ذات الأثرية الإسلامية : لبنان الجنوبي : ٣١,٩٪ ، البقاع : ٣٣,٣٪ ؛ وتبلغ ٣١٪ في محافظة جبل لبنان و ٣١,١٪ في بيروت و ٣١,٢٪ في محافظة لبنان الشمالي (٢) .

وتكشف معدلات الزواج والطلاق السنوية إن إحصاءات مصر وحدها يمكن أن تتخذ مقياساً صحيحاً للعالم العربي ؛ وإحصاءات سائر البلاد العربية هي دون شك أقل من الواقع ، كما تدل المقارنات التالية :

(١) :

(١) إحصاء السكان لسنة ١٩٤٧ ، الجزء الأول ، ص : ٧

(٢) مجموعة إحصاءات عن سورية ولبنان ١٩٤٤ ، ص : ٣١

ولا أدل على نقص أكثر الإحصاءات العربية المتعلقة بالطلاق والزيجات من أن معدل الزواج بلغ في سورية عام ١٩٥٢ : ٦٧٧ بالآلاف ، مع أن هذا المعدل كان ذلك العام ١١٣ بالآلاف في مدينة دمشق ، وكان معدل الطلاق فيها ٢٤ بالآلاف بينما المعدل العام لسورية لم يزد عن ٧٠ بالآلاف ، وسجلت المدينة المذكورة في السنة ذاتها ٢١٥ من الطلاقات لكل ١٠٠ زيجة في حين أن الوسطى لجميع سورية لم يتجاوز ١٠٩ من الطلاقات لكل ١٠٠ زيجة ، ولا يعقل هذا التفاوت الكبير إلا باختلاف صحة الإحصاء بين المدينة والأرياف .

ومهما يكن الأمر فإن الإحصاءات المدرجة تثبت أن الطلاق واسع الانتشار في مصر ، حتى ليلغ معدله فيها بعض السنين أربعة أضعاف معدله في فرنسا ، في حين أن معدلات الزواج لا تدل على مثل هذا البون . هذا إذ لم تعتبر حالات الافتراق المنتشرة في فرنسا والتي لا تقع تحت حصر . والنسبة بين الطلاقات والزيجات تعطينا صورة أجلى عن ذلك ؛ ففي عام ١٩٥١ سجلت الولايات المتحدة الأمريكية ٣٨١٠٠٠ شهادة طلاق مقابل ١٥٩١٠٦٢١ عقد زواج ، فتكون النسبة فيها : ٢٣٥ طلاق لكل ١٠٠ زواج ؛ وسجلت مصر في العام نفسه ٢٥٢٥٢٦ عقد زواج و ٧٥٥٢٧٧ شهادة طلاق أي ما يقرب من ثلاث طلاقات لكل عشر زيجات ؛ وكانت النسبة في العالم العربي كما يلي :

مصر	٢٥٢٥٢٦	٧٥٥٢٧٧	٢٣٥
البحرين	١٠٠	١٠٠	١٠٠
الكويت	١٠٠	١٠٠	١٠٠
السعودية	١٠٠	١٠٠	١٠٠
البحرين	١٠٠	١٠٠	١٠٠
الكويت	١٠٠	١٠٠	١٠٠
السعودية	١٠٠	١٠٠	١٠٠
البحرين	١٠٠	١٠٠	١٠٠
الكويت	١٠٠	١٠٠	١٠٠
السعودية	١٠٠	١٠٠	١٠٠

(١) نسبة الطلاق في مصر ١٩٥٢ : ٢٣٥ لكل ١٠٠ زواج .
(٢) النسبة في الكويت ١٩٥٢ : ١٠٠ لكل ١٠٠ زواج .

نسبة حالات الطلاق إلى ١٠٠٠ من السكان

السنة	مصر	مسلمو الجزائر	لبنان	سورية	الأردن	فرانسا
١٩٣٦	٣٥٤٢					٠٥٤
١٩٣٧	٣٥١					٠٥٨
١٩٣٨	٣٣٩					٠٥٩
١٩٣٩	٣٢٢					٠٥٣
١٩٤٠	٣٢١					٠٢٨
١٩٤١	٣٥٢					٠٣٨
١٩٤٢	٤٠٦					٠٣٨
١٩٤٣	٤٥٠					٠٤٧
١٩٤٤	٤٦٧		٠٤٩			٠٤٤
١٩٤٥	٤٣٣		٠٤٩			٠٦٢
١٩٤٦	٤٢٨	١٠١١	٠٥٠			١٠٢٩
١٩٤٧	٣٩٥	٠٩١	٠٤٠	٠٧٥		١٠٤١
١٩٤٨	٣٩١	٠٨٦	٠٣٧	٠٧٠		١٠١٤
١٩٤٩	٣٧١	١٠٢	٠٣٦	٠٧١		٠٩٥
١٩٥٠	٣٦٧	١٠٤٥	٠٤١	٠٧٥		٠٨٤
١٩٥١	٣٦٠	١٠٧١	٠٣٨	٠٧١	١٠١٧	٠٨٠
١٩٥٢			٠٤٢	٠٧٢	١٠٢٣	٠٧٦

٢٥٢١ : ملحق مع المجلد ١٠ (١) : نسبة حالات الطلاق إلى ١٠٠٠ من السكان (١)
 (١٢٢) : سنة

متزوجون من ثلاث و ١١٣١ متزوجون من أربع^(١). وبين ١٠٣١٠ رجال تزوجوا في المملكة الأردنية عام ١٩٥٣ لم يكن سوى ٦٥٧ لهم زوجة أخرى على عصمتهم^(٢).

وبعض الدوائر الإحصائية العربية تعنى بتصنيف المتزوجين حسب حالتهم العلية ؛ ومن المعروف أن الثقافة تنمى الشعور بالمسؤولية وتردع عن الاقدام على الزواج في سن مبكرة ؛ إلا أن الإلمام بالقراءة والكتابة ليس هو الثقافة ، وليس يفيدنا شيئاً أن نعرف عدد الأزواج الملمين بهما بالنسبة إلى الأميين . ففي مدينة القاهرة مثلاً كانت نسبة الأزواج القادرين على القراءة والكتابة ٧٥ ٪ من مجموع الذين تزوجوا عام ١٩٤٩ ، وكان معدل الزواج ذلك العام ١٥٥٥ ٪ من جملة السكان ؛ فإذا كانت المعرفة بالقراءة والكتابة كافية لخفض نسبة المتزوجين لوجب أن تكون هذه النسبة أعلى في مديرية قنا مثلاً منها في مدينة القاهرة ؛ وقد كان معدل الزواج في هذه المديرية عام ١٩٤٩ : ١٢٥٧ ٪ من مجموع السكان ، مع أن الملمين بالقراءة والكتابة كانوا ٢٣ ٪ فقط من جميع الذين تزوجوا تلك السنة ! وتفيدنا إحصاءات المملكة الأردنية أن المتزوجين المتعلمين هم أكثر من المتزوجات المتعلبات ، وهذا برهان على انتشار الأمية بين النساء خاصة :

السنة	عدد الذين تزوجوا	متعلم	أُمى
١٩٥٢ : ذكور	٦١٢٣	٣٣٤٣	
إناث	١٠٩٦	٨٣٧٠	
١٩٥٣ : ذكور	٧٠٧٣	٣٢٣٧	
إناث	١٢٣٤	٩٠٧٦	

(١) المجموعة الإحصائية السنوية العامة لسنة ١٩٥٣ ، ص : ٤٨ .

(٢) النشرة الإحصائية لعام ١٩٥٣ : القسم الاجتماعي ، ص : ٣٠ .

نسبة الطلاق إلى ١٠٠ عقد زواج

السنة	مصر	الأردن	سورية	لبنان
١٩٤٢	٢٦٠٨			
١٩٤٣	٢٨٠٨			
١٩٤٤	٣٠٠٣			٧٥٥
١٩٤٥	٢٩			٨٩٣
١٩٤٦	٢٧٥٩			٨٩٦
١٩٤٧	٢٨٥٩		١٨	٨٩٢
١٩٤٨	٢٨		١٦	٦٩٦
١٩٤٩	٢٦٠٣		١٢٥٧	٧
١٩٥٠	٢٧٥٤		٩٥٧	٦٥٥
١٩٥١	٢٩٥٨		١١٥١	٧
١٩٥٢		١٧٥٢	١٠٥٩	٧
١٩٥٣		١٥٥٢	١٠٥٦	٦

ومن المحقق أن تعدد الزوجات بين المسلمين في العالم العربي يقل كثيراً عن تعدد الزوجات غير الشرعيات في البلدان الغربية ؛ وقد ذكر شوفالييه أن نسبة متعددي الزوجات بين مسلمي الجزائر كانت تبلغ ٦ أو ٧٪ من مجموع المتزوجين عام ١٩١١ ؛ ولكن هذه النسبة تضاعفت بشكل محسوس بعد ذلك^(١). وكانت نسبة المتزوجين بواحدة في مصر عام ١٩٤٧ : ٩٦ و ٤٪ من مجموع المسلمين المتزوجين ونسبة المتزوجين باثنتين ٣ و ٤٪ وبثلاث ٢ و ٥٪^(٢). وفي العام ذاته كان عدد المتزوجين في العراق ٨٠١,٢٣٣ ، منهم ٧٣٨,٥١٥ متزوجون بواحدة (٩٢ و ٣٪) و ٥٦,٢٨٣ متزوجون من اثنتين (٧ و ٤٪) و ٥٣,٠٤٠

(١) Chevalier : La problème démographique nord-africain, p. 34

(٢) الاحصاء السنوي للجيب ، ص : ١٢ .

المملكة الأردنية				السن
النسبة المئوية إلى مجموع الذين تزوجوا				
رجال		نساء		
عام ١٩٥٣	عام ١٩٥٢	عام ١٩٥٣	عام ١٩٥٢	
١٠	٩	٥٧ و ٣	٥٧ و ٥	أقل من ٢٠ سنة :
٧٠ و ١	٦٩ و ٤	٣٦ و ٩	٣٥ و ٤	من ٢٠ إلى ٢٩ :
١٨ و ٦	١٩ و ١	٥ و ٦	٦ و ٥	من ٣٠ إلى ٥٠ :
١ و ٣	٢ و ٥	٠ و ٢	٠ و ٦	أكثر من ٥٠ :
١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	

وحسبنا أن نقارن أعمار المتزوجين والمتزوجات في المملكة الأردنية كافة مع ما يقابلها في محافظة عمان لتتأكد بأن الزواج في الأرياف هو مبكر عن الزواج في المدن :

النسبة المئوية الى مجموع الذين تزوجوا عام ١٩٥٣		محافظة عمان
رجال	نساء	السن
٤ و ١	٥٣ و ٣	أقل من ٢٠ سنة:
٧٤ و ٤	٤٠ و ٦	» ٢٩ — ٢٠
٢٠ و ٥	٥ و ٨	» ٥٠ — ٣٠
١	٠ و ٣	أكثر من ٥٠ »
١٠٠	١٠٠	

والملاحظ أن الزواج أعم لدى الطوائف الإسلامية من غيرها ؛ فقد كانت نسبة الذين تزوجوا في مصر خلال عامي ١٩٤٨ و ١٩٤٩ : ١٥ من

والمعدلات السنوية للزواج تؤكد أيضاً أن النساء يتزوجن في سن مبكرة عن الرجال؛ ففي المملكة الأردنية كان ٥٧ و ٣٪ من المتزوجات عام ١٩٥٣ دون سن العشرين، بينما كانت نسبة الرجال المتزوجين دون سن العشرين ١٠٪ فقط. وفي عام ١٩٤٩ كان ٤٧ و ٠٪ من المتزوجات مجدداً في مصر دون سن العشرين، وأما الرجال الذين تزوجوا دون تلك السن فلم تزد نسبتهم عن ٣ و ٠٪ من مجموع المتزوجين الجدد. وأعلى نسبة للمتزوجين في البلدين المذكورين هي بين ٢٩ و ٢٠ سنة للرجال ودون عشرين سنة للنساء، كما تدل على ذلك الاحصاءات التالية:

مصر				السن
النسبة المئوية إلى مجموع الذين تزوجوا				
رجال		نساء		
عام ١٩٤٩	عام ١٩٤٨	عام ١٩٤٩	عام ١٩٤٨	
٣٥٩	٣٥٥	٤٦	٤٤٥١	أقل من ٢٠ سنة
٢٨٥٥	٢٧٥٧	٢٧٥٢	٢٧٥٧	من ٢٠ - ٢٤ د
٣٢	٣١	١٣٥٦	١٤	من ٢٥ - ٢٩ د
١٤٥٢	١٤٥٨	٦٥٣	٦٥٧	من ٣٠ - ٣٤ د
٩٥٤	١٠	٣٥٧	٤	من ٣٥ - ٣٩ د
٤٥٧	٥٥١	١٥٧	١٥٩	من ٤٠ - ٤٤ د
٣٥٤	٣٥٧	٠٥٩	١	من ٤٥ - ٤٩ د
٣٥٩	٤٥٢	٠٥٦	٠٥٦	٥٠ سنة فما فوق
١٠٠		١٠٠	١٠٠	

المحافظة أو المديرية		نسبة الذين طلقوا نساء ورجالا		نسبة الذين تزوجوا نساء ورجالا	
		إلى ١٠٠٠ من السكان		إلى ١٠٠٠ من السكان	
		عام ١٩٤٨	عام ١٩٤٩	عام ١٩٤٨	عام ١٩٤٩
القاهرة	١٤	١٤	٣٠ و ١	٣١ و ١	
الاسكندرية	١١	١٠ و ٤	٢٦ و ١	٢٧ و ٥	
القتال	٨	٨ و ٤	٢٢ و ١	٢٤ و ٦	
دمياط	٦ و ١	٥ و ٨	٢٣ و ٨	٢٠ و ٢	
السويس	٩ و ٧	١٠ و ٣	٢٨ و ٢	٢٨ و ١	
أقسام الحدود	٦ و ٩	٥ و ٨	١٩	١٧ و ٧	
البحيرة	٤ و ٤	٤ و ٢	٢٦ و ٩	٢٦ و ٣	
الشرقية	٩ و ١	٨ و ٧	٣١ و ٢	٣١ و ٩	
الدقهلية	٦ و ٤	٥ و ٦	٢٩ و ١	٢٦ و ٥	
الغربية	٣ و ٣	٦ و ٣	٢٩ و ٦	٢٨ و ٣	
القليوبية	٩ و ١	٨ و ٥	٣٠ و ٤	٣٠ و ٨	
المنوفية	٧ و ٣	٧	٣٠ و ٣	٣١	
أسيوط	٤ و ٦	٤ و ٣	٢٤ و ٢	٣٦ و ١	
أسوان	٦	٥ و ٥	٢١ و ٩	٢٣ و ٤	
بنى سويف	٧ و ٧	٦ و ٧	٢٨ و ١	٣٠ و ١	
الفيوم	١٠	٩ و ٥	٣٢ و ٧	٣٣ و ٧	
جرجا	٤ و ٨	٤ و ٦	٢٢ و ٧	٢٢ و ٩	
الجيزة	٩	٨ و ٦	٢٨	٢٩ و ٥	
قنا	٧	٦ و ٢	٢٦ و ٣	٢٥ و ٥	
المنيا	٦ و ٤	٦	٢٧	٢٩	
جملة القطر المصرى	٧ و ٨	٧ و ٤	٢٧ و ٩	٢٨ و ٢	

المصدر : الاحصاء السنوى العام

طبع عام ١٩٥٣

كل ألف مسلم ٦٨ من كل ألف مسيحي و٨٧ من كل ألف موسى ؛ وذلك لأن المسلمين أقل تأثراً بالعادات الغربية ثم هم أكثر انتشاراً في الريف .

وكنا أشرنا فيما سبق إلى أن تعداد عام ١٩٤٧ يثبت أن المدن المصرية تشتمل على نسبة من المتزوجين والمتزوجات أقل من نسبة الأرياف ، وتضم على العكس عدداً أكبر من المطلقين والمطلقات ؛ وإحصاءات عامي ١٩٤٨ و١٩٤٩ تدل على أن معدل الذين طلقوا كان أعلى في القاهرة والاسكندرية منه في سائر الجهات ؛ أما معدل الذين تزوجوا فقد كان مرتفعاً خاصة في مديرتي الشرقية والفيوم ، ولكن معدل مدينة القاهرة يظل أعلى من معدل أكثر المديريات الريفية الباقية ؛ وقد يعلل ذلك باشتداد هجرة الشباب في سن الزواج نحو العاصمة :

الحرب العالمية الثانية ، بسبب موجة الرخاء التي عمّت البلاد^(١) .

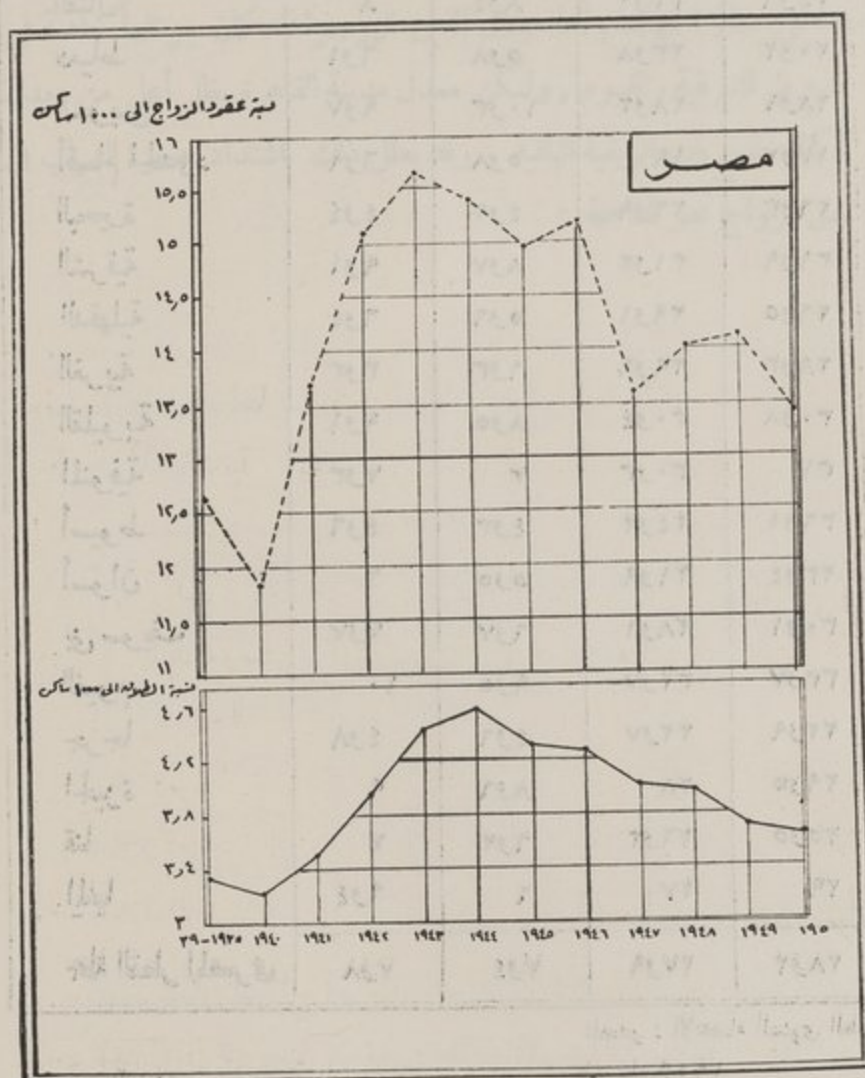
ومما لا شك فيه أيضاً أن العوامل الاقتصادية وحدها لا تستطيع أن تعلل تموج حركة الزواج صعوداً وهبوطاً ، إذ تدخل في ذلك أيضاً ظروف نفسية وتقاليدي اجتماعية وأعراف دينية ليست بمتناول الإحصاء ؛ ولذا لا يمكن أن يكون بين الحالة الزوجية وبين المنتج الزراعي أو الدخل الصناعي أو التجاري علاقة رياضية ثابتة ؛ وجل ما نستطيع قوله هو أن الحالات الزوجية تتأثر بالأحوال الاقتصادية ولكنها لا تتبعها إلى درجة التوافق التام .

واليك مثالا عن نوع الرابطة بين المؤثرات المادية والحالات الشخصية نستمد من سورية ؛ ورغم أن إحصاءات الزواج في هذا القطر بعيدة عن مطابقة الواقع فهي مع ذلك ذات دلالات هامة . وإنكم لتعرفون بأن الاقتصاد السوري يركز إلى عمد ثلاثة : أولها إنتاج القمح ، وبدرجة أقل إنتاج القطن بعد الحرب العالمية الأولى ، وثانيها صناعة النسيج ، وثالثها تصدير المواد الأولية النباتية والمصنوعات النسيجية والغذائية . وهذه الأسس الثلاثة متضامنة مترابطة ، ولكن أثر الزراعة يظل له المكان الأرحب لأنها مورد القسم الأكبر من السكان ؛ فكل ضائقة تصيب المزارع تكون لها نتائج ملبوسة في حركة الصناعة والتجارة ؛ غير أنه من الطبيعي أن يكون موسم رديء للحنطة ابلغ وقعاً في حياة الفلاح ، وأن يكون سكان المدن أعمق تحسباً بتوقف التصدير الخارجي . وتظهر آثار هذه العوامل الاقتصادية في حركة الزواج ؛ فعديل الزواج السنوي قد يرتفع أو يهبط تبعاً لكمية الغلال الزراعية ؛ وقد تراوح منتج القمح مثلاً بين ٥١٠,٠٠٠ طن و ٥٤٠,٠٠٠ طن في الأعوام ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ . وتراوح معدّل

(١) انظر إحصاءات مصر ، للدكتور جمال الدين محمد سعيد . القاهرة ١٩٥١ ، ص : ٤٤ - ٤٧ .

وبما لا شك فيه أن حركة الزواج والطلاق تعكس إلى حد ما الحالة الاقتصادية العامة والخاصة ؛ فالزواج ذو أكلاف ثقل أو تكثُر ؛ وكذلك الطلاق ، الذي يقتضى أداء الصداق المُرَّجَّل ؛ وهذه الأكلاف تخفف من إنتشار الزواج وخاصة في سنى الجذب وشح السماء أو تعرض نتاج الأرض للآفات والحشرات .

ويلاحظ في مصر أن معدل الزواج ومعدل الطلاق قد ارتفعا خلال



الزوجين ؛ ومع ذلك فقد لوحظ في جميع بلاد العالم وجود قواعد وضرورات تفرض حكمها في اختيار شهر الزوج ، وأحياناً في تحديد يوم القران . ففي فرنسا يجتنب المزارعون الزواج خلال أشهر الصيف لانهما كهم في الأعمال الزراعية ^(١) . ومن جهة ثانية تحرّم الكنيسة الكاثوليكية إجراء الزواج خلال مدة الصوم (مارس) وفي الأيام السابقة لعيد الميلاد (ديسمبر) ، فيهبط متوسط عقود الزواج في فرنسا خلال شهر مارس إلى ٢٠,٠٠٠ ، ويرتفع في شهر أبريل إلى ٤٠,٠٠٠ ثم يعود في شهر مايو إلى ٢٠,٠٠٠ ، لأن الأمثال العامة الشائعة تزعم أن الزواج لا يكون موفقاً في هذا الشهر الأخير ، شهر العذراء .

والحد الأدنى للزواج في البلاد الإسلامية له مواسم متقلبة وثابتة ؛ فالمواسم المتقلبة هي الصيام والحج ؛ ورغم أنه ليس هنالك حرج شرعي فإن طبيعة الأمور تستدعي إرجاء الزواج في هذين الموسمين إلى ما بعد عيد الفطر وعيد الأضحى . ويسجل الشهر الذي تقع فيه أكثر أيام رمضان على وجه الخصوص نقصاً كبيراً في عدد المتزوجين . أما المواسم الثابتة فهي أشهر العمل الزراعي من حرث وحصاد وتذرية ؛ وبالطبع لا يخضع أهل المدن لذلك ، ولكن كثرة المزارعين الغالبة تجعل أثرهم أظهر في منحنى الزواج السنوي . ولا يقبل القروى على الزواج إلا بعد انتهائه من عمله في الأرض وخصوصاً بعد قبضه ثمن المحصول .

وتدل إحصاءات سورية الشهرية للسنوات ١٩٥١ ، ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ أن أقل الأشهر تسجيلاً للزيجات كانت يونيه ويوليه وأغسطس ، لا سيما وأن أيام رمضان قد امتدت بينها ، وهذه هي الأشهر التي يتم فيها حصاد الحبوب ونقلها إلى البيادر ودرسها وتذريتها وتعبئتها وإعدادها للبيع ؛ أما الحد الأعلى فكان في ديسمبر ، بعد تساقط المطر ونهاية الحرث وإلقاء البذور . على أنه

(١) A. Landry : Traité de démographie, p. 343.

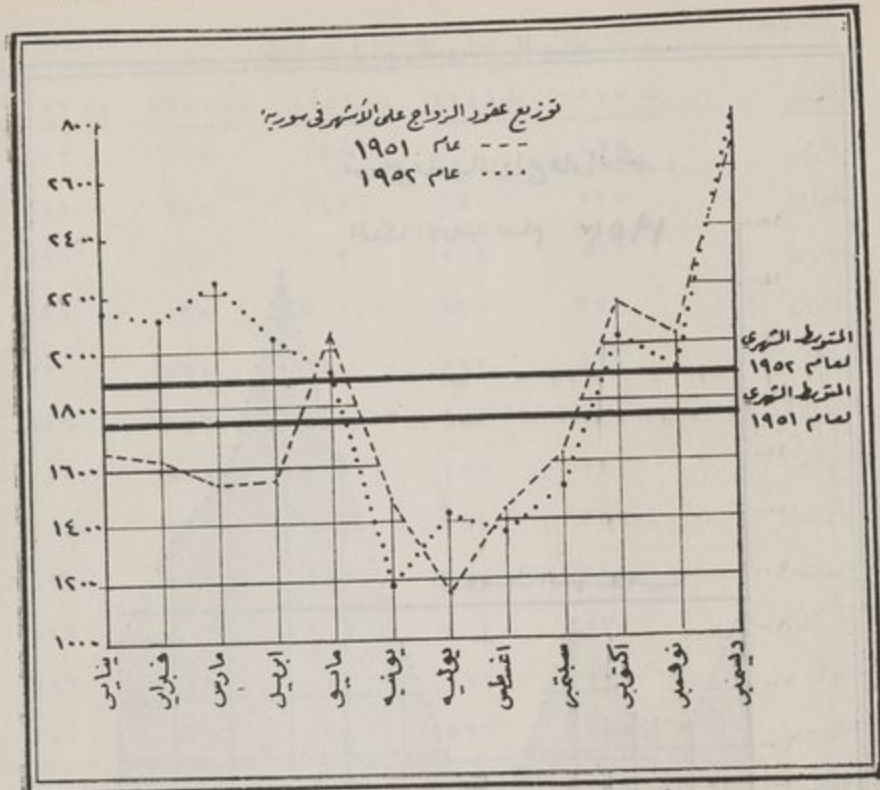
الزواج بين ٥٢ و٣ بالآلاف و ٥٣ بالآلاف ؛ وهبط محصول القمح عام ١٩٤١ إلى ٣٦٠,٠٠٠ طن وتدنى معدل الزواج إلى ٤٢ بالآلاف . وأنكم لتلاحظون قدراً كبيراً من الترابط بين هاتين الحادتين في أكثر السنين التي تلت الحرب العالمية الثانية ، مع ظهور عنصر جديد وهو منتوج القطن :

السنة	محصول القمح بالطن	محصول شعر القطن بالطن	معدل الزواج بالآلاف
١٩٤٧	٤٠٣,٨٢٦	٥,٤٤٤	٤٣
١٩٤٨	٦٥٦,٧٢٨	٩,١٠٩	٤٤
١٩٤٩	٩٠٩,٣٢٢	١٣,٣٢٣	٥٦
١٩٥٠	٨٣٠,٠٢٦	٣٥,٤٩٥	٧٧
١٩٥١	٥٠٩,٠٠٠	٦٣,٩٢٤	٦٤
١٩٥٢	٩٠٠,٠٠٠	٥٨,٠٧٤	٦٧
١٩٥٣	٨٧٠,٠٠٠	٤٦,٩٨٤	٧

وطبعي أن يكون أثر التراجع الإقتصادي أعمق في الأرياف حيث يُفتقد المدخر ويعيش الفلاح عيشة الكفاف ، ولذا يظل معدل الزواج في المدن أقل تغيراً حسب السنين ؛ ومن الملحوظ أيضاً أن هذا المعدل أكثر ثباتاً في المناطق الزراعية المتمتعة برى دائم منه في المناطق المعتمدة على رى الأمطار لأن الأمطار تختلف اختلافاً كبيراً من سنة لأخرى ، ويختلف مقدار المحصول تبعاً لذلك ، حتى يمكن في كثير من الأحيان استنتاج معدل الزواج من معدل الأمطار .

٣ - الموافقة الموسمية للزواج :

يختلف الزواج عن الولادة والوفاة بأن مواعده منوط مبدئياً بمشيتة



ومن مقارنة أرقام الزواج الشهرية في سورية والمملكة الأردنية عام ١٩٥٣ يتضح أن شهر يونيه كان في البلدين أقل الأشهر تسجيلاً لعقود الزواج . ويدل منحنى الزواج في الأردن على وجود حد أعلى كبير في شهر سبتمبر ، أي الشهر الذي يأتي قبل موسم الحرث والبذر وبعد بيع المحصول السابق .

المملكة الأردنية (١٩٥٣)

الشهر	النسبة المئوية من مجموع الزيجات	الشهر	النسبة المئوية من مجموع الزيجات	الشهر	النسبة المئوية من مجموع الزيجات
يناير	٨٩٢	يوليه	٧٩٦		
فبراير	٦٩١	أغسطس	١٠٩٩		
مارس	٦٩٣	سبتمبر	١٤		
أبريل	٨	أكتوبر	١٠٩٧		
مايو	٥٩٦	نوفمبر	٩٩٧		
يونيه	٥٩٢	ديسمبر	٧٩٧		

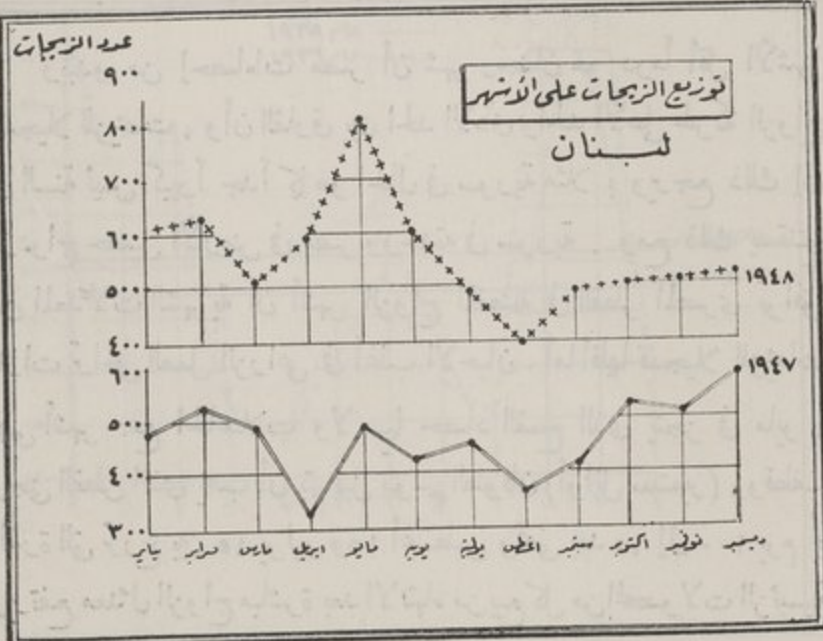
(م - ١٢ أحوال السكان)

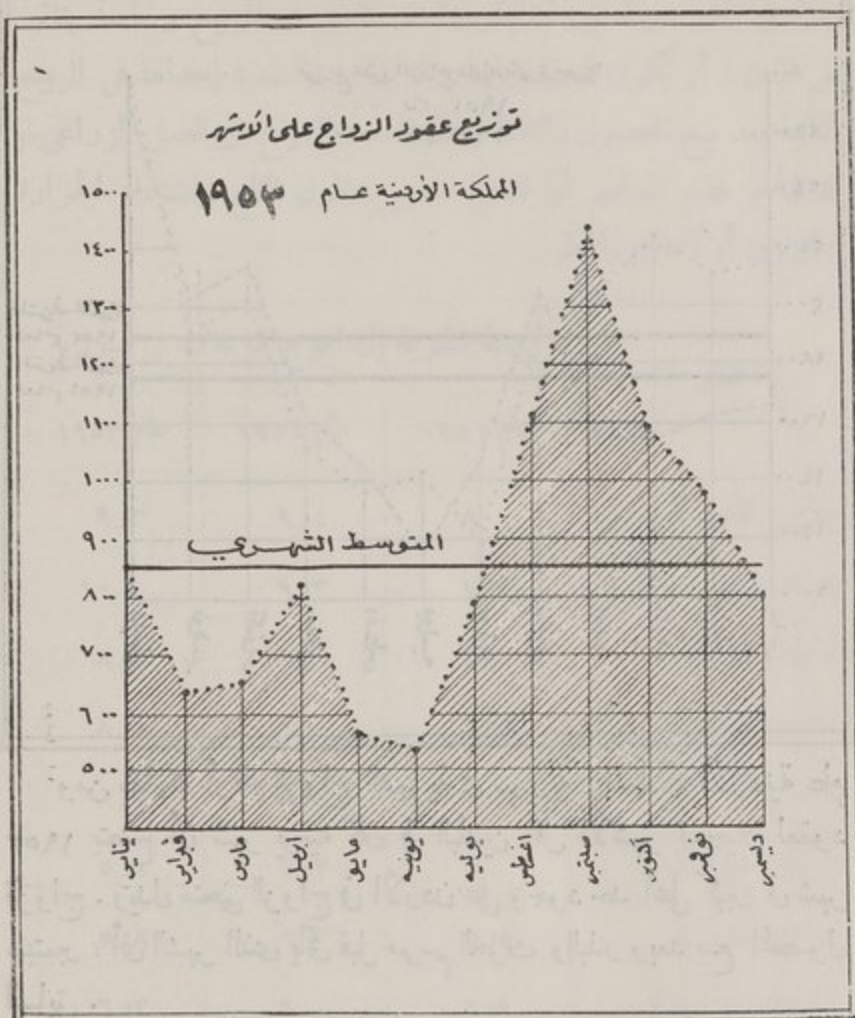
يحدث في كثير من السنين أن يكون الحد الأعلى في الربيع وخاصة بتأثير أهل المدن ، أو يكون لمنحنى الزواج ثلاث ذروات : إحداها في الربيع والثانية بعد بيع المحصول والثالثة في الشتاء بعد التفرغ من العمل الزراعي ؛ وقد تتأخر هذه المواسم أو تتقدم حسب هطول الثلج واشتداد الحرارة أو البرودة أو انحباس المطر .

الشهر	النسبة المئوية إلى مجموع الزيجات في سورية		
	عام ١٩٥٣	عام ١٩٥٢	عام ١٩٥١
يناير (كانون الثاني)	٩٥٣	٩٥٤	٨
فبراير (شباط)	١٠	٩٥٣	٧٥٨
مارس (آذار)	٨٥٢	١٠	٧٥٣
أبريل (نيسان)	٨٥٥	٩	٧٥٣
مايس	٨٥٧	٨٥٤	٩٥٨
يونيه (حزيران)	٥٥١	٥٥٢	٧
يوليه (تموز)	٥٥٨	٦٥٣	٥٥٥
أغسطس (آب)	٦٥٢	٦	٦٥٩
سبتمبر (أيلول)	٨٥٣	٦٥٧	٧٥٧
أكتوبر (أشهر الأول)	٨٥٩	٩	١٠٥٢
نوفمبر (أشهر الثاني)	٩٥٣	٨٥٥	٩٥٥
ديسمبر (كانون الأول)	١١٥٧	١٢٥٢	١٣
	١٠٠	١٠٠	١٠٠

عدد الزيجات الشهرية في لبنان

الشهر	عام ١٩٤٧	عام ١٩٤٨	عام ١٩٥١	عام ١٩٥٢	عام ١٩٥٣
يناير	٤٧٧	٦١٠	٧٥٥	٦٧٨	٨٣٣
فبراير	٥٣٧	٦٤٠	٧٤٢	٦٨٧	٨٨٨
مارس	٤٩٢	٥٠٨	٦٠٣	٧٩٧	٧٦٦
أبريل	٣٣٢	٥٩٠	٥٠٠	٥٩٨	٥٣٢
مايو	٤٩٤	٨١١	٦٣٤	٧٩١	٧٢٠
يونيه	٤٣٥	٦٠٤	٥٧٧	٤٧٦	٦٤٦
يوليه	٤٦٤	٤٨٥	٤١٣	٦٠٨	٥٤٢
أغسطس	٣٦٦	٣٩٤	٥٥١	٤٦٩	٥٥٤
سبتمبر	٤١٤	٤٩٠	٤٩٢	٤٩٣	٦٦٦
أكتوبر	٥٣١	٥٠٤	٧٠١	٨٠٦	٨٢١
نوفمبر	٥١٨	٥١٠	٥٣٣	٧٠٩	٦٨٦
ديسمبر	٥٨٢	٥٢٦	٥٣٨	٦٣٤	٨١٣
المجموع	٥٦٤٢	٦٦٧٢	٧٠٣٩	٧٩١٤	٨٥٠٠
متعدل الشهري	٤٧٠	٥٥٦	٥٨٦	٦٦٠	٧٠٨

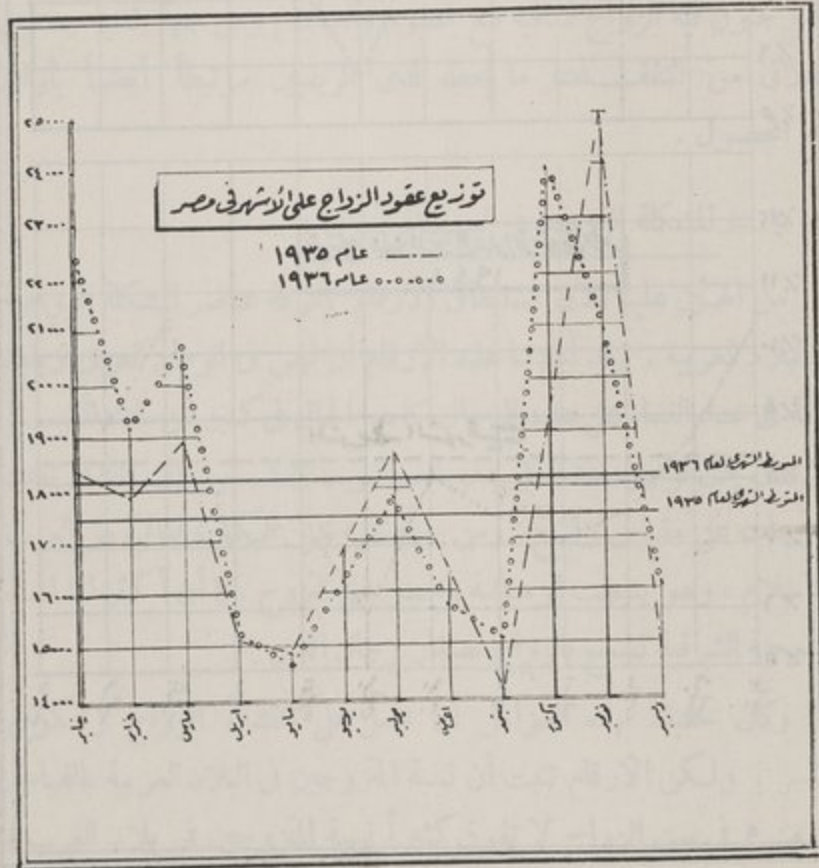


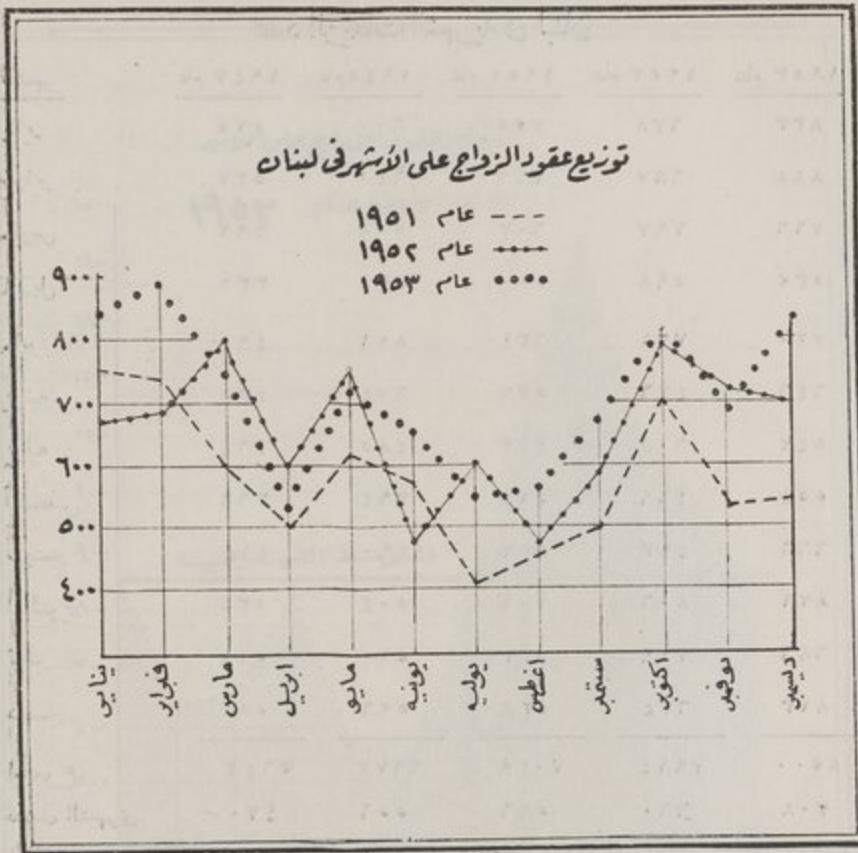


وإحصاءات لبنان للسنوات ١٩٤٧، ١٩٤٨، ١٩٥١، ١٩٥٢، ١٩٥٣ التي تهيات لنا معدلاتها الشهرية تدل أيضاً على وجود مواسم متميزة للزواج؛ ففي هذه السنوات الخمس تظل أشهر فبراير ويناير ومايو فوق المعدل الشهري، ويوليه وأغسطس وسبتمبر دون هذا المعدل. وهذا يعني أن الزواج يقل في موسم الإصطياف ويزداد في الشتاء فصل العطالة الزراعية؛ وزيجات شهر مايو تعويض للزيجات المتأخرة في موسم الصوم وأعياد الفصح عند المسيحيين، أو استباق لموسم الصيف.

وهذه أمثلة من سنوات مختلفة عن حركة الزيجات في مصر مرتبة حسب النسب المئوية للأشهر :

عام ١٩٣٥	عام ١٩٣٦	عام ١٩٣٩	عام ١٩٤٨	عام ١٩٤٩
١ نوفمبر ١٩٣٥	١١ أكتوبر ١٩٣٦	٩٩ يناير ١٩٣٩	١١ ديسمبر ١٩٤٨	١١ ديسمبر ١٩٤٩
٢ أكتوبر ١٩٣٥	١٠ يناير ١٩٣٦	٩٧ ديسمبر ١٩٣٩	١٠ أكتوبر ١٩٤٨	١٠ نوفمبر ١٩٤٩
٣ مارس ١٩٣٥	٩ نوفمبر ١٩٣٦	٩٣ فبراير ١٩٣٩	١٠ يناير ١٩٤٨	١٠ يناير ١٩٤٩
٤ يوليو ١٩٣٥	٩ مارس ١٩٣٦	٩٢ يوليو ١٩٣٩	٨ نوفمبر ١٩٤٨	١٠ أكتوبر ١٩٤٩
٥ يناير ١٩٣٥	٨ فبراير ١٩٣٦	٨٧ أغسطس ١٩٣٩	٨ فبراير ١٩٤٨	٨ يونيو ١٩٤٩
٦ فبراير ١٩٣٥	٨ يوليو ١٩٣٦	٨ نوفمبر ١٩٣٩	٨ يونيو ١٩٤٨	٧ فبراير ١٩٤٩
٧ يونيو ١٩٣٥	٨ يونيو ١٩٣٦	٧٩ يونيو ١٩٣٩	٧ مارس ١٩٤٨	٧ أبريل ١٩٤٩
٨ أغسطس ١٩٣٥	٧ أغسطس ١٩٣٦	٧٩ أبريل ١٩٣٩	٧ أغسطس ١٩٤٨	٧ مارس ١٩٤٩
٩ أبريل ١٩٣٥	٧ ديسمبر ١٩٣٦	٧٩ مارس ١٩٣٩	٧ مايو ١٩٤٨	٧ أغسطس ١٩٤٩
١٠ مايو ١٩٣٥	٧ أبريل ١٩٣٦	٧٥ أكتوبر ١٩٣٩	٧ أبريل ١٩٤٨	٧ مايو ١٩٤٩
١١ ديسمبر ١٩٣٥	٦ سبتمبر ١٩٣٦	٧ سبتمبر ١٩٣٩	٦ سبتمبر ١٩٤٨	٧ سبتمبر ١٩٤٩
١٢ سبتمبر ١٩٣٥	٦ مايو ١٩٣٦	٧ مايو ١٩٣٩	٥ يوليو ١٩٤٨	٥ يوليو ١٩٤٩
١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠





ويبدو من إحصاءات مصر أن شهر رمضان هو دوماً أقل الأشهر تسجيلاً للزيجات ، وأن الفارق بين الحد الأدنى والحد الأعلى لحركة الزواج في السنة ليس كبيراً جداً كما هو الحال في سورية مثلاً ؛ ويرجع ذلك إلى ازدواج حصيل الأرض في مصر ووحدته في سورية . ومع ذلك يستنتج من المعدلات الشهرية أن أشهر الزواج المفضلة في القطر المصري توافق فترات تراخي العمل الزراعي في أغلب الأحيان ، أما أقلها تسجيلاً للزيجات فهي أشهر جمع الحاصلات ولا سيما حصاد القمح الذي ينجز في مايو ، وجنى القطن الذي يجب أن يتم قبل موسم الطوفان (أوائل سبتمبر) ، وقطف الذرة التي تزرع بين ١٥ يوليو و ١٥ أغسطس وتجنّى بعد ٦٥ إلى ١٠٠ يوم ؛ ويرتفع معدل الزواج مباشرة بعد الانتهاء من بيع كل من المحصولات الرئيسية

ويمكن التساؤل هل للطلاق مواعيت موسمية كالزواج ؟

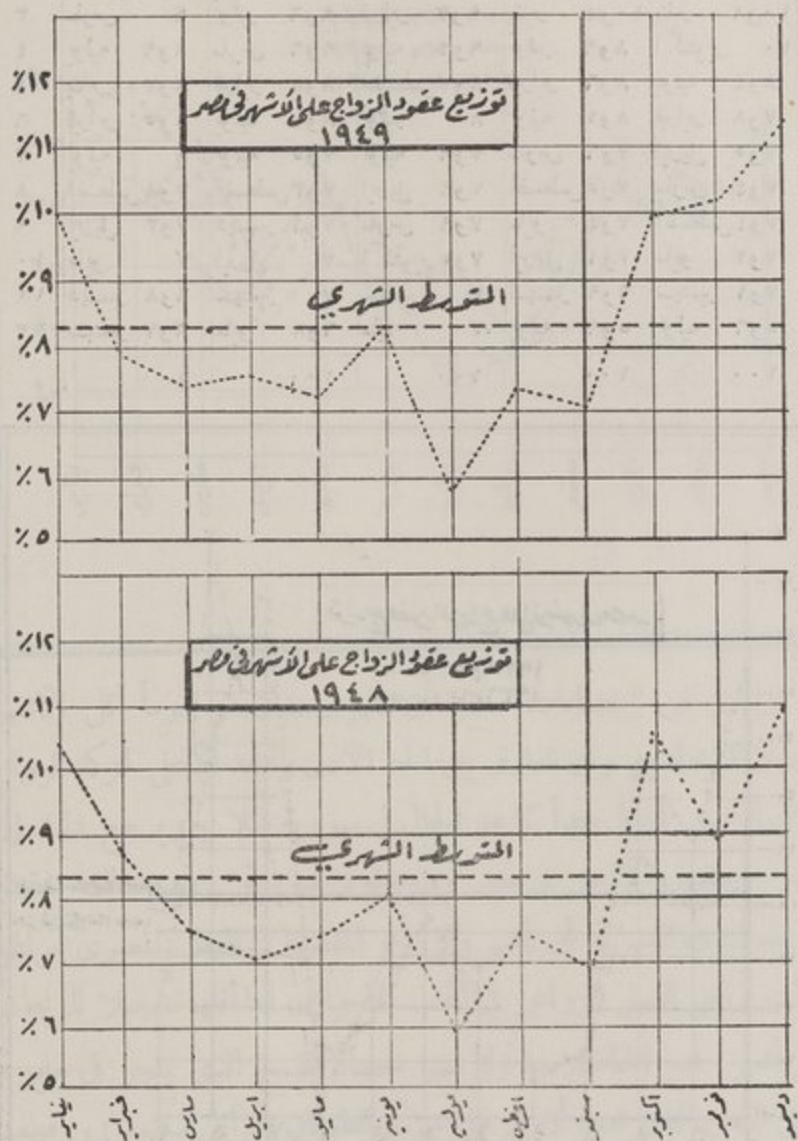
وفي الواقع أن توزيع الطلاقات على أشهر السنة أكثر انتظاماً من توزيع الزيجات ؛ ويلاحظ مع ذلك كثير من التقارب في أشهر الحد الأدنى وأشهر الحد الأعلى لتسجيل الطلاقات في سنوات متعاقبة ؛ ففي لبنان مثلاً كان أكتوبر أثقل الشهور بالطلاقات خلال السنوات ١٩٥١، ١٩٥٢، ١٩٥٣، بينما كان أخفها يونيه عام ١٩٥١، ويوليه عام ١٩٥٢، وأغسطس عام ١٩٥٣. ونجد الشيء ذاته في سورية خلال الأعوام المذكورة، إذ كانت قلة الطلاقات في يوليه وأغسطس وكثرتها في الشتاء .

ويصح أن نستنتج من ذلك أن مواسم الزواج والطلاق متقاربة ؛ فمن جهة، يجتنب المسلمون في رمضان « أبغض الحلال إلى الله »، وهو الطلاق، كما يرجئون فيه الزواج لتنافيه مع الصوم والعبادة ؛ ومن جهة ثانية يستلزم الطلاق من النفقات ما يجعله لدى الريفيين مرتبطاً أيضاً بأوان بيع المحصول .

٤ - المشكلة الزوجية في العالم العربي :

من الهين علينا الآن استنطاق الأرقام لمعرفة عناصر المشكلة الزوجية في البلاد العربية . وقد أفادتنا هذه الأرقام أن ليس في الوطن العربي زيادة هامة في عدد النساء على عدد الرجال كما هو الحال في كثير من بلاد الغرب ؛ فلا مجال إذن لوجود عدد كبير من العوانس ، كما لا سبيل إلى انتشار تعدد الزوجات على مقياس واسع . ومن جهة ثانية تدين الكثرة الغالبة من العرب بالاسلام ، وهو يشجب الرهبانية ويحض على الزوج ؛ كما أن أكثر المذاهب المسيحية الشرقية تسمح بالزواج لصغار رجال الدين .

وكان حقيقاً بهذه العوامل أن تحمل على انتشار الزواج وتكوين الأسر ؛ ولكن الأرقام تثبت أن نسبة المتزوجين في البلاد العربية بالمقياس إلى من هم في سن الزواج لا تفوق كثيراً نسبة المتزوجين في بلاد الغرب ؛



الفصل الثامن الولادات والوفيات

١ - معدل الولادة

ينجم التكاثر الطبيعي للسكان عن زيادة الولادات على الوفيات . ومعدل الولادة (Taux de natalité) هو نسبة عدد المواليد الأحياء إلى كل ١٠٠٠ من السكان (١) .

ونلاحظ أن نسبة المواليد عالية في الشعوب الفتية ؛ وهي أشد لدى الريفيين منها لدى سكان المدن لاعتقاد سكان الأرياف أن الذرية رأس مال بشري يستثمرونه في العمل الزراعي دون أن تكلفهم تربية الأولاد نفقات باهظة .

وبالإجمال تخف نسبة المواليد بين الشعوب المتحضرة لشعور الآباء بالمسؤولية وجنوحهم إلى تقييد النسل ؛ والمتدينون هم أكثر أولاداً من غير المتدينين لأن الديانات لا تبيح تحديد النسل إلا في حالات خاصة ؛ وبما أن الشعوب البروتستانتية هي أكثر ترخصاً من الشعوب الكاثوليكية فالكاثوليكيون هم بالإجمال أكثر نسلاً .

والملاحظ أن الفقراء هم على الغالب أكثر أولاداً من الأغنياء ؛ والبلاد التي تتلقى مهاجرين من الشباب يزيد معدل الولادة فيها على معدل الشعوب التي تفقد هؤلاء المهاجرين .

والمعدل الطبيعي الأعلى للولادات قد يبلغ ٥٥ إلى ٦٠ لكل ألف ؛ لكن النسبة الواقعية تقل عن ذلك .

(١) للتفريق بين Natalité و Naissance يقترح بعضهم استعمال المولودية أو الولادية أو الولودية للكلمة الثانية .

وقد أوضحنا ذلك بمقارنة عددية بين مصر وفرنسا ؛ هذا مع إغفال الزيجات غير المشروعة الشائعة بين الغربيين . ولا جدال في أن التغالي في المهور وارتفاع أكلاف الزواج والخوف من نفقات الأسرة من أعظم الأسباب في الحد من الزواج ؛ وهو في الأرياف أعم لأنه أقل نفقة ، ولأن المرأة لا تحتجب في الريف بل تختلط بالرجال وتسهم معهم في العمل .

والملاحظ أيضاً أن تعداد الزوجات أوسع انتشاراً بين الريفيين والفقراء وغير المتعلمين ، وهو سبب من أسباب تفكك الأسرة وبؤس الأولاد . وكذلك الطلاق فإنه أغلب بين الفقراء منه بين الأغنياء .

وتتمشى أكثر الدول العربية اليوم نحو تقييد الطلاق بحكم قضائي مبرر ؛ كما أن نشر التعليم يخفف من تعدد الزوجات .

وكان معدل الولادة المقدّر في العالم كما يلي عام ١٩٤٧^(١) :

المعدل العالمي :	٣٥ — ٣٧	بالآلاف
أفريقية :	٤٠ — ٤٥	»
أمريكا الشمالية :	٢٥	»
أمريكا اللاتينية :	٤٠	»
آسيا :	٤٠ — ٤٥	»
أوروبا :	٢٤	»
أوقيانوسيا :	٢٨	»

وتقسم الشعوب حسب معدّل مواليدها إلى ثلاث فئات :

(أ) شعوب كثيرة المواليد — (معدل الولادة أكثر من ٣٠ بالآلف)

(ب) شعوب معتدلة المواليد — (يتراوح لديها معدل الولادة بين ٢٠ و ٣٠ بالآلف) .

(ج) شعوب قليلة المواليد — (معدّل الولادة أقل من ٢٠ بالآلف) .

ومن الأمثلة على البلاد الكثيرة المواليد عام ١٩٥٣ :

كوستاريكا :	٥٣٩	بالآلف ،	غواتيمالا :	٥١٣	بالآلف
فنزويلا :	٤٦١	بالآلف ،	المكسيك :	٤٤٦	بالآلف
سيلان .	٣٩٤	بالآلف			

ومن الأمثلة على البلاد المعتدلة المواليد في العام ذاته :

اليابان :	٢١٥	بالآلف ،	الولايات المتحدة :	٢٤٧	بالآلف
استراليا :	٢٢٩	بالآلف ،	هولندا :	٢١٨	بالآلف

(١) Rapport préliminaire sur la situation sociale dans le monde, Nations Unies, 1952, p. 8

وسائر الأرقام مأخوذة عن الحولية الإحصائية للأمم المتحدة عام ١٩٥٤ .

ويشاهد في أكثر بلاد العالم نزعة مضطردة نحو تحديد النسل والإقلال من الأولاد؛ لكن هذه النزعة تفتقر عقب الحروب لتعويض الخسائر بالأرواح .

ومن الأمثلة على تناقص معدل الولادة بصورة عامة :

نسبة الولادات إلى كل ١٠٠٠ ساكن

عام ١٨٨٥	عام ١٩٣٨	
٣٦٠٨	١٩٠٩	ألمانيا
٣٠٠٢	١٥٠٦	بلجيكا
٣٣	٢٦٠٧	البرتغال
٤١٠٤	٢٩	رومانيا
٣٥٠٢	١٧٠٦	أستراليا

وكان معدل الولادة في الهند ٣٣ بالآلاف عام ١٩٤٠ فهبط إلى ٢٤ و٩ عامي ١٩٥٠ و ١٩٥١ ثم إلى ٢٤ و ٨ عام ١٩٥٢ ، وذلك بعد إباحة تحديد النسل . ونلمس لدى الشعبين البريطانى والفرنسى ارتفاع نسبة الولادة عقب الحرب العالمية الثانية ثم انخفاضها بدءاً من عام ١٩٤٩ — ١٩٥٠ :

١٩٣٠	١٩٤٠	١٩٤٦	١٩٤٩	١٩٥٠	١٩٥١	١٩٥٢	١٩٥٣
١٦٠٨	١٤٠٦	١٩٠٤	١٧	١٦٠٢	١٥٠٨	١٥٠٧	١٥٠٩
١٨٠٢	١٧	٢٠٠٨	٢٠٠٩	٢٠٠٥	١٩٠٥	١٩٠٢	١٨٠٧

أما الولايات المتحدة الأمريكية فإن حركة الولادات قد نشطت فيها على أثر الحرب العالمية الثانية ثم نشطت مرة أخرى عقب الحرب الكورية :

١٩٣٠	١٩٤٠	١٩٤٥	١٩٤٦	١٩٤٧	١٩٤٨	١٩٤٩	١٩٥٠	١٩٥١	١٩٥٢	١٩٥٣
١٨٠٩	١٨٠٩	١٩٠٥	٢٣٠٣	٢٥٠٨	٢٤٠٢	٢٣٠٩	٢٣٠٥	٢٤٠٦	٢٤٠٧	٢٤٠٧

معدل المواليد بالآلاف

٦٠	الساحل المعاهد :
٦٠	اليمين :
٤٥ - ٤٠	تونس ^(١) :
٤١	مراكش ^(٢) :
٣٦	الجزائر (أوربيون ومسلمون) ^(٣) :
ولكن الولادات المسجلة رسمياً تقل عن الولادات الحقيقية ، حتى أن المعدل الرسمي لا يصل في بعض البلدان العربية إلى نصف المعدل الحقيقي . وهنا أيضاً تظل إحصاءات مصر أوثق الإحصاءات العربية وأدله على الواقع كما هو واضح من الأرقام الرسمية التالية :	
٢١	ليبيا (مدينة بنغازي) ^(٤) :
٢٥	م (مدينة المرج) :
٤١	م (مدينة درنة) :
٤٤٧	مصر ^(٥) :
٣٧	المملكة الأردنية ^(٦) :
٣١٤	تونس ^(٧) :
٢٤٤	سورية ^(٨) :
٢٥٢	لبنان ^(٩) :
٢٢٢	عرب ^(١٠) :
٤١٩	الجزائر ^(١١) : مسلمون :
١٩٩	: أوربيون :
٢٠٧	سبتة ^(١٢) :
١٨	مليلية ^(١٣) :

(١) Tunisie 53, p. 30

(٢) Chevalier : Le problème démographique nord-africain, p. 25 - 32

(٣) H. J. Legg : Libya. London 1952, p. 16

(٤) النشر الإحصائي لعام ١٩٥٣ القسم الاجتماعي ، ص : ١١
(٥) المجموعة الإحصائية السورية ١٩٥٣ (*) الحولية الإحصائية للأمم المتحدة عام ١٩٥٤

وهذه نماذج من البلاد القليلة المواليد عام ١٩٥٣ أيضاً :

فرنسا :	١٨ و ٧ بالآلف	بريطانيا :	١٥ و ٩ بالآلف
النرويج :	١٨ و ٨ »	ألمانيا الغربية :	١٥ و ٥ »
إيطاليا :	١٧ و ٢ »	السويد :	١٥ و ٤ »
سويسرا :	١٧ »	النمسا :	١٤ و ٥ »

ومما لا ريب فيه أن الشعوب العربية تأتي في طليعة الشعوب المخفضة الوفيرة المواليد ؛ ويبلغ معدل المواليد في بعضها الحد الأقصى من الإخصاب الطبيعي ، كما تدل الأرقام التالية المستندة إلى تقديرات خاصة أو إحصاءات رسمية (١٩٣٥ - ١٩٤٧) (١) .

معدل المواليد بالآلف

٦٠	عدن
٤٥	برقة
٤٢	مصر
٥٥	العراق
٤٥	لبنان
٤٨	فلسطين (مسلمون)
٣٧	» (مسيحيون)
٢٤	» (يهود)
٥٣	سورية
٦٢	المملكة العربية السعودية
٤٣	شرقي الأردن

في العالم العربي ١٩١٠

القضاء معدل الولادات لكل ١٠٠٠ ساكن

عام ١٩٥٣	عام ١٩٥٢	
٢٩٥٩	٢٦٥٨	عمان
٣٢٥٥	٣١٥٣	السلط
٣١	٢٨٥٧	مادبا
٤٣٥٥	٣٩٥٩	إربد
٣٢٥٩	٣٥٥١	عجلون
٤٩٥٥	٤٣٥٤	جرش
٤١٥٦	—	الكورة
٤٥	٤٠٥٢	الكرك
٣٧٥٣	٣٤٥٢	الطفيلة
٢١٥٩	٢١٥٣	معان
٢٤٥٩	—	العقبة
٣٨٥١	٣٤٥٤	القدس
٣٥	٣٤٥٥	رام الله
٣٠٥٢	٢٨٥٥	بيت لحم
٢١٥١	٢٣٥٨	أريحا
٣٨٥٦	٣٠٥٨	نابلس
٢٠٥٤	١٩٥١	جنين
١٨٥٥	١٩٥٩	طولكرم
٢١٥١	١٩٥٦	الخليل
٣٧	٣٤٥٦	المجموع العام

وبما لاشك فيه أن معدل الولادات في مصر — ٤٥ بالآلاف عام ١٩٥١ — يمثل المعدل الوسطى للعالم العربي، وأن الحد الأدنى لا ينزل عن ٤٠ بالآلاف والحد الأعلى يصل إلى ٦٠ بالآلاف. وسبب هذا الاختلاف الشديد غلبة المزارعين بين السكان، وهم يعيشون بتناس الطبيعة ويمجرون على سننها، لاسيما وإنهم أميون في أكثر الأحيان وليس لهم ثقافة تنمي شعورهم بالمسؤولية؛ يضاف إلى ذلك أثر الدين الإسلامي الذي يعتبر الأولاد من نعم الله الكبرى.

ولنأخذ الآن كل قطر عربي على انفراد لتبين مدى صحة إحصاءاته المتعلقة بالولادات ومبلغ اختلاف معدلها بين المدن والقرى.

وقد رأينا أن معدل الولادات في شرقي الأردن يقدر بنحو ٤٣ بالآلاف، ويقدره آخرون عام ١٩٣٩ بنحو ٤٦ بالآلاف^(١)؛ بينما لا تسجل إحصاءات المملكة الأردنية لعامي ١٩٥٢ و١٩٥٣ سوى ٣٤ و٣٧ بالآلاف؛ وتدل هذه الإحصاءات على معدلات متباينة في مختلف أرجاء المملكة تراوحت عام ١٩٥٣ بين ١٨ و٤٩ بالآلاف.

Worthington (E. B.) : Middle East Science. London 1946, (١)

p. 182 — 183.

وإحصاءات مدينة دمشق وحدها يمكن الوثوق بصحتها نسبياً ؛ وبعض المحافظات لا تسجل رسمياً سوى سدس الولادات الحقيقية (محافظة الفرات مثلاً) كما يتبين من الجدول التالي :

المواليد المسجلة في المحافظات السورية عام ١٩٥٣

المحافظة :	العدد	النسبة لكل ١٠٠٠ ساكن
مدينة دمشق	: ١٤,٨٣٤	٣٨٩٧
دمشق عدا المدينة	: ١١,٢١٢	٢٩٩٢
حمص	: ٠٧,٠٤٥	٢٠
حماة	: ٠٧,٦٥٤	٢٧٩٨
اللاذقية	: ٠٧,٠٠٥	١٦٩٢
حلب	: ٣٠,٧٣١	٢٨٩٨
الحسكة (الجزيرة)	: ٠٤,٣٣٠	١٨٩٦
دير الزور (الفرات)	: ٠٢,١١٨	٠٨٩٤
السويداء (جبل الدروز)	: ٠١,٧٣٣	١٦٩٥
درعا (حوران)	: ٠٢,٦٢٥	١٧٩٧
المجموع العام	: ٨٩,٢٧٧	٢٤٩٤

ولست إحصاءات لبنان أقل خطأ من إحصاءات سورية ، يدل على ذلك تباين تسجيل الولادات سنوياً ؛ وتعترف الدوائر الإحصائية بالفروق غير الاعتيادية في قيد الوقوعات ضمن المهل القانونية ، ؛ ولا شك أن وجود عدد كبير من المسيحيين يجعل نسبة الولادات في لبنان أقل منها في جميع البلاد العربية ، ولكن هذه النسبة لا تقل بحال ما عن ٣٠ بالآلاف ؛ والإحصاءات الرسمية لا تسجل سوى ثلاثة أرباع الولادات الحقيقية :

ونسبة المواليد في سورية قُدِّرت بنحو ٥٣ بالآلف؛ وتؤكد وزارة الصحة السورية أن هذه النسبة لا تقل عن ٤٠ بالآلف^(١)؛ ويرى «ويلرس» أن المعدل الحقيقي للولادات في الريف السوري يتراوح بين ٤٥ و ٥٠ بالآلف^(٢)؛ وقد أثبتت تحرياتنا الخاصة عام ١٩٤٥ أن معدل المواليد يصل في الأرياف إلى ٤٥ بالآلف ولا يهبط في المدن الكبرى عن ٣٠ - ٣٥ بالآلف، فيكون المعدل العام ٤٠ بالآلف، أي ضعف المعدل الرسمي تقريباً. واضطراب معدل الولادة حسب السنوات دليل على نقص التسجيل:

السنة : معدل الولادات المسجلة لكل ١٠٠٠ ساكن

١٨٩١	: ١٩٤٤
٢٠٩٧	: ١٩٤٥
٢٠٩٣	: ١٩٤٦
١٤٩٦	: ١٩٤٧
١٩٩٢	: ١٩٤٨
٢٤٩٢	: ١٩٤٩
٢٢٩٦	: ١٩٥٠
٢٥٩٢	: ١٩٥١
٢٥٩٧	: ١٩٥٢
٢٤٩٤	: ١٩٥٣

ويلاحظ من توزيع الولادات السنوية على المناطق السورية أن النقص في التسجيل يزداد في المحافظات ذات الأثرية الريفية أو نصف الحضرية

(١) التقرير الصحي عن سورية ١٩٤٤ - ١٩٤٥، نشر مديرية الصحة العامة بدمشق، ص: ٩٤.

(٢) J. Weulersse : Paysans de Syrie, p. 247

وفي العراق أيضاً تذكر الدوائر الإحصائية أن « الأرقام المتعلقة بالإحصاءات الحياتية هي ما سجلت بصورة رسمية من قبل السلطات ، وأن هنالك حوادث لم تسجل ولم تجر عليها أية تخمينات » (١) .

وقد بلغت المواليد المسجلة : ٣٨١٢٧ عام ١٩٥١

: ٤٥٥٣٠ ، ١٩٥٢

: ٦٥١٥٤ ، ١٩٥٣

وتعرفون أن سكان سورية لا يتجاوزون ثلاثة أرباع سكان العراق ، ومع ذلك فقد سجلت سورية عام ١٩٥٣ : ٨٩,٢٧٧ ولادة ، أي بزيادة ٢٤,١٢٣ ولادة عن العراق ... ويجب أن نضاعف أرقام الولادة في هذا القطر الأخير خمس مرات على الأقل لنقترب من الحقيقة ؛ ومدينة بغداد وحدها سجلت عام ١٩٥٣ : ١٥٥٦٧ ولادة فيكون معدل الولادة فيها (بعد انقاص اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين) أكثر من ٤٠ بالآلاف ؛ ولا شك أن المعدل الوسطي لجميع العراق يبلغ ٤٥ بالآلاف .

ولا يمكن أن نستنتج من إحصاءات مصر إتجاهاً معيناً لمعدل الولادات ؛ فهو يبلغ وسطياً ٤٠ بالآلاف خلال السنوات ١٩١٧ - ١٩٥١ ؛ ولكنه لا يتصاعد أو يهبط بانتظام ؛ فهو يصل مثلاً إلى ٤٥ بالآلاف عام ١٩٣٠ وينخفض إلى ٣٧ و ٦ بالآلاف عام ١٩٤٢ ويزداد إلى ٤٥ بالآلاف مرة أخرى عام ١٩٥١ . ويبدو أن العوامل الحضارية والثقافية التي تحمل على إعاقة النسل طوعاً لم تظهر بعد آثارها في مصر . ومهما يكن الأمر فإن المعدلات الرسمية للولادات في هذا القطر تدل على درجة عظيمة من الخصوبة :

(١) المجموعة الإحصائية السنوية العامة لسنة ١٩٥٣ ، ص : ٢٢٢

السنة نسبة الولادات إلى ١٠٠٠ من سكان لبنان

١٩٤٢	:	٢٦٩٣
١٩٤٥	:	٢٤٩٧
١٩٤٦	:	٢١٩٤
١٩٤٧	:	٢١٩٧
١٩٤٨	:	٢٦٩٦
١٩٤٩	:	١٨٩٣
١٩٥٠	:	٢٣
١٩٥١	:	٢٣٩٨
١٩٥٢	:	٢٤٩١
١٩٥٣	:	٢٥٩٢

ورغم نقائص الإحصاءات اللبنانية ، فإنها تظهر زيادة معدل الولادات في المناطق ذات الأثرية المسلمة والريفية على معدل المناطق المسيحية (جبل لبنان) أو مناطق المدن (بيروت) :

المواليد المسجلة في لبنان (عام ١٩٤٨)		المحافظة
النسبة إلى كل ١٠٠٠ ساكن	العدد	
٣٨	٦٥٠٣	البقاع
٢٩٩٤	٦٧٤٢	لبنان الجنوبي
٢٤٩٤	٦٥٤٠	لبنان الشمالي
٢٢٩٣	٤٤٣١	بيروت
٢١٩٦	٧٨٦٥	جبل لبنان
٢٦٩٦	٣٢٠٨١	المجموع

وقد بلغ معدل الولادات بين المسلمين في العام ذاته : ٣١٩٢ ، بالآلاف ، وبين المسيحيين : ٢٢ بالآلاف ، وبين اليهود ١٣٩٦ بالآلاف .

بقاها معه ؛ ويؤكد ذلك أن ٩٠ بالمائة من حالات الطلاق تحدث قبل ميلاد الطفل الأول .

ثالثاً — تعدد الزوجات في الريف ، مما يرفع معدل الولادات .

رابعاً — أمل الفلاح في أن يعينه أولاده في العمل وهو شاب ويكونوا ذخراً له في المستقبل وهو شيخ .

خامساً — تأخر القرية المصرية وانعدام وسائل التسلية فيها وظلامها ليلاً ؛ وقد ثبت أن ثمة ارتباطاً بين الظلام وإرتفاع نسبة المواليد .

سادساً — إرتفاع نسبة الوفيات بين الأطفال ، الأمر الذي يجعل الوالدين حريصين على إنجاب عدد كبير من الأولاد لتعويض الوفيات المحتملة .

سابعاً — قصر الأعمار بصورة عامة وضعف نسبة الشيوخ ، وخاصة النساء بعد تجاوز سن الحمل ، وهذا ما يظهر معدل الولادات في جميع البلاد العربية أعلى من البلاد الغربية المكتظة .

ثامناً — الجهل بطرق تحديد النسل .

ويعتقد بعض الباحثين بوجود علاقة وثيقة بين سوء التغذية وكثرة النسل ، ويميلون إلى الظن بأن تحسّن التغذية يفضي حيويّاً إلى ضعف التناسل ، كما يرون في التناسل وسيلة من وسائل كفاح الحياة ، فإذا تعذّر حفظ الذات بسبب قلة الغذاء عملت الطبيعة على حفظ النوع^(١) ؛ فكان بين الغذاء والإنسال نسبة معكوسة ثابتة ؛ وإذا صحّت هذه النظرية كان البؤس وتدنّي السوية المعاشية سبباً من أسباب وفرة الولادات لدى الشعوب العربية .

والولادات بين المسلمين في مصر — كما في غيرها من البلاد العربية — أعلى نسبة منها لدى المسيحيين والموسويين :

(١) السيد عبد الحميد الدالي : العناصر الحيوية لمشكلة السكان في مصر ، ص : ٤٨ — ٥٥

السنة	نسبة الولادات إلى ١٠٠٠ ساكن
١٩٢٠ - ٢٤ :	٤٢ و ٨
١٩٢٥ - ٢٩ :	٤٣ و ٩
١٩٣٠ - ٣٤ :	٤٣ و ٧
١٩٣٥ - ٣٩ :	٤٢ و ٨
١٩٤٠ :	٤١ و ٣
١٩٤١ :	٤٠ و ٤
١٩٤٢ :	٣٧ و ٦
١٩٤٣ :	٣٨ و ٧
١٩٤٤ :	٣٩ و ٨
١٩٤٥ :	٤٢ و ٧
١٩٤٦ :	٤١ و ٢
١٩٤٧ :	٤٣ و ٦
١٩٤٨ :	٤٢ و ٧
١٩٤٩ :	٤١ و ٨
١٩٥٠ :	٤٤ و ٤
١٩٥١ :	٤٤ و ٧

ويجد الأستاذ حسين عبد الله عدة عوامل لوفرة الخصوبة في مصر — وهي عامة في البلاد العربية — أهمها (١) :

أولاً — إرتفاع نسبة الأميين بين الأفراد وسيطرة الروح الاتسكالية على تفكيرهم ، فيقبلون على الزواج المبكر دون التبصر في التبعات والعواقب ، مستسلمين للقدر في رزق عيالهم ، على العكس من المتعلمين الذين يرجئون زواجهم إلى ما بعد إنهاء دراستهم وتأمينهم مستوى اقتصادياً واجتماعياً لائقاً.

ثانياً — إباحة الطلاق لدى المسلمين ، مما يجعل المرأة في خشية دائمة ، فتسعى إلى إنجاب أكبر عدد ممكن من الأطفال لتوثق الروابط بزوجها وتضمن

(١) السكان وموارد الثروة في مصر ، ص : ١٢٧ — ١٢٩ .

نسبة المواليد الى ١٠٠٠ من السكان

عام ١٩٤٩	عام ١٩٤٨	
٣٥٩٣	٣٦٩١	أسوان
٣٧٩٨	٣٩٩٥	بنى سويف
٤١٩٤	٤٠٩٦	الفيوم
٣٠٩٤	٣٢	جرجا
٤٣٩٦	٤٧	الجيزة
٢٨٩٧	٣٠٩١	قنا
٤٠٩٣	٤١٩٤	المنيا
٤١٩٨	٤٢٩٧	الجملة

ويقدر النقص بين معدل الولادات في الريف ومعدل الولادات في الحضر بحوالى ١٠٪؛ وقد يكون بعض هذا النقص ناشئاً عن هجرة الشباب إلى المدن^(١).

٢ - الذكورة : Masculinité

هى نسبة المواليد الذكور إلى المواليد الإناث ؛ وتتراوح في العالم بين ١٠٤ و ١٠٦ ، أى أنه يقابل كل ١٠٠ مولودة ما بين ١٠٤ و ١٠٦ من المواليد الذكور . وكل نسبة للذكورة تزيد عن ١١٠ تعتبر خطأ يرجع إلى النقص في تسجيل المواليد البنات .

وليس من تعليل ثابت لظاهرة رجحان المواليد الذكور ، فلا يعرف على التحقيق هل هى ناشئة عن أسباب عضوية ، أو أن للطبيعة حكمة في حفظ النوع ، فهى تزيد في عدد الذكور حين الولادة لكثرة الوفيات بينهم خلال سنوات العمر . وقد حاول بعض الاخصائيين إيجاد علاقة بين الذكورة

(١) العناصر الحيوية لمشكلة السكان في مصر ؛ ص : ٢٩ - ٣٢ .

نسبة المواليد إلى ألف من السكان

١٩٤٩	١٩٤٨	
٤٢٩٧	٤٣٩٦	مسلمون
٣١٩٩	٣٣٩٨	مسيحيون
١٩٩٥	٢٦٩٥	يهود

وجدير بالإشارة أن بيانات مصلحة الإحصاء في مصر تدل على زيادة معدل المواليد في المدن والحوضر على معدل المواليد في الريف ؛ وهذا يناقى الواقع ، ولا يمكن تعليله إلا بنقص التسجيل في الأرياف :

نسبة المواليد إلى ١٠٠٠ من السكان

عام ١٩٤٩	عام ١٩٤٨	المحافظات والمديريات
٤٧٩٩	٤٧	القاهرة
٥٠٩٥	٥١	الاسكندرية
٤٩٩٩	٤٦٩٩	القنال
٤٧٩٤	٥٠٩٤	دمياط
٥٧	٥٥٩٦	السويس
٤٣٩٩	٤٠٩٩	أقسام الحدود
٣٨٩٤	٣٩٩٨	البحيرة
٤١٩٤	٤٢٩٢	الشرقية
٤٦٩٣	٤٧٩٨	الدقهلية
٤٤٩٣	٤٤٩٨	الغربية
٤٦٩٤	٤٨٩٨	القليوبية
٤٥٩٢	٤٦٩٨	المنوفية
٣٧	٣٨	أسيوط

ومنذ عام ١٩١٧ حتى عام ١٩٥١ لم ينقص معدل الذكورة في مصر عن ١٠٦ (١٩٣٨، ١٩٣٢) ولم يزد عن ١١٠ (١٩٤١، ١٩٤٣، ١٩٤٤، ١٩٤٧)، وهو منذ ١٩٤٨ حتى ١٩٥١ ثابت على ١٠٩؛ ولا نستطيع أن نقطع بوجود صلة ما بين هذا المعدل المرتفع نسبياً وبين الفعالية الزراعية السائدة في مصر؛ والملاحظ أن معدل الذكورة لدى المسلمين لا يختلف كثيراً عنه لدى الطوائف الأخرى:

نسبة المواليد الذكور إلى ١٠٠ من المواليد الاناث

عام ١٩٤٨	عام ١٩٤٩	
١٠٨	١٠٩	مسلمون :
١٠٩	١١٠	مسيحيون :
١٠٧	١٠٨	يهود :

والمرجح أن نقص تسجيل البنات هو المسؤول خاصة عن ارتفاع الذكورة؛ ولعل هذا النقص هو مصدر جميع ما أشرنا إليه من الأحوال الشاذة التي تتكشف عنها الإحصاءات العربية. والذكورة المصطنعة في مصر تبدو خاصة في مديريات الوجه القبلي ولا سيما جرجا وقتنا:

نسبة المواليد الذكور إلى ١٠٠ من المواليد الاناث^(١)

عام ١٩٤٨	عام ١٩٤٩	المحافظات :
١٠٥	١٠٦	القاهرة
١٠٤	١٠٤	الاسكندرية
١٠٥	١٠٥	القنال والسويس ودمياط
١٠٥	١٠١	أقسام الحدود

(١) محسوبة على أساس الأرقام الواردة في الإحصاء السنوي العام طبع ١٩٥٣،

والبيئة وطبيعة العمل وشرائط الحياة الاقتصادية ، فزعموا أن البؤس يزيد من معدل الذكورة ، والرخاء ينقص منه ، وأن الحياة الابتدائية تلازم وفرة الذكورة ، والحضارة على العكس ؛ وتبعاً لذلك يكثر المواليد الذكور في الأرياف ويقلون نسبياً في المدن . وجرب بعضهم معرفة نسبة الذكورة لدى أرباب المهن المختلفة فوجد مثلاً أن المشتغلين بالأمور العقلية والفنية هم غالباً أقل ذكوراً من المشتغلين بالمهن المستندة إلى القوة العضلية . ولكن جميع هذه الآراء لا تعدو أن تكون مزاعم وفرضيات يعوزها البرهان القاطع . ويتبين من إحصاءات الشعوب العربية أن الذكورة لديها تفوق كثيراً المتوسط المألوف في العالم . فهل يرجع ذلك إلى خصائص طبيعية في الأمة العربية أو إلى أنماط المعيشة السائدة بين أفرادها أو درجة حضارتهم ؟ إننا نشك في وجود شيء من هذا ، ونرجح أن ارتفاع الذكورة في البلاد العربية إنما ينشأ عن نقص تسجيل البنات عند الولادة ، ولا سيما في الأرياف ؛ ولذلك يصل معدل الذكورة بين المزارعين في أكثر البلدان العربية إلى رقم يتجاوز حدود المعقول .

ولعل الرغبة في حرمان البنات من الإرث هو الدافع إلى إغفال تسجيلهن ؛ كما لا نستبعد أن يكون للعادات الجاهلية الموروثة أثر في ذلك ؛ فولد البنت لا يزال يدخل الحزن على الوالدين ، وخاصة في القرى ، حتى يخفيان ذلك عن الناس ، بينما يستقبل المولود الذكر بالبشر والفرح والولائم . وهذه أمثلة عن معدل الذكورة في العالم العربي ، ولا شك أن إحصاءات المملكة الأردنية ومصر هي الأقرب إلى الحقيقة الواقعة .

نسبة المواليد الذكور إلى ١٠٠ من المواليد الاناث

تونس	(١٩٥٢) :	١٣٠
سورية	(١٩٥٣) :	١١٩
العراق	(١٩٥٣) :	١١٥
مصر	(١٩٥١) :	١٠٩
المملكة الأردنية (١٩٥٣) :		١٠٦

معدل الذكور عام ١٩٥٣

١٠٤	محافظة مدينة دمشق
١١٩	دمشق (عدا المدينة)
١٣١	حمص
١٢١	حماة
١٢١	اللاذقية
١٢٤	حلب
١٢٩	الحسكة (الجزيرة)
١٢٣	دير الزور (الفرات)
١٢٢	السويداء (جبل الدروز)
١٢٧	درعا (حوران)
١١٩	جملة سورية

وثمة أفضية ضمن المحافظات تجاوزت فيها الذكورة ١٤٠ مثل : أعزاز : ١٤٢ ، حارم : ١٤٢ ، منبج : ١٤٠ ، أبو كمال : ١٤٨ ، صلخد : ١٥٦ ؛ وقضاء واحد في جميع سورية لم يسجل منذ ١٩٤٧ حتى ١٩٥٣ أكثر من ٩٦ مولوداً ذكراً بالنسبة إلى كل ١٠٠ مولودة أنثى ، وهو قضاء فيق في محافظة درعا .

ومن المستغرب في العراق أن معدل الذكورة فيه بلغ ١١٥ عام ١٩٥٣ وهذا يعني أن بعض المواليد من الاناث ظل مكتوماً ، في حين أن الذكور يسجلون كإناث في كثير من الأحيان . ولم يزد معدل الذكورة عن ١٠٩ في لواء بغداد خلال العام ذاته .

٣ - الظاهرة الموسمية للولادات :

من المهم أن نعرف هل ثمة توافق ما بين مواعيت الزواج ومواقيت الولادة ؟ وتعبير آخر هل هنالك توزيع موسمي للمواليد يتكرر في أكثر السنين ، وإذا وجد فهل يطابق التوزيع الموسمي للزيجات ؟

عام ١٩٤٩

عام ١٩٤٨

مديريات الوجه البحرى :

١٠٢	١٠٥	البحيرة
١٠٦	١٠٦	الدقهلية
١٠٦	١٠٦	الغربية
١٠٩	١٠٨	الشرقية
١٠٦	١٠٤	المنوفية
١٠٤	١٠٧	القليوبية

مديريات الوجه القبلى :

١١٠	١١٠	الجيزة
١١٢	١١٢	الفيوم
١١٦	١١٥	بنى سويف
١٠٥	١٠٧	المنيا
١١٧	١١٥	أسيوط
١٣١	١٢٤	جرجا
١٣١	١٢٤	قنا
١١٠	١٠٨	أسوان
١٠٩	١٠٩	جملة القطر المصرى

والذكورة المصطنعة أشد ظهوراً فى سورية ، فمدينة دمشق سجلت ١٠٤ مولوداً بالنسبة إلى ١٠٠ مولودة عام ١٩٥٣ ، وهو معدل مقبول ؛ ولكن بقية المحافظات السورية - وجلّ سكانها ريفيون - سجلت معدلات تتراوح بين ١١٩ و ١٢٩ :

وتبدو الحركة الموسمية للولادات بشكل واضح في سورية؛ وقد يصل الحد الأعلى الشهري إلى ضعف الحد الأدنى، كما تدل الأرقام التالية:

عام ١٩٥٣	عام ١٩٥٢	عام ١٩٥١
عدد الولادات : ديسمبر: ٨٧٥١	ديسمبر: ١٠٠٣٤	فبراير: ٩٨٥٤
: يونيو: ٥٧٦٤	يونيه: ٤١٨٩	يونيه: ٥٣٧٤
وتدل إحصاءات السنوات ذاتها أن الحد الأعلى للولادة يقع غالباً في الشتاء وخاصة ديسمبر. والحد الأدنى يكون في الصيف وخاصة في يونيه:		

١٩٥٣		١٩٥٢		١٩٥١	
ولادة	زواج	ولادة	زواج	ولادة	زواج
أشهر الحد الأعلى بالترتيب:					
ديسمبر	ديسمبر	يناير	ديسمبر	ديسمبر	ديسمبر
أكتوبر	فبراير	مارس	مارس	نوفمبر	أكتوبر
مايو	نوفمبر	فبراير	يناير	أغسطس	مايو
أشهر الحد الأدنى بالترتيب:					
يوليه	يوليه	يوليه	يوليه	يوليه	يوليه
أغسطس	يوليه	أغسطس	أغسطس	يوليه	أغسطس
يونيه	أغسطس	يوليه	يوليه	أبريل	يونيه
ونوفمبر					

وفي مصر كشفت الإحصاءات الشهرية للمواليد في السنوات ١٩٢٥ - ١٩٤٤ أن نسبة المواليد تهبط أيضاً في الصيف وترتفع في الشتاء؛ وقد حسب الأستاذ السيد عبد الحميد الدالي أن شهرى يناير ومارس كانا بصفة دائمة فوق المتوسط خلال السنوات المذكورة، وأن شهر ديسمبر كان فوق المتوسط في ١٦ سنة من السنوات العشرين المدروسة؛ وأن شهرى يونيه وسبتمبر

ويُظن لأول وهلة أن جواباً جازماً على مثل هذه الأسئلة غير جائز لخضوع مواعيد المواليد إلى عوامل متعذرة الحصر ؛ ولكن الإحصاءات الثابتة في العالم الغربي تبرهن على وجود رابطة زمنية بين الزواج والوضع ، فالأول يتم غالباً في فصل الربيع وتقابله كثرة المواليد خلال فصل الشتاء^(١) . وقد كشفت لنا الإحصاءات العربية رغم مساوئها عن وجود حركة موسمية للزواج ذات صلة ملموسة ببيع المحصول الزراعي ، فمن المعقول أن يتبع ذلك حركة موسمية للمواليد ؛ ويحدث على مرّ الزمان أن تتكون لدى كل شعب دورتان متوازيتان طوال السنة للزواج وللولادة ؛ وهذه أمثلة على ذلك :

تدل إحصاءات لبنان للأعوام ١٩٥١ ، ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ أن الأشهر الثلاثة الأولى والأشهر الثلاثة الأخيرة بحسب الترتيب العددي تتكرر غالباً في الزيجات والولادات ، أي أن أشهر الحد الأعلى وأشهر الحد الأدنى للزواج وللوضع تتوافق أو تختلف شهراً أو شهرين متمشية مع المدة الطبيعية للحمل وتقع الأشهر الكثيرة المواليد في فصل الشتاء غالباً ؛ وتقل الولادة بالإجمال في أشهر يوليه وأغسطس وسبتمبر :

عام ١٩٥٣		عام ١٩٥٢		عام ١٩٥١		
زواج	ولادة	زواج	ولادة	زواج	ولادة	
يناير	يناير	أكتوبر	مارس	يناير	يناير	الحد الأعلى
فبراير	يناير	يناير	مارس	فبراير	فبراير	بالترتيب :
ديسمبر	مارس	فبراير	مايو	أكتوبر	فبراير	
ديسمبر	يناير	يناير	أغسطس	يوليه	يوليه	الحد الأدنى
يوليه	أكتوبر	يوليه	يوليه	سبتمبر	سبتمبر	بالترتيب :
أكتوبر	أغسطس	سبتمبر	سبتمبر	أبريل	أبريل	
أغسطس	أغسطس	أغسطس	سبتمبر			

(١) يلاحظ في أوروبا حد أعلى للولادات في فبراير أو مارس وهو يقابل الحمل في مايو أو يونيو ؛ ويشاهد حد أعلى أقل أهمية في سبتمبر وأكتوبر يقابل الحمل في ديسمبر — يناير (A. Sauvy : La population, p. 79)

نسبة المواليد إلى الزيجات	عدد عقود الزواج	عدد المواليد الأحياء	
٢٥٦	٣١٣,٠٠٠	٨٢٠,٠٠٠	فرنسا (١٩٥٢) :
٢٥٤	١,٥٦٢,٥٧٩	٣,٨٢٤,٠٠٠	الولايات المتحدة (١٩٥٢) :
٤٥٧	١٠,٣١٠	٤٩,٢٢٨	المملكة الأردنية (١٩٥٣) :
٤	٨,٥٠٠	٣٤,٠٧٠	لبنان (١٩٥٣) :
٣٥٧	٢٥٢,٥٢٦	٩٣٤,٠٠٠	مصر (١٩٥١) :
٣٥٥	٢٥,٤٨٣	٨٩,٢٧٧	سورية (١٩٥٣) :

وهذا يعني أن كل زيجة في العالم العربي يقابلها سنوياً ٤ ولادات وسطياً، بينما لا تزيد النسبة في بلاد الغرب عن زيجة في العام لكل ٢٥ أو ٣ ولادات؛ وإذا أخرجنا المواليد غير الشرعيين لعدم صلتهم بعقود الزواج، وجدنا أن نسبة المواليد إلى الزيجات تبلغ في العالم العربي ضعف ما هي عليه في بلاد الغرب . وتبلغ نسبة أبناء السفاح ٢٦٪ من مجموع المواليد في النمسا و ١٦٪ في السويد و ١٤٪ في البرتغال و ١٠ و ٧٪ في الدانمارك .

إلا أن المواليد المسجلة في سنة ما ليست كلها نتيجة للزيجات المعقودة تلك السنة؛ والأجدر أن تنسب المواليد إلى الزيجات في عدة سنوات متعاقبة، ولا سيما وأن بعض السنين تسجل عدداً شاذاً من المواليد أو من الزيجات لأسباب خاصة، فقد سجل مسلمو الجزائر ١٧١,٣٢٤ ولادة عام ١٩٥١ مقابل ١٦١,٥٣٦ زيجة، فتكون النسبة : ٢ ، وهي بلا ريب أقل من الواقع؛ وذلك أن عدداً كبيراً من الزيجات المسجلة ذلك العام كانت معقودة في سنوات سابقة ولكنها ظلت مكتومة .

وهذه نسب المواليد إلى الزيجات في سورية ولبنان ومصر خلال سنوات متتالية :

قد كان كل منهما دون المتوسط في ٩٥ ٪ من الحالات ، ووجد صلة ملبوسة بين الزيجات والمواليد ، وعلّل إرتفاع نسبة الزواج في شهور نوفمبر وديسمبر ويناير من كل سنة بموسم بيع الفلاحين للقطن (١) .

وقد وصلنا إلى النتائج ذاتها من دراسة آخر الإحصاءات التي تهيأت لنا عن التوزيع الشهري للزيجات والمواليد في مصر ، وهي تتعلق بالسنتين ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ، ويتضح منها التقارب الملبوس في مواسم الزواج والولادة :

١٩٤٩		١٩٤٨	
ولادة	زواج	ولادة	زواج
ديسمبر	ديسمبر	يناير	أشهر الحد الأعلى بالترتيب : ديسمبر
يناير	نوفمبر	ديسمبر	أكتوبر
أغسطس	يناير	مارس	يناير
يونيه	يوليه	مايو	أشهر الحد الأدنى بالترتيب : يوليه
مايو	سبتمبر	سبتمبر	سبتمبر
سبتمبر	مايو	يونيه	أبريل

٤ - الخصوبة :

إن نسبة عدد المواليد إلى عدد السكان قد توقع في الوهم ، لأن عدد من هم في سن الزواج وإنجاب الأولاد يختلف من شعب لآخر ، ولمعرفة الخصوبة الحقيقية ابتدعت طرائق عديدة ، منها نسبة المواليد الحادثة في السنة إلى عدد الزيجات المسجلة خلال السنة ذاتها .

ورغم النقص الملحوظ في حصر الزيجات والولادات فإن الإحصاءات المتبينة عن الشعوب العربية تمكنتنا من إتخاذ فكرة قريبة من الواقع عن قوة الإخصاب لديها بالقياس إلى غيرها :

(١) العناصر الحيوية لمشكلة السكان في مصر ؛ ص : ٣٠٥ — ٣٠٨ .

إلى ١٠٠٠ امرأة في سن الإخصاب وهكذا تكون نسبة الخصوبة العامة =

عدد المواليد الأحياء $\times 1000$

عدد الإناث في سن ١٥ - ٤٩

ومن الأمثلة على نسب الخصوبة في العالم:

(أ) شعوب شديدة الخصوبة: (أكثر من ١٠٠ مولود سنوياً لكل

١٠٠٠ امرأة في سن الإخصاب).

فورموزة (١٩٥٢): ١٥٨٥٥

سلقادور (١٩٥٠): ١٥٧٥١

پاناما (١٩٥٠): ١١٤٥٢

(ب) شعوب معتدلة الخصوبة: (من ٧٠ إلى ١٠٠ مولود سنوياً

لكل ١٠٠٠ امرأة في سن الإخصاب)

يوغوسلافيا (١٩٥١): ٩٤٥٣ الولايات المتحدة (١٩٥٠): ٨٠٥٣

كندا : ٩٤٥١ البرتغال (١٩٥١): ٧٩٥١

استراليا : ٨٢ هولندا : ٧٧٥٤

اليابان : ٨١٥٩ فنلندا : ٧٦٥٢

(ج) شعوب ضعيفة الخصوبة: (أقل من ٧٠ مولود سنوياً لكل

١٠٠٠ امرأة في سن الإخصاب).

النرويج (١٩٥١): ٦٥٥١ السويد (١٩٥٠): ٥٩

الدنمارك : ٦٢٥٧ بلجيكا (١٩٥١): ٥٨٥٤

سويسرا : ٦٠ ألمانيا الغربية () : ٤٩٥٨

وليس لأكثر الشعوب العربية إحصاءات يركز إليها عن فئات أعمار

النساء لنستخلص منها عدد القادرات على الحمل وبالتالي نسبة الخصوبة العامة؛

ويمكننا اتخاذ نسبة الخصوبة في مصر كمرآة للخصوبة في جميع العالم العربي،

وهي أشد خصوبة مسجلة في العالم:

السنة	مصر	سورية	لبنان
١٩٤٧	٣٥٢	٣٥٤	٤٥٥
١٩٤٨	٣	٤٥٤	٤٥٨
١٩٤٩	٢٥٩	٤٥٣	٣٥٥
١٩٥٠	٣٥٣	٢٥٩	٣٥٦
١٩٥١	٣٥٧	٣٥٩	٤٥٣
١٩٥٢	—	٣٥٩	٤
١٩٥٣	—	٣٥٥	٣٥٥
المتوسط	٣٥٢	٣٥٧	٣٥٩

وللزيد من الدقة في قياس الخصوبة يمكن حذف الزيجات المعادة وتعدد الزوجات ، وحساب نسبة المواليد الجدد إلى من يتزوجون للمرة الأولى فقط ؛ كما يمكن نسبة المواليد إلى الزيجات المستجدة مضافاً إليها الزيجات المنفصلة بالطلاق أو الوفاة ؛ ولكن الإحصاءات العربية في حالتها الراهنة لا تسمح بإجراء مثل هذه القياسات التفصيلية .

ومن مقاييس الخصوبة نسبة الأطفال دون سن معينة (٥ سنوات أو عشر) إلى مجموع السكان أو إلى الشبان منهم . وخير من ذلك نسبة المواليد الجدد إلى عدد الإناث من السكان ، لأن النساء هن العنصر الأول في الخصوبة ، ولا ضرورة لقياس المواليد الأحياء بالنسبة إلى جميع النساء بل إلى عدد النساء القادرات على الحمل فقط ، وهذا ما يسمى بالخصوبة العامة (Fécondité générale) ؛ والخلاف هو في تحديد حقبة القدرة على الحمل من عمر النساء ، فقد تبدأ في سن الحادية عشرة وتنتهي في سن الستين ؛ ولكن المشاهد أن الخصوبة الطبيعية هي من سن ١٥ إلى سن ٤٩ ، وهو الأساس المتبع في حساب الخصوبة لدى أكثر الدول ؛ وتحسب هذه النسبة عادة بالقياس

إن هذه النسب تدل على الخصوبة السنوية لألف امرأة من كل سن ، فإذا أردنا معرفة مجموع ما تلده ألف امرأة في جميع سنى الخصوبة نجمع نسب الخصوبة السنوية ، وفي الأمثلة السابقة يجب أن نضرب المجموع بخمسة لأن جدول الأعمار موزع على زمر لكل خمس سنوات ، ويسمى الناتج الخصوبة الكلية (Fécondité totale) ؛ فالخصوبة الكلية لألف امرأة في اليابان هي : $64899 \times 5 = 324495$ ، أى أن كل امرأة يابانية تلد في حياتها المخصبة أكثر من ثلاثة أولاد بين ذكور وإناث^(١) .

وهذا جدول الخصوبة في مصر عام ١٩٣٧^(٢) :

نسبة الخصوبة الخاصة	فئات العمر
٨٢	: ١٩ - ١٦
٢٥٠٩٥	: ٢٤ - ٢٠
٣٠١٥٨	: ٢٩ - ٢٥
٢٦١٥٢	: ٣٤ - ٣٠
١٩٦٥٣	: ٣٩ - ٣٥
٥٣٥٢	: ٤٤ - ٤٠
٢٨٥٦	: ٤٩ - ٤٥

الخصوبة الكلية :

$$117396 \times 5 = 586980$$

ومعنى هذا أن كل امرأة مصرية تلد نحو ٦ أولاد بين ذكور وإناث خلال حياتها المخصبة ، بينما تكون النسبة في الولايات المتحدة مثلاً نصف ذلك .

(١) عمدت اليابان عقب الحرب العالمية الثانية إلى إباحة الإجهاض وتعليم المواطنين أساليب عدم الإنسال فسنت قانوناً بذلك عام ١٩٤٨ وأنشأت معهداً لهذه الغاية ؛ وذلك كى تحد من تكاثر السكان بعد أن فقدت ممتلكاتها . وكانت النتيجة أن هبط معدل المواليد من ٣٤ و ٣٣ بالآلاف عام ١٩٤٧ إلى ٢١ و ٢٠ عام ١٩٥٣ وبلغت حالات الإجهاض المشروع ٤٨٩ و ١١١ حالة عام ١٩٤٩ ومليون حالة عام ١٩٥٣ .

(٢) العناصر الحيوية لمشكلة السكان في مصر ، ص : ٢٢٨ ، ٢٣٤ ؛ وقد حسب الحد الأدنى اعتباراً من ١٦ سنة لأن القانون يمنع للزواج دون هذه السن .

مصر :

سنة التعداد	عدد المواليد الأحياء	عدد الإناث في سن	نسبة الخصوبة العامة
		١٥ - ٤٩	
١٩٣٧	٦٩٤,٠٨٦	٣,٨٥١,٨١٩	١٨٠ و ٢
١٩٤٧	٨٣٤,٥٥٧	٤,٧٣٤,٧٨٢	١٧٨ و ٤

وتختلف الخصوبة حسب عمر المرأة ؛ ويمكن حساب الخصوبة لكل فئة من أعمار النساء ، وذلك بأن نقسم عدد المواليد الناتجة عن النساء في زمر السن المختلفة على عددهن في كل زمرة سن ، وهذا ما يسمى بالخصوبة الخاصة (Fécondité spéciale) ومجموعها يؤلف جدول الخصوبة (Table de fécondité) . وأشد خصوبة للمرأة تكون غالباً بين سن ٢٠ - ٣٤ كما هو واضح من الأمثلة التالية :

جدول الخصوبة (نسبة الخصوبة لكل ١٠٠٠ امرأة حسب فئات سنهن)^(١)

فئات السن	الولايات المتحدة	فرنسا	استراليا	اليابان
عام ١٩٥٠	عام ١٩٥١	عام ١٩٥١	عام ١٩٥١	عام ١٩٥١
من ١٠ إلى ١٤ سنة : ٠ و ٩	—	—	٠ و ١	—
من ١٥ إلى ١٩ : ٧٩ و ٤	٢٣	٣٨ و ٢	١٠ و ٧	
من ٢٠ إلى ٢٤ : ١٩٣ و ٦	١٥٤	١٧٧ و ٧	١٤١	
من ٢٥ إلى ٢٩ : ١٦٣ و ٣	١٦٨ و ٣	١٨٥ و ١	٢١٦ و ٤	
من ٣٠ إلى ٣٤ : ١٠١ و ٣	١٢٠ و ٩	١٢٢ و ٢	١٦١ و ١	
من ٣٥ إلى ٣٩ : ٥١ و ٢	٦٣ و ١	٦٥ و ٩	٨٩ و ٤	
من ٤٠ إلى ٤٤ : ١٤ و ٥	٢٢ و ٥	٢٠ و ٥	٢٨ و ٧	
من ٤٥ فما فوق : ١ و ١	٢	١ و ٦	١ و ٦	
٦٠٥ و ٣	٥٥٣ و ٨	٦١١ و ٣	٦٤٨ و ٩	

(١) عن المولية الديموغرافية للأمم المتحدة عام ١٩٥٣ ، ص : ١٤٢ - ١٥٠ .

فى سن الحمل لا إلى المتزوجات منهن فقط ؛ ومن الممكن حساب هذه المقاييس على أساس المتزوجات فى سن الإخصاب (١٥ - ٤٩ سنة) ؛ ونصل فى مصر إلى النتائج التالية عام ١٩٣٧ (١) :

نسبة الخصوبة العامة للمتزوجات = ٢٤٧

نسبة الخصوبة الخاصة للزوجات	فئات أعمار الأمهات
٢٥٥	١٩-١٦
٣٢٢	٢٩-٢٠
٢٥٩	٣٩-٣٠
٥٤	٤٩-٤٠
	٧٨٢٥ : نسبة الخصوبة الكلية للزوجات :
	٣٧٦٣ : نسبة التعويض النظرى للزوجات :
	٢١٥٦ : نسبة التعويض الصافى للزوجات :

أى أن كل امرأة متزوجة تخلف بعدها أكثر من بنتين ، وبذلك ليس ثمة خوف على الأجيال المقبلة من التضائل .

ومن الممكن تصنيف الخصوبة حسب المهن ، فعدد الأولاد قليل نسبياً لدى الموظفين مثلاً وكثير لدى المزارعين ، لأن الموظفين يعتبرون الأولاد عبئاً ينوءون بأكلافه ، أما المزارعون فيرون فى النرية يداً عاملة توازر فى تنمية مواردهم .

والخصوبة فى أغلب الظروف تتبع عكسياً الحالة المالية للأسرة ؛ فلبدينة باريس إحصاء قديم (١٨٩٧) يدل على أن عدد المواليد لكل ١٠٠٠ امرأة فى سن الإخصاب يختلف كما يلى تبعاً لثراء الأسرة أوفقرها (٢) :

(١) العناصر الحيوية لمشكلة السكان فى مصر ، ص : ٢٧٣ - ٢٨٣ .

(٢) A. Sauvy : La population, p. 90

ومن المهم جداً أن نعرف إذا كان النساء في حقبة الإخصاب يلدن عدداً من بنات جنسهن يضمن استمرار النوع البشري .

فلنفرض أن مجموع المواليد الإناث هو ١٠٠٠ طفلة لكل ١٠٠٠ امرأة طوال سنى الإخصاب، فمعنى ذلك أن كل أم تترك بعد وفاتها امرأة تحل محلها، وبذلك يكون تجدد الجيل مضموناً .

فيجب إذن أن نحسب الخصوبة الكلية على أساس المواليد الإناث فقط ، وهذا ما يسمى بمعدل التوالد أو التعويض الإجمالي للإناث

• Taux de reproduction brute ou de remplacement

وهو حاصل ضرب الخصوبة الكلية بنسبة المواليد الإناث إلى مجموع المواليد . وبلغ هذا المعدل في مصر عام ١٩٣٧ : الخصوبة الكلية

$$(٥٨٦٨) \times \frac{\text{عدد المواليد الإناث (٢٤٧٤٢٥)}}{\text{مجموع المواليد (٦٩٤٠٨٦)}} = ٢٨٢٢ \text{ لكل } ١٠٠٠$$

امرأة ؛ أى أن كل امرأة تسلم رسالتها من بعدها إلى ثلاث نساء تقريباً .

ولكن معدل التعويض الإجمالي للإناث هو نظري ، لأنه لا يحسب

حساباً لمن يتوفى من النساء خلال سنى الإخصاب ؛ ولمعرفة معدل التعويض

الحقيقى أو الصافى للإناث (Reproduction nette) لابد من حصر الباقيات

على قيد الحياة من النساء فى كل سنة من سنوات الإخصاب ثم حساب

الخصوبة الكلية على هذا الأساس .

ففى مصر يصل من ألف امرأة إلى سن الإخصاب ٦٢٦ فقط ويحتاج منهم

مرحلة الإخصاب ٤٩٠ ؛ فتوسط حياة الأنثى فى فترة الإخصاب

(١٥ - ٤٩ سنة) ليس ٣٥ سنة بل ١٩٠٣ . ونسبة التعويض الصافى للإناث فى مصر

هى إذن عام ١٩٣٧ : ٢٨٢٢ (معدل التعويض الإجمالى أو النظرى)

$$\times \frac{١٩٠٣}{٣٥} = ١٥٥٦ ، أى ١٥٦ تقريباً لكل امرأة .$$

وعيب مقاييس الخصوبة التى استعرضناها أنها تستند إلى مجموع عدد النساء

أجر السكن الشهري الخصوبة

أكثر من ٥٠ دولاراً	٢
من ٤٠ — ٤٩ د	٢٥٢٣
د ٣٩ — ٣٠ د	٢٥٤٢
د ٢٩ — ٢٠ د	٢٥٨١
د ١٧ — ١٥ د	٣٥١٨
د ١٤ — ١٠ د	٣٥٦٣
د ٩ — ٥ دولارات	٤٥١٧
أقل من ٥ د	٤٥٧٦

والفرق في الخصوبة بين الريفيين وسكان المدن الكبيرة والصغيرة
يتضح من المثال التالي وهو يتعلق بالولايات المتحدة أيضاً (١):

الخصوبة

مدن تضم أكثر من ٢٥٠.٠٠٠ ساكن	٢٥١٦
د د من ٢٥ ألف إلى ٢٥٠ ألفاً	٢٥٤٨
د د من ٢٥٠٠ إلى ٢٥ ألفاً	٢٥٧٣
سكان الريف من غير المزارعين	٣٥١٩
المزارعون	٤٥١٣

٥ — وفيات الأطفال :

تقاس وفيات الأطفال بنسبة المتوفين منهم دون السنة الأولى من العمر

١٠٨	:	فقراء جداً
٩٥	:	فقراء
٧٢	:	ميسورون
٦٥	:	ميسورون جداً
٥٣	:	أثرياء
٣٤	:	أثرياء جداً

وقد أجريت في الولايات المتحدة تحريات جدية أثبتت أن عدد الأولاد في الأسرة يتناسب عكساً مع دخلها ومع درجة ثقافة الوالد والوالدة ، كما يدل المثال التالي وقد قيس فيه الدخل بمقدار الأجر الشهري للسكن^(١) :

<u>عدد الأولاد الوسطي</u>	<u>درجة تعليم الأم</u>
بالنسبة إلى كل امرأة في سن ٤٥ - ٥٤	
١٩٨٤	٤ سنوات جامعية على الأقل
٢٠٠٩	من سنة إلى سنتين جامعتين
٢٠٠٥	٤ سنوات دراسة إعدادية
٢٠٦٢	من سنة إلى ٣ سنوات إعدادية
٣٠٠٦	من ٧ إلى ٨ سنوات دراسة متوسطة وابتدائية
٣٠٩٧	من ٥ إلى ٦ " " " "
٤٠٥٦	من سنة إلى ٤ سنوات في المدرسة
٤٠٨٢	أقل من سنة كاملة في المدرسة

Alfred Sauvy : Théorie générale de la population. (١)

Volume 11, Paris, 1954, p. 126

أرباب المهن الحرة ؛ وفي الجدول التالي يفرض أن وفيات الأطفال هي ١٠٠ لدى الطبقات الغنية :

أرباب المهن الحرة والملاكين وكبار الموظفين	١٠٠
الطبقات الوسطى	١٣٨
العمال الاختصاصيون	١٧٧
العمال العاديون	٢٣٦

ولا نستطيع هنا أيضاً أن نعتدّ بالاحصاءات العربية الرسمية الخاصة بوفيات الرضع ؛ ومن المحقق أن نسبة وفيات الأطفال إلى مجموع الولادات السنوية في البلاد العربية تتجاوز ١٥٠ لكل ألف ؛ ولكن الكثرة من الأطفال يولدون ويموتون دون أن تعلم بهم دوائر التسجيل الحكومية ، ووفيات الرضع المسجلة هي الحادثة في مراكز ذات مكاتب صحية ، والتفاوت الملحوظ في المعدلات بين البلدان العربية إنما ينشأ في حقيقة الأمر عن تفاوت الحصر والتسجيل :

نسبة وفيات الأطفال دون السنة

إلى ١٠٠٠ من المواليد

مدينة عدن	(١٩٥٣)	١٩٧
مصر	(١٩٥١)	١٢٨ و ٩٦
مراكش ^(١)	(١٩٥٢)	١٠٦
المملكة الأردنية	(١٩٥٣)	١٠٠ و ١
الجزائر	(١٩٥٢) مسلمون :	٨٥ و ١
	أوروبيون :	٥٧ و ٣
العراق	(١٩٥٢)	٥٦
سورية	(١٩٥٣)	٤٤

(١) لمجموع السكان الأصليين والأوربيين .

إلى كل ١٠٠٠ طفل ولد حياً، فوق الأجنة لا يدخلون إذن في هذه النسبة (١).

وهذه أمثلة من معدلات الوفيات لدى الأطفال عام ١٩٥٣ (٢).

الدولة
نسبة وفيات الأطفال دون السنة
إلى ١٠٠٠ مولود حي

السويد ١٨٩٧

هولندا ٢٢٩١

بريطانيا ٢٧٥٥

الولايات المتحدة ٢٧٥٩

سويسرا ٢٩٠٨

فرنسا ٣٧٠٨

إيطاليا ٥٨٥٩

البرتغال ٩٥٥٥

شيلي ١١٤٥٣

يوغوسلافيا ١١٦٥٥

برمانيا ٢٣٠٥٥

ولا غرابة أن تتناسب وفيات الأطفال مع الحالة المادية للأبوين، وقد حسب في بريطانيا أن وفيات الأطفال تبلغ لدى العمال ضعف ما تبلغه لدى

(١) يحسب معدل موتى الأجنة Mortinatalité بالنسبة إلى ١٠٠٠ مولود حي . ويختلف هذا المعدل كثيراً لاختلاف التسجيل، فالولادات الميتة بلغت في مصر ٦٢٥٦ عام ١٩٥٠ فيكون معدلها ٦٥٩ بالالف؛ وكان هذا المعدل عام ١٩٥١ ٢٥٥٥ بالالف لدى أوروبا الجزائر ٩٥٠ بالالف فقط لدى المسلمين الجزائريين. وهذه بعض المعدلات في العالم عام ١٩٥٢: كوستاريكا: ٢١٥٧، المارتينيك: ٥٩٦، شيلي: ٣٧٣، عدن: ٥٣٥، فرنسا: ٢٣٥٢، إيطاليا: ٣١٥٤، البرتغال: ٤٢٥٥، الدانمارك: ١٧٥٨، هولندا: ١٨٥٥، سويسرا ١٥٣٠.

(٢) الحولية الإحصائية للأمم المتحدة عام ١٩٥٤، ص: ٥٤ — ٥٧.

سجلت مدينة بغداد عام ١٩٥١ : ١٦٣٦ وفاة من الرضع مقابل ١٠٠٧٧ ولادة ، فتكون نسبة وفيات الأطفال فيها ذلك العام ١٦٢٥٣ بالآلاف^(١) وهي نسبة قريية من الواقع . وبعض الباحثين يقدر وفيات الأطفال دون السنة في العراق بنصف المواليد الأحياء^(٢) .

وكانت نسبة وفيات الأطفال في فلسطين ١٣١ بالآلاف قبل الاحتلال الصهيوني^(٣) ؛ وبلغت هذه النسبة ٢٢٢ بالآلاف في شرقي الأردن عام ١٩٣٠ و ١٧٣ بالآلاف عام ١٩٣٩^(٤) . والمعدل الذي سجلته المملكة الأردنية عام ١٩٥٣ (١٠٠ و ١ بالآلاف) هو أيضاً دون الحقيقة ، ونرى مثلاً أنه يرتفع في قضاء جنين إلى ١٢١ و ٣ بالآلاف ويهبط في قضاء مادبا إلى ٧٠ و ٤ بالآلاف^(٥) .

ويورد شوقاليه ، أنه كان بين ١٠٠ وفاة عام ١٩٤٦ في مدينة تونس نحو من ٢٥ وفاة للأطفال دون السنة ، وفي الجزائر ١٨ عام ١٩٣٦ ، وبلغت نسبة وفيات الأطفال في مراکش ٥٥٥ بالآلاف من مجموع السكان بين ١٩٣٦ و ١٩٤٢ ، أي ما يعادل ٤٠٪ من مجموع الوفيات و ٢٨٠ من كل ألف ولادة^(٦) . ورغم أن الوسطى كان في مراکش عام ١٩٥٢ نحو من ١٠٦ وفاة طفل لكل ١٠٠٠ ولادة ، فقد بلغت النسبة في مدينة فاس ١٥٢ لكل ألف^(٧) .

(١) المجموعة الإحصائية السنوية العامة لسنة ١٩٥٣ ، ص : ٢٢٢

(٢) Worthington : Middle East Science, p. 182

(٣) المصدر السابق ، ص : ١٨٢ ؛ والمعدل الوسطى للسنوات ١٩٣٠ — ٣٤ كان ١٦٣ و ٣ وللسنوات ١٩٣٥ — ٣٩ : ١٤٢ و ٧ (عن الحولية الإحصائية للأمم المتحدة : ١٩٥٤ ، ص : ٤٦) .

(٤) ورثجتون : المصدر السابق ، ص : ١٨٣ .

(٥) النشرة الإحصائية لعام ١٩٥٣ ، القسم الاجتماعي ، ص : ١٨ — ١٩ .

(٦) L. Chevalier : Le problème démographique nord-africain, p. 28 — 30.

(٧) Maroc 54, p. 77

ولا نستغرب الضعف الظاهري لنسبة وفيات الأطفال في سورية إذا علمنا أن هذه النسبة تستند إلى إحصاءات وزارة الصحة والاسعاف العام ، وتشير النشرات الإحصائية السورية إلى أن « وزارة الصحة والاسعاف العام قد توصلت إلى أرقام الوفيات بعد جمعها من الكشوف الواردة من أطباء الصحة المختصين بتسجيل الوفيات . ولما لم يكن لدى بعض القرى النائية ومراكز البدو الرحل أطباء يسجلون الوفيات التي تحدث في هذه القرى والمراكز أدى هذا النقص في التسجيل إلى تباين ظهر من مقارنة هذه الأرقام بتلك الواردة من وزارة الداخلية والمستندة إلى سجلات النفوس ، ^(١) .

وهكذا فإن الوفيات المسجلة من قبل الدوائر الصحية تقل بمقدار الثلث عن الوفيات المقيمة في دوائر النفوس ، وهذه الأخيرة تعدل ثلث الوفيات الواقعة فعلاً كما سنرى .

السنة	بمجموع الوفيات المسجلة في دوائر النفوس	بمجموع الوفيات المسجلة في وزارة الصحة	عدد وفيات الأطفال في السنة الأولى المسجلة في وزارة الصحة	نسبة وفيات الأطفال إلى ١٠٠٠ من المواليد
١٩٥٠	٢٣,٦٢٣	١٥,٣٤٤	٣٤٠٩	٤٧,٩١
١٩٥١	٢٣,٨٤٤	١٦,٣٠٥	٣٣٣٣	٤٠,٩١
١٩٥٢	٢٣,٠٨٢	١٧,٧٦٦	٣٧٥٠	٤٣,٩١
١٩٥٣	٢٤,٩١٢	١٦,٤٠٦	٣٩٢٩	٤٤

غير أن التقديرات تثبت أن نسبة وفيات الأطفال تصل في مدينة دمشق إلى ١٢٠ بالآلاف وترتفع في بعض المناطق الريفية إلى ١٥٠ بالآلاف ، فيكون المعدل الوسطى ١٣٠ بالآلاف ، أي ثلاثة أضعاف المعدل المسجل لدى الدوائر الصحية .

وليست إحصاءات العراق الرسمية أكثر صحة من إحصاءات سورية فيما يتعلق بوفيات الأطفال ؛ وهي على كل حال أقل من ثلث الحقيقة ؛ وقد

(١) المجموعة الإحصائية السورية ١٩٥٣ ، ص : ٤٨

وفيات الأطفال فى المدن الكبرى وتدنيّه فى بعض المناطق الريفية ، ومن المستبعد حقاً أن تكون نسبة وفيات الرضع فى القاهرة ١٩٩ بالآلاف عام ١٩٤٨ ، ولا تصل هذه النسبة إلى أكثر من ٧٩ فى مديرية جرجا :

نسبة وفيات الأطفال دون السنة فى الآلاف من المواليد الأحياء فى مصر (١) :

المحافظات	عام ١٩٤٨	عام ١٩٤٩
القاهرة	١٩٩	١٨٤
الاسكندرية	١٧٥	١٨٤
القنال	١٤٧	١٤٠
دمياط	١٠٩	١٣٧
السويس	١٨٧	١٧٨
أقسام الحدود	١٣٦	١٢٢
الوجه البحرى :		
البحيرة	٠٩٨	٠٩٨
الشرقية	١٢٤	١٢٠
الدقهلية	١٣٦	١٣١
الغربية	١٢٢	١١٣
القليوبية	١٦٦	١٥١
المنوفية	١٦٤	١٦٤
الوجه القبلى :		
أسيوط	١١٤	١٢٢
أسوان	١١٦	١١٦

وكانت معدلات وفيات الأطفال في المدن الليبية كما يلي عام ١٩٥٠ (١) :
بنغازي : ٢٤٩ ، طرابلس : ٢٧٢ ، المرج : ٣٢٧ ، درنة : ٢٢٠ .
وتراوح معدل وفيات الأطفال في مصر بين ٢٨٢ بالآلاف عام ١٩١٨ و ١٢٧ بالآلاف عام ١٩٤٧ ؛ على أن هذا الهبوط لم يكن منتظماً بسبب نقائص التسجيل :

نسبة وفيات الأطفال دون السنة في الألف من المواليد الأحياء في مصر (٢) :

السنة	النسبة	السنة	النسبة	السنة	النسبة
١٩١٧	٢٥١	١٩٢٩	١٥٩	١٩٤١	١٥٠
١٩١٨	٢٨٢	١٩٣٠	١٥١	١٩٤٢	١٦٨
١٩١٩	١٢٨	١٩٣١	١٦٠	١٩٤٣	١٦٠
١٩٢٠	١٣٧	١٩٣٢	١٧٤	١٩٤٤	١٥٧
١٩٢١	١٣٣	١٩٣٣	١٦٢	١٩٤٥	١٥٣
١٩٢٢	١٤٠	١٩٣٤	١٦٦	١٩٤٦	١٤١
١٩٢٣	١٤٣	١٩٣٥	١٦١	١٩٤٧	١٢٧
١٩٢٤	١٥٠	١٩٣٦	١٦٤	١٩٤٨	١٣٩
١٩٢٥	١٥٥	١٩٣٧	١٦٥	١٩٤٩	١٣٥
١٩٢٦	١٤٦	١٩٣٨	١٦٣	١٩٥٠	١٣٠
١٩٢٧	١٥٢	١٩٣٩	١٦١	١٩٥١	١٢٩
١٩٢٨	١٥١	١٩٤٠	١٦٢		

ولا نظن أن وفيات الأطفال في مصر تقل على ١٥٠ بالآلاف ، ونعتقد أن الفرق ينشأ عن نقص التسجيل ، ودليلنا على ذلك هو ارتفاع معدل

(١) H. J. Legg : Libya, p. 16

(٢) الإحصاء السنوي العام طبع ١٩٥٣ ، ص ٧٦ — ٧٧ والإحصاء السنوي للجيب

عام ١٩٥٣ ، ص ١٧ — ١٨

وأهلك الحرب العالمية الثانية من المدنيين والعسكريين في أوروبا وحدها زهاء ٣٥ مليون نسمة ، منهم ١٧ مليوناً في الاتحاد السوفيتي .

والمشاهد في الغرب أن الوفيات أشد في المدن الصناعية منها في الأرياف وهي في بعض الحرف أكثر من غيرها (كالعمال في المناجم مثلاً) . وقد لوحظ أيضاً أن الوفيات بين الرجال أكثر من النساء وبين المتزوجين أقل من العازبين .

ولا أدل على كثرة الوفيات لدى الفقراء من الإحصاء البريطاني التالي ، الذي يفرض أن نسبة الوفيات لدى الطبقات الغنية هي ١٠٠ :

أرباب المهن الحرة وكبار الموظفين والمالكين :	١٠٠ :
الطبقات الوسطى	١٠٨ :
العمال الفنيون	١١٢ :
العمال العاديون	١٢٨ :

وبعض الأمراض يخف أثرها في الوفيات ، بينما البعض الآخر لا يزال يعم في الفتك ؛ فتوسط الوفيات بالسرطان لكل مليون من السكان بلغ النسب التالية (١) :

١٩٣٨-١٩٣٦	١٩٣٠-١٩٢٦	١٩٠٥-١٩٠١	
١٦٣٠	١٤١٣	٩٦٤	بريطانيا
١٦٣٠	١٤٥٣	١٢٨٣	سويسرا
١٣٢٨	١٢٠٠	٩٧٤	هولندا
٨٤٨	٦٣٢	٥٥٣	إيطاليا

ولا تزال الشعوب الآسيوية والأفريقية تسجل أكبر معدلات للوفيات في العالم :

بنى سوييف	١١١	١٢٤
القيوم	١٥٢	١٦٠
جرجا	٠٧٩	٠٧٧
الجيزة	١٥٧	١٤٨
قنا	٠٩١	٨٢
المنيا	١٢٨	١٣٠
الجملة	١٣٩	١٣٥

٦ - المعدل العام للوفاة

يقاس معدل الوفيات (Taux de mortalité) ^(١) بنسبة المتوفين في السنة إلى كل ألف من السكان . ويمكن حساب المعدل ذاته بالنسبة إلى كل سن وللذكور والإناث منفصلين .

ويلاحظ أن الوفيات تختلف من فصل لآخر في السنة ، فوفيات الشيوخ تزداد في موسم البرد وموت الأطفال يشتد في فصل القيظ .

وبديهى أن الشعوب الراقية الآخذة بوسائل الطب الحديث أقل وفيات من الشعوب المتخلفة ، وتتفاوت النسبة أحيانا من ١ إلى ٤ ؛ ففي عام ١٩٥٣ كان معدل الوفيات المسجلة في برمانيا ٣٣٥ بالآلاف بينما لم يزد المعدل في هولندا عن ٧٧ بالآلاف . وعدا بعض السنوات الاستثنائية يلاحظ أن الوفيات تتناقص لدى الأمم كافة ؛ وطبيعى أن الحروب ترفع من معدل الوفيات ، فالجرب العالمية الأولى قضت على ١٢٥ مليون من الأوروبيين وخدمهم ،

(١) للتفريق بين Décès و Mort وبين Mortalité يستعمل بعض الديموغرافيين العرب للكلمة الأخيرة : الموتان أو الموات أو الميتوة .

القطر	معدل الوفيات بالنسبة إلى كل ١٠٠٠ ساكن
عُدن	٤٠ :
برقة	٢٥ :
مصر	٢٧ :
العراق	٣٨ :
لبنان	٢٨ :
فلسطين : مسلمون	٢٠ :
مسيحيون	١٥ :
يهود	٨ :
سورية	٣٤ :
المملكة العربية السعودية:	٥٠ :
شرق الأردن	١٩ :
الساحل المعاهد	٤٥ :
اليمن	٤٢ :

ويقدر « شوفالييه » معدل الوفيات الإجمالي في تونس عام ١٩٤٥ بـ ١٨ و ٧؛ لكنه يبلغ في بعض المدن ٢٢ إلى ٢٥ بالآلاف؛ ويذكر أن معدل الوفيات هبط في الجزائر من ٢٤ بالآلاف عام ١٩٢١ إلى ١٦ بالآلاف عام ١٩٣٦؛ وهو يصل في مراکش إلى ٢٧ و ٢ بالآلاف (بين ١٩٣٨ و ١٩٤٢)^(١)؛ وفي عام ١٩٥٢ تراوح معدل الوفيات في تونس بين ١٧ و ١٩ بالآلاف^(٢).

L. Chevalier : Le problème démographique nord - africain, (١)

pp. 27 — 32.

Tunisie 53, p. 30 (٢)

تقدير المعدل الإجمالي للوفيات بالنسبة إلى ١٠٠٠ من السكان عام ١٩٤٧^(١)

٢٢ إلى ٢٥	:	المعدل العالمي
٢٨ إلى ٣٢	:	آسيا
٢٥ إلى ٣٠	:	أفريقية
١٠	:	أمريكا الشمالية
١٧	:	أمريكا اللاتينية
١٣	:	أوروبا
١٢	:	أوقيانوسيا

وهذه أمثلة عن معدل الوفيات في العالم قبل الحرب العالمية الثانية
وعام ١٩٥٣^(٢) :

١٩٥٣	١٩٣٥-٣٩	١٩٣٠-٣٤	
٢٣٥٢	٢٦٥٥	٢٦٥٢	: غواتيمالا
١٣٥٢	٢٣٥٧	٢٤٥٥	: شيلي
١٢٥٩	١٥٥٧	١٦	: فرنسا
١٢٥٤	١٥٥٩	١٨٥٤	: يوغوسلافيا
١١٥٤	١٢٥٢	١٢٥٢	: بريطانيا
١٠٥٢	١١٥٦	١١٥٧	: سويسرا
٩٥٧	١١٥٧	١١٥٧	: السويد
٩٥٦	١١	١١	: الولايات المتحدة
٨٥٩	١٧٥٤	١٨٥١	: اليابان
٨٥٦	٩٥٨	١٠	: كندا
٧٥٧	٨٥٧	٩	: هولندا

ومن المؤكد أن الشعوب العربية جميعها تأتي في طليعة الشعوب الكثيرة
الوفيات كإندل التقديرات التالية^(٣) :

(١) Rapport préliminaire sur la situation sociale dans le monde.

Nations Unis, p. 12.

Annuaire statistique 1954. Nations Unis, p. 40 — 43. (٢)

Fisher : The Middle East p. 248 (٣)

ولنشرع في تنفيذ الإحصاءات الرسمية لنذكر مبلغ النقص فيها .

في سورية لا تتجاوز نسبة المواليد المصرح بها عن نصف المواليد الحقيقية تقريباً ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، أما نسبة الوفيات المسجلة رسمياً فلا تزيد عن ثلث الوفيات الحادثة في الواقع . ويكفي أن نقارن نسب المواليد والوفيات في سورية جميعها وفي مدينة دمشق وحدها لنتحقق من فداحة النقص في القيود الرسمية للأحوال المدنية وخاصة في المناطق الريفية؛ فلا يعقل مثلاً أن يبلغ معدل الوفيات في العاصمة ضعف ما هو عليه في الأرياف ، مع أن العاصمة تحتكر النصيب الأكبر من سبل المعالجة الطبية والعدد الأكبر من المشافي والأطباء ؛ وواقع القيود الرسمية يسجل معدلاً عاماً للوفيات في سورية ٦٠٩ بالآلاف خلال السنوات ١٩٤٤ - ١٩٥٣ بينما معدل الوفيات في مدينة دمشق بلغ خلال الحقبة ذاتها ١٣٠١ لكل ألف ساكن .

السنة	مجموع سورية		مدينة دمشق	
	معدل المواليد	معدل الوفيات	معدل المواليد	معدل الوفيات
١٩٤٤	١٨٠١	٧٠٩	٣٠٠٣	١٤
١٩٤٥	٢٠٠٧	٧٠٢	٣٠	١٣٠٥
١٩٤٦	٢٠٠٣	٦٠٤	٣٢٠٥	١١٠٥
١٩٤٧	١٤٠٦	٥	٣٠٠٣	١١٠٢
١٩٤٨	١٩٠٢	٦٠٥	٣٥٠٣	١٣٠٢
١٩٤٩	٢٤٠٢	٨٠٥	٣٥٠٤	١٤٠٣
١٩٥٠	٢٢٠٦	٧٠٤	٣٩٠١	١٣٠٧
١٩٥١	٢٥٠٢	٧٠٢	٤٠٠٣	١٣٠٧
١٩٥٢	٢٥٠٧	٦٠٨	٣٦٠٢	١٢٠٦
١٩٥٣	٢٤٠٤	٦٠٨	٣٨٠٧	١٣٠٢

على أن الوفيات المصرّح بها والمثبتة في القيود الرسمية تنقص كثيراً عن المعدلات المقدّرة ، حتى أن بعض البلدان العربية تسجل ظاهرياً أضعف نسب للوفيات في العالم ...

معدل الوفيات المسجلة إلى ١٠٠٠ من السكان

مصر (١٩٥١) : ١٩٥٣

سورية (١٩٥٣) : ٦٥٨ !

المملكة الأردنية (١٩٥٣) : ١٠٥٩

العراق (٥) (١٩٥٢) : ٣٥٦ !

لبنان (١٩٥٣) : ٥٥٤ !

عُدن (*) (١٩٥٣) : ١٢٥٨

تونس (*) (١٩٥٣) : ٨٥٣ !

الجزائر (*) (١٩٥٢) مسلمون : ١٣

أوريون : ٠٩

ليبيا (١٩٥٠) (١) : مدينة بنغازي : ٢٠

طرابلس : ١٧

المرج : ٢٧

درنة : ٢٩

مراكش المحتلة من أسبانيا (٥) : مدينة سبتة : ٩٥١

مدينة مليلية : ٧٥٩

(*) الحولية الإحصائية للأمم المتحدة عام ١٩٥٤ ، وسائر الأرقام محسوبة عن النشرات الإحصائية الخاصة بكل دولة .

(١) H. J. Legg : Libya, p. 16

(*) الحولية الإحصائية للأمم المتحدة عام ١٩٥٤ .

ويجدر أن نلاحظ بأن الوفيات في العالم العربي كله ليست أكثر في المدن منها في الأرياف كما هو الحال في البلاد الغربية ، وذلك للجهل والفقر والمرضى وندرة الأطباء والمشافي في القرى العربية وتوفرها في المدن . ونرجح تقديراً أن معدل الوفيات يختلف في الريف السوري بين ٢٢ و ٢٧ بالآلاف ويتراوح في الحواضر بين ١٥ و ٢٠ بالآلاف ، فيكون المعدل العام ١٨ بالآلاف على أضعف احتمال .

ومن العيب محاولة التكهن عن نسب الوفيات في لبنان لأن إحصاءاته الرسمية أبعد ما تكون عن الواقع ، وقد أشرنا أكثر من مرة إلى ارتياب الدوائر الإحصائية اللبنانية ذاتها بالأرقام المسجلة لديها .

وبما لا شك فيه أن الأحوال الصحية في لبنان أحسن منها في جميع الشعوب العربية ، بالإضافة إلى إنتشار الثقافة والوعي وتوفر الأطباء والمشافي ؛ ومع ذلك فليس معقولاً أن يكون معدل الوفيات فيه أقل مما هو عليه لدى أرقى الشعوب الأوروبية والأمريكية ؛ والنقص في التسجيل نجده في العاصمة بيروت وفي سائر المحافظات .

نسبة الوفيات إلى ١٠٠٠ ساكن

المحافظة	عام ١٩٤٧	عام ١٩٤٨
بيروت	٦٥٥	٦٥٩
جبل لبنان	٥٩١	٦٥٩
لبنان الشمالي	٤٥٧	٥٥٦
الجنوبي	٧٥١	٥٥١
البقاع	٤٥٢	٥٥٥

والإحصاءات الحياتية للمملكة الأردنية في العامين ١٩٥٢ و ١٩٥٣ أدنى إلى الصحة من إحصاءات سورية ولبنان والعراق ، ولكنها مع ذلك لا تتم عن الواقع الراهن ؛ ولا سبيل إلى التصديق مثلاً بأن معدل الوفيات في المملكة الأردنية يقل بمقدار النصف تقريباً عما هو في مصر ...

وإذا استقصينا توزيع الوفيات على المحافظات السورية وجدنا أن حالات الموت تكثر رسمياً حيث يتوافر الأطباء .. وتقل حيث لا أطباء ولا مصاح ، وحيث تحصد الأمراض ألوف المواطنين دون أن يكون هنالك أطباء أو دوائر صحية أو موظفون مسؤولون لتسجيل ذلك . . .

المحافظة	نسبة الوفيات إلى ١٠٠٠ ساكن عام ١٩٥٣
مدينة دمشق	١٣٩٢
دمشق (عدا المدينة)	٨٩٣
حمص	٥٩٣
حماة	٦٩٢
اللاذقية	٤
حلب	٧
الحسكة	٤٩٧
دير الزور	٢٩٣
السويداء	٤٩٥
درعا	١٠٩٧
الجملة	٦٩٨

وإننا لترتاب كل الارتياح في صحة إحصاءات الوفيات لمدينة دمشق ذاتها ، فلا يعقل أن لا يزيد فيها معدل الوفاة عن ١٤ لكل ألف ساكن بينما يصل هذا المعدل إلى ٢٥ في مدينة القاهرة .
ويقدر « ويلرس » معدل الوفيات في الأرياف السورية بحوالي ٢٧ لكل ألف (١) ؛ بينما تؤكد وزارة الصحة السورية أن المعدل العام لا يقل عن ٢٥ لكل ألف (٢) ؛ ويخمن « الكسندر جيب » ، هذا المعدل بعشرين لكل ألف عام ١٩٤٤ (٣) .

(١) J. Weulersse : Paysans de Syrie. p. 243

(٢) التقرير الصحي العام لسنة ١٩٤٤ ، ص : ٩٤

(٣) The Economic Development of Syria 1946

نسبة عن سكان سورية ، ومع ذلك كانت الوفيات المسجلة في العراق أقل منها في سورية خلال العامين ١٩٥١ و ١٩٥٢ :

العام	سورية	العراق	مدينة بغداد
١٩٥١	٢٣٨٤٤	١٨٤٩٠	٥٤٣٤
١٩٥٢	٢٣٠٨٢	١٧٥٧١	٥٨٠٩
١٩٥٣	٢٤٩١٢	٢٩٢٧٥	٦٠٠٨

ومن حسن طالع الدراسات الديموغرافية الناشئة في بلادنا أن إحصاءات مصر محدودة النقص نسبياً ، ولولا ذلك لما استطعنا تكوين فكرة قريبة من الواقع عن أحوال السكان في العالم العربي .

ورغم أن أرقام الوفيات منذ ١٩١٧ حتى ١٩٥١ لا تدل على اتجاه ثابت مستمر ، فهي تكشف على كل حال أن معدل الوفاة لم ينقص عن ٢٠ بالآلاف إلا منذ ١٩٥٠ :

مصر : نسبة الوفيات إلى ١٠٠٠ من السكان

السنة	النسبة	السنة	النسبة	السنة	النسبة
١٩١٧ :	٢٩٥٤	١٩٢٩ :	٢٧٥٦	١٩٤١ :	٢٥٥٧
١٩١٨ :	٣٩٥٦	١٩٣٠ :	٢٤٥٩	١٩٤٢ :	٢٨٥٣
١٩١٩ :	٢٩٥٤	١٩٣١ :	٢٦٥٦	١٩٤٣ :	٢٧٥٧
١٩٢٠ :	٢٨	١٩٣٢ :	٢٨٥٥	١٩٤٤ :	٢٦
١٩٢١ :	٢٥	١٩٣٣ :	٢٧٥٥	١٩٤٥ :	٢٧٥٧
١٩٢٢ :	٢٥٥١	١٩٣٤ :	٢٧٥٨	١٩٤٦ :	٢٥
١٩٢٣ :	٢٥٥٨	١٩٣٥ :	٢٦٥٤	١٩٤٧ :	٢١٥٥
١٩٢٤ :	٢٤٥٩	١٩٣٦ :	٢٨٥٨	١٩٤٨ :	٢٠٥٤
١٩٢٥ :	٢٦٥٥	١٩٣٧ :	٢٧٥١	١٩٤٩ :	٢٠٥٦
١٩٢٦ :	٢٦٥٧	١٩٣٨ :	٢٦٥٣	١٩٥٠ :	١٩٥١
١٩٢٧ :	٢٥٥٢	١٩٣٩ :	٢٥٥٩	١٩٥١ :	١٩٥٣
١٩٢٨ :	٢٦٥٣	١٩٤٠ :	٢٦٥٣		

المملكة الأردنية : نسبة الوفيات إلى ١٠٠٠ ساكن

الأقضية	عام ١٩٥٢	عام ١٩٥٣
عمان	٥٥٤	٦٥٥
السلط	٩	٨٥٦
مادبا	١١٥٧	٧٥٩
إربد	١١٥٦	١١
عجلون	١٣	١٠٥٢
جرش	٢١٥٥	١٧٥٩
الكورة	—	١٦٥٧
الكرك	١٦٥٩	١٧
الطفيلة	١٧٥٣	٢١٥٥
معان	١٠٥٥	١٠٥١
العقبة	—	٦٥٢
القدس	١٤٥٣	١٤٥١
رام الله	١٢٥٦	١٠٥٣
بيت لحم	٧٥٥	٧٥٤
أريحا	٣٥٩	٨
نابلس	١٢٥٦	١١٥٧
جنين	١٤٥٦	١٣٥٨
طولكرم	١٠٥٤	٨٥٩
الخليل	١٢٥٩	١٣٥١
المجموع العام	١١٥٢	١٠٥٩

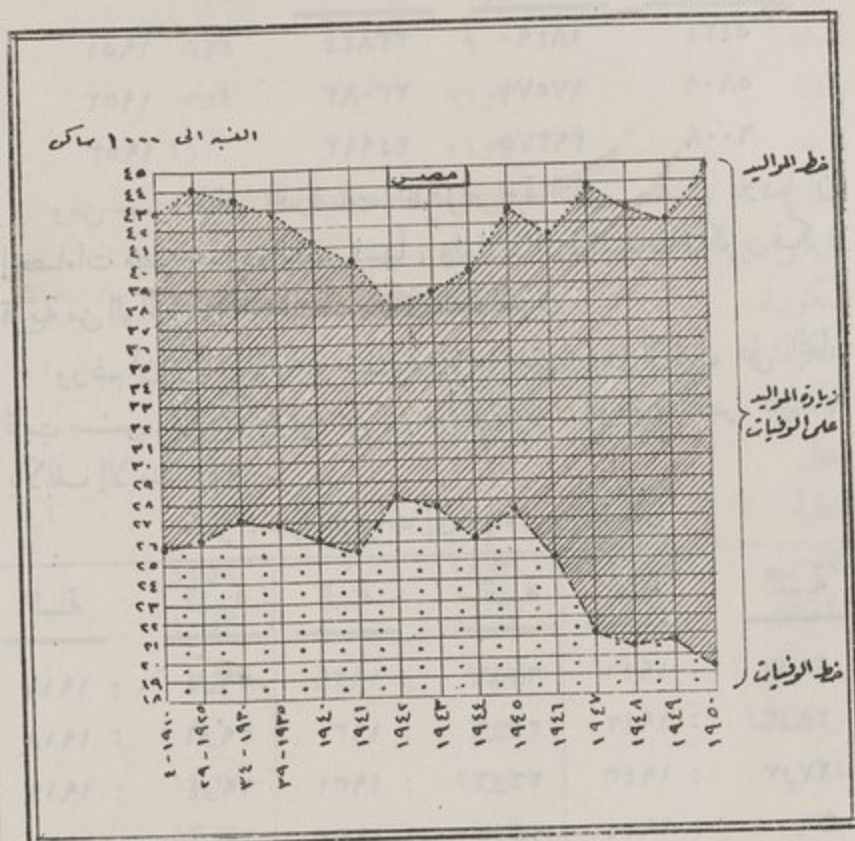
ومن الأكد أن إحصاءات العراق تنقص عن سدس الواقع من ناحية الوفيات ... فليس طبعياً أن تشتمل مدينة بغداد على ٧٪ فقط من سكان العراق وتبلغ الوفيات فيها ٢٠ — ٣٠٪ من جملة الوفيات المسجلة في القطر كله . . . وبينما لا يصل معدل الوفاة في مجموع المملكة إلى ٤ بالآلاف يرتفع في العاصمة إلى ١٨ بالآلاف . . ثم أن سكان العراق يزيدون ١٥٥ مليون.

ولا شك أن الموت أشد فتكاً في القرى لضعف العناية الصحية ، ولكن الإحصاءات المصرية لا تكشف عن ذلك إلا في بعض المديرية الريفية كالمنوفية والقليوبية ، ولولا نقص التسجيل لما بدت الوفيات في القاهرة ضعف ما هي عليه في قنا مثلاً :

نسبة الوفيات إلى ١٠٠٠ من السكان

عام ١٩٤٩	عام ١٩٤٨		المحافظات :
٢٣ و ٢	٢٤ و ٨	القاهرة	
٢٣ و ٥	٢١ و ٥	الاسكندرية	
١٩ و ٩	٢٠ و ٨	القنال	
١٨ و ٤	١٧ و ٨	دمياط	
٢٧ و ٥	٢٧ و ٥	السويس	
١٦	١٦ و ٤	أقسام الحدود	
١٦ و ٨	١٦ و ٧	البحيرة	الوجه البحري :
٢١ و ١	٢١ و ٢	الشرقية	
٢٢ و ٧	٢٢	الدقهلية	
٢٠	١٩ و ٥	الغربية	
٢٥	٢٧ و ٢	القليوبية	
٢٨ و ٣	٢٦ و ٤	المنوفية	
١٩ و ٧	١٨ و ٧	أسيوط	الوجه القبلي :
١٦ و ٨	١٦ و ٨	أسوان	
١٩ و ٢	١٨	بنى سويف	
٢٤ و ٣	٢٣ و ٨	الفيوم	
١٤ و ٤	١٣ و ٧	جرجا	
٢٣ و ٨	٢٤ و ٢	الجزيرة	
١١ و ٨	١١ و ٩	قنا	
١٩ و ٨	١٩ و ٤	المنيا	
٢٠ و ٦	٢٠ و ٤		الجملة :

ولا مجال لفرض دورة للوفيات منتظمة تتكرر كل سنتين أو ثلاثة .
فالفروق بين الحد الأعلى والحد الأدنى قد تكون ناجمة عن عمليات التسجيل
أو عن ظروف اقتصادية طارئة تزيد أو تنقص من نسب الوفاة .



وكنا رأينا أن المسلمين هم أكثر توالداً من المسيحيين والموسويين ؛
والملاحظة ذاتها صحيحة بالنسبة للوفيات :

معدل الوفيات إلى ١٠٠٠ ساكن في مصر

عام ١٩٤٩	عام ١٩٤٨	
٢١٩١	٢٠٥٩	المسلمون
١٥٥٢	١٥	المسيحيون
١١	١٢	اليهود

جدول الوفيات حسب الأعمار في مصر والولايات المتحدة بالنسبة
إلى كل ١٠٠٠ ساكن من كل عمر

مصر (١٩٤٧)			الولايات المتحدة الأمريكية (١٩٥٠)			
ذكور	إناث	المجموع	ذكور	إناث	المجموع	
٢٣٥٥	١٩٥٦	٢١٥٥	١١	٨٥٢	٩٥٦	جميع الأعمار
٢١٩٥٢	١٩٧٥٣	٢٠٨٥٤	٣٧٥٦	٢٨٥٧	٣٢٥٣	أقل من سنة
٥٢٥٣	٤٧٥٢	٤٩٥٧	١٥٥	١٥٣	١٥٤	من ١ إلى ٤
٥٥٩	٤٥٧	٥٥٣	٥٧	٥٥	٥٦	من ٥ إلى ٩
٥	٣٥٥	٤٥٣	٥٧	٥٤	٥٦	من ١٠ إلى ١٤
٥٥٢	٣٥٥	٤٥٣	١٥٤	٥٨	١٥١	من ١٥ إلى ١٩
٧٥١	٤٥١	٥٥٦	١٥٩	١	١٥٥	من ٢٠ إلى ٢٤
٨٥٦	٥٥٥	٦٥٩	٢	١٥٢	١٥٦	من ٢٥ إلى ٢٩
١٠٥٨	٨٥٢	٩٥٥	٢٥٤	١٥٦	٢	من ٣٠ إلى ٣٤
١٢٥٤	٨٥١	١٠٥٢	٣٥٣	٢٥٣	٢٥٨	من ٣٥ إلى ٣٩
١٤٥٢	٩٥٩	١٢٥١	٥٥٣	٣٥٥	٤٥٤	من ٤٠ إلى ٤٤
١٥٥٢	٨٥٧	١٢	٨٥٤	٥٥٢	٦٥٨	من ٤٥ إلى ٤٩
٢٠٥٣	١٢٥٧	١٦٥٣	١٣٥١	٧٥٧	١٠٥٤	من ٥٠ إلى ٥٤
٢٢٥١	١١	١٦٥٥	١٩٥٨	١١٥٣	١٥٥٦	من ٥٥ إلى ٥٩
٣٠٥٣	١٨	٢٣٥٦	٢٩	١٧٥٤	٢٣٥٢	من ٦٠ إلى ٦٤
٥٠٥٢	٣١٥٥	٤٠٥٩	٤٠٥٩	٢٥٥٨	٣٣٥١	من ٦٥ إلى ٦٩
٧٠٥٧	٤٥٥٧	٥٦٥٧	٦٠٥١	٤٢٥٧	٥١	من ٧٠ إلى ٧٤
١٣٤٥٢	١٠٥٢	١١٧	٨٩٥٩	٦٩٥٩	٧٩٥٢	من ٧٥ إلى ٧٩
١٨٣٥٦	١٤١٥٧	١٥٨٥٤	١٢٩٥٨	١٠٧٥٢	١١٧٥٤	من ٨٠ إلى ٨٤
٦٦٤٥٨	٧٢٣	٦٨٩٥٩	٢١١٥٧	١٨٨٥١	١٩٧٥٨	٨٥ فما فوق

المصدر: الحولية الديموغرافية لعام ١٩٥٣، ص: ١٧٦، ١٨٠

بقي أن نعرف إذا كانت الإحصاءات العربية تستطيع أن تثبت زيادة معدل الوفيات بين الرجال عنه بين النساء كما هو مشهور في العالم أجمع .
وفي الواقع نجد هذا التفاوت في المنية عند الشعوب العربية أيضاً ؛ وتكشف عنه الإحصاءات في أكثر السنين ، على ماها من تباين في حصر الإناث والذكور :
معدل الوفيات بالآلاف من كل نوع

إناث	ذكور	
٢٠	٢٣	١٩٤٧ مصر :
١٩	٢٢	١٩٤٨
١٩	٢٢	١٩٤٩
١٨	٢٠	١٩٥٠
١٨	٢١	١٩٥١
٥٥٨	٨٥٤	١٩٥١ سورية (١) :
٥٥٦	٧٥٧	١٩٥٢
٥٥٨	٧٥٧	١٩٥٣
١١٥٢	١١٥٢	١٩٥٢ المملكة الأردنية :
١١	١٠٥٣	١٩٥٣

٧ - أمل الحياة وأمل الحياة :

لا غرابة في اختلاف معدل الوفيات تبعاً للسن ؛ ويمكن حساب هذا المعدل لكل فئة من الأعمار . ومن المثاليين التاليين يتضح جلياً أن نسبة الوفيات تكون شديدة عند الأطفال دون السنة وعند الشيوخ الذين تجاوزوا السبعين ، وتقل الوفيات بعد السنة الأولى حتى تصل إلى حدها الأدنى في سن ١٠ - ١٥ وتأخذ بالتزايد البطيء حتى الخمسين ثم ترتفع باضطراب حتى نهاية العمر ؛ وفي جميع مراحل الحياة تظل وفيات النساء أقل من وفيات الرجال (٢) .

(١) كان معدل وفيات الذكور في مدينة دمشق عام ١٩٥٣ : ١٣ر٣ بالآلف ومعدل وفيات الإناث ١٣ بالآلف .

(٢) يستثنى من ذلك مرحلة ما بعد الخامسة والثمانين في مصر سنة ١٩٤٧ .

فرانسا (١٩٤٦ - ١٩٤٩) مصر (١٩٣٦ - ١٩٣٨)

السن	ذكور	إناث	ذكور	إناث
٦٥	٥٩٣	٧١٢	٢٦٦	٣٨٢
٧٠	٤٨٤	٦٢٤	٢٠٣	٣٢٤
٧٥	٣٤٨	٤٩٧	١٣٢	٢٤٢
٨٠	٢٠٤	٣٣٦	٦٦	١٤٦
٨٥	٨٧	١٧٤	٢١	٦٠

جدول البقاء في مصر وفرنسا . المصدر : الحولية الديموغرافية لعام ١٩٥٣ ، ص : ٣٠٤ ، ٣١٥ .

وبدل هذان الجدولان بوضوح أن نصف الذكور في مصر يتوفون حتى سن ٣٤ ونصف الإناث يعيشون حتى سن ٤٧ . فالسن التي لا يبقى فيها من المواليد سوى نصفهم ندعوها بالحياة المحتملة أو الوسيطة

(Vie probable ou médiane)

ومن الممكن أيضاً تتبع المواليد في مراحل العمر المختلفة وإخراج من يتوفى منهم في كل سن وتسجيل الباقيين حتى فنائهم جميعاً . وقائمة مثل هذه ندعوها بجدول البقاء أو التعمير (Table de Survie) ، وهو في الواقع تطبيق لجدول نسب الوفيات حسب الأعمار على ١٠٠٠ مولود من بدء الحياة حتى نهايتها . وإليك مثالين للباقيين على قيد الحياة في مصر وفرنسا من ألف مولود :

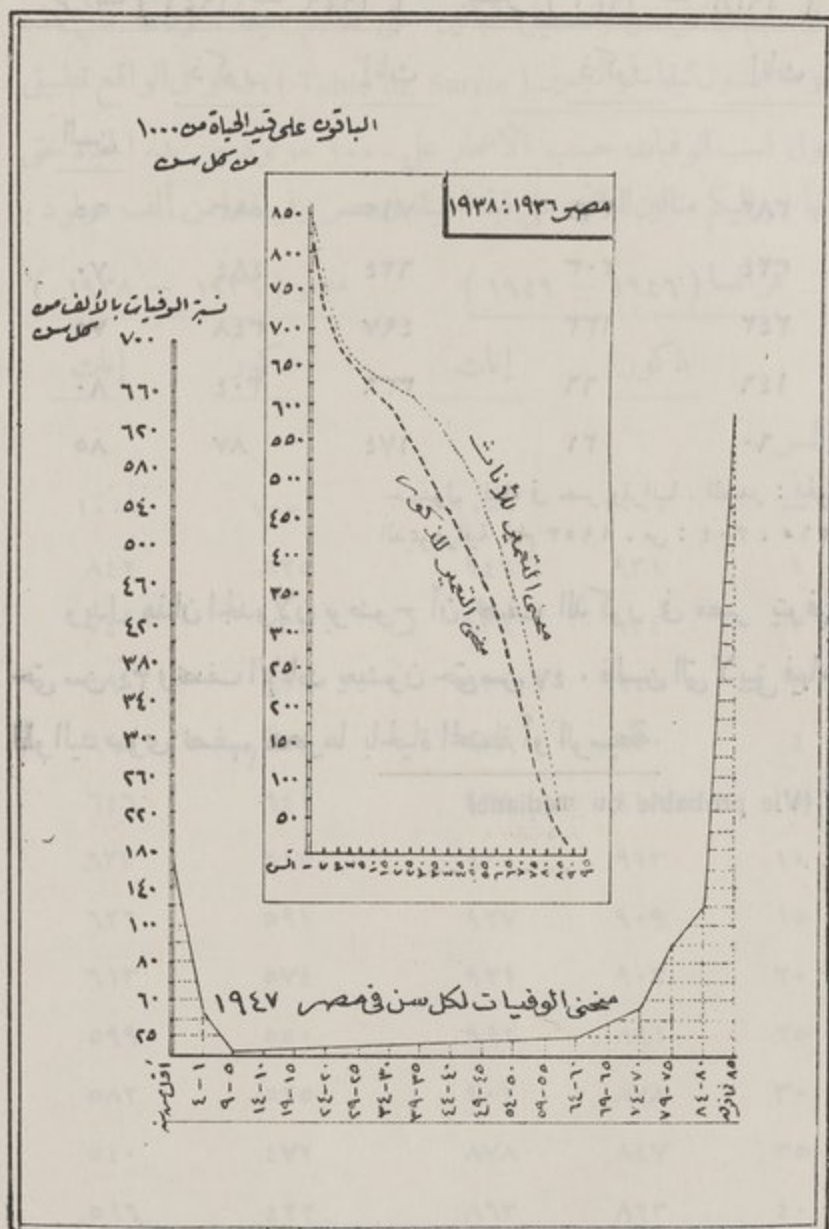
مصر (١٩٣٦ - ١٩٣٨)		فرنسا (١٩٤٦ - ١٩٤٩)		السن
ذكور	إناث	ذكور	إناث	
١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	—
٨٤٢	٨٢٥	٩٤٦	٩٣١	١
٧٤١	٧٣٢	٩٣٩	٩٢٤	٢
٦٩٠	٦٧٩	٩٣٧	٩٢١	٣
٦٦٨	٦٥٤	٩٣٦	٩٢٠	٤
٦٤٦	٦٤١	٩٣٤	٩١٨	٥
٦٣٣	٦١٧	٩٣٠	٩١٣	١٠
٦٢٦	٥٩١	٩٢٧	٩٠٩	١٥
٦١٣	٥٧٤	٩٢١	٩٠٢	٢٠
٥٩٩	٥٥٠	٩١٢	٨٩١	٢٥
٥٨٢	٥٢٥	٩٠٢	٨٧٨	٣٠
٥٤٠	٤٧٢	٨٧٨	٨٤٧	٣٥
٥١٦	٤٢٢	٨٦٣	٨٢٣	٤٠
٤٩٠	٤٠٧	٨٤٢	٧٨٩	٥٠
٤٦١	٣٦٧	٨١٣	٧٤٢	٥٥
٤٢٤	٣٢٠	٧٧٢	٦٧٩	٦٠

فاذا قلنا أن الحياة المحتملة في الولايات المتحدة هي ٧٢ سنة فنحن نستنتج من ذلك أن كل وليد في ذلك البلد له حظ من اثنين أن يعيش حتى تلك السن .

وثمة نسبة ندعوها بالعمر المتوسط (Age moyen) وهي حاصل قسمة مجموع أعمار المواطنين على عددهم . ويبلغ هذا العمر المتوسط ٦٤ في الولايات المتحدة و ٥٤ في فرنسا ، وهو في مصر ٣١ سنة للذكور و ٣٦ للإناث .

أما الحياة الوسطى أو أمل الحياة Vie moyenne ou espérance de vie فهو العدد الوسطى للسنوات التي يمكن أن يعيشها الفرد منذ الولادة أو بعد بلوغه سنًا معينة ، بالاستناد إلى نسب الوفيات للأحقاب المتعاقبة من العمر . ويحصل عليه بجمع عدد الباقيين على قيد الحياة في كل سن وتقسيم ذلك على العدد المبدئي للأحياء . فلنفرض أن عدد المواليد كان ع ، بقى منهم في السنة الأولى ب ، وفي السنة الثانية ب_٢ وفي السنة الثالثة ب_٣ الخ ... فإن أمل الحياة هو $\frac{ب_١ + ب_٢ + ب_٣ + \dots}{ع}$ ؛ ويضاف إلى الحاصل ب_١ لقاء الحقة الواقعة بين الولادة وبين تمام السنة الأولى .

ففي مصر مثلاً يكون أمل الحياة للمواليد الذكور ٦٥ و ٣٥ سنة وللإناث ٤٨ و ٤١ ؛ وبما أن الوفيات تكون كثيرة قبل السنة الأولى من العمر فإن الذين يبلغونها أو يجتازونها لهم أمل أكبر في البقاء ؛ ولذلك فإن أمل الحياة لمن هم في السنة الأولى من العمر في مصر هو ٢٠ و ٤٢ للذكور و ١٤ و ٤٨ للإناث ؛ وقد رأينا فيما سبق أن نسبة الوفيات تهبط بالتدريج حتى سن ١٠ - ١٥ ؛ وهذا يعني أن أمل الحياة يزداد حتى هذه السن ثم يعود بعدها إلى التناقص . كما يدل الجدول التالي :



وأمل الحياة يزداد بصورة مستمرة كما تدل الاحصاءات التالية :

أمل الحياة عند الولادة للذكور			
عام ١٩٣٥	عام ١٩٠٠	عام ١٨٥٠	
٦٣	٥٢	٤١	السويد
٥٩	٤٧	٤٠	بريطانيا
٥٥	٤٦	٣٩	فرنسا
٦٥	٤٩	٣٦	هولندا

وفيما عدا مصر ليس للبلاد العربية احصاءات تفصيلية موفورة تسمح بحساب معدلات الآجال واحتمالاتها . ونستخلص من احصاءات المملكة الأردنية لعام ١٩٥٣ أن عدد الأطفال الذين يموتون حتى تمام السنة الأولى يعدل ثلث مجموع الوفيات ، وأن أحقاب العمر الناجية نسبياً من غائلة الموت هي : ٦ - ١١ سنة ، ١١ - ٢٠ سنة و ٢١ - ٥٠ سنة :

الأردن : النسبة المئوية من مجموع الوفيات عام ١٩٥٣	
السن :	
من ٠ إلى سنة :	٣٣ و ٨
من ٢ إلى ٥ :	٢٥
من ٦ إلى ١٠ :	٣ و ١
من ١١ إلى ٢٠ :	٣ و ٣
من ٢١ إلى ٥٠ :	١٢ و ٣
أكثر من ٥٠ سنة :	٢٢ و ٥
	١٠٠

ومتوسط الوفيات المصرح بها في سورية خلال السنوات ١٩٤٧ - ١٩٥٣ يدل على أن ٤٥٪ من الوفيات تخص بأطفال دون الخامسة من العمر . وقد

٢٤٠ أحوال السكان

أمل الحياة في مصر لأحقاب العمر المختلفة (١٩٣٦-١٩٣٨)

السن	أمل الحياة	السن	أمل الحياة
ذكور	إناث	ذكور	إناث
٣٥	٢٩٥٥	٣٥	٤١٥٥
٤٠	١٦٥١	٤٠	٤٨٥١
٤٥	٢٢٥٧	٤٥	٥٣٥٦
٥٠	١٩٥٤	٥٠	٥٦٥٥
٥٥	١٦٥٢	٥٥	٥٧٥٤
٦٠	١٣٥٢	٦٠	٥٨٥٣
٦٥	١٠٥٤	٦٥	٥٤٥٤
٧٠	٧٥٨	٧٠	٥٠٥١
٧٥	٥٥٧	٧٥	٤٦٥١
٨٠	٤٥٧	٨٠	٤٢٥٣
٨٥	٢٥٨	٨٥	٣٨٥٢

المصدر : الحولية الديموغرافية لعام ١٩٥٣ ، ص : ٧٢٤

وهذه أمثلة عن أمل الحياة عند الولادة وفي سن الستين لبعض الشعوب :

أمل الحياة عند الولادة أمل الحياة في سن الستين

ذكور	إناث	ذكور	إناث
٣٧٥٩	٣٩٥٨	١٣	١٤٥٤
٤٧٥١	٥٣٥٢	١٢٥٤	١٥٥٢
٦١٥٩	٦٥٥٧	١٥	١٧٥٧
٦٣٥٦	٦٩٥٣	١٥٥١	١٨٥١
٦٧	٧٢٥٥	١٥٥١	١٨٥٥
٦٦٥٣	٧٠٥٨	١٦٥٥	١٨٥٦

المصدر : الحولية الاحصائية لعام ١٩٥٤ ، ص : ٤٩ - ٥٣

٨- مواسم المنية :

إن توزع الوفيات على أشهر السنة يظهر أثر المناخ في ارتفاع المعدل أو هبوطه ؛ إلا أن الحرارة قد تختلف من عام لآخر اختلافاً بيناً وتبدل تبعاً لها مواسم المنية . وبالإجمال يكون للموت حد أعلى في الشتاء حين يقرس البرد وفي الصيف حين يتلظى الحر ؛ وقد يطغى أحد الموسمين على الآخر في بلد ما أو في سنة ما وفقاً للشرائط الطبيعية المحلية أو تبعاً لتبدلات الطقس الطارئة ؛ ففي مصر مثلاً يبرز موسم الصيف لاعتدال فصل الشتاء ، بعكس لبنان الجبلي ذى الشتاء المثلج القار ؛ إلا أنه يصدف في لبنان أيضاً أن يقع الحد الأعلى الأكبر للوفيات في شهر من الصيف إذا بلغ القيظ ذلك الشهر حداً غير محتمل . ويبدو أن أفكك مواسم الموت في سورية والمملكة الأردنية هو الشتاء ، ويأتى موسم الصيف بالدرجة الثانية . وعلى العموم يكون فصل الشتاء موسم وفاة الطاعنين في السن وفصل الصيف موسم موات الأطفال .

ونستطيع أن نستنتج من إحصاءات مصر أن السنة تنقسم فيها إلى شطرين غير متساويين ، فيرتفع معدل الوفيات في أشهر مايو ويونيه ويوليه وأغسطس وأحياناً سبتمبر ، ويهبط في سائر الأشهر :

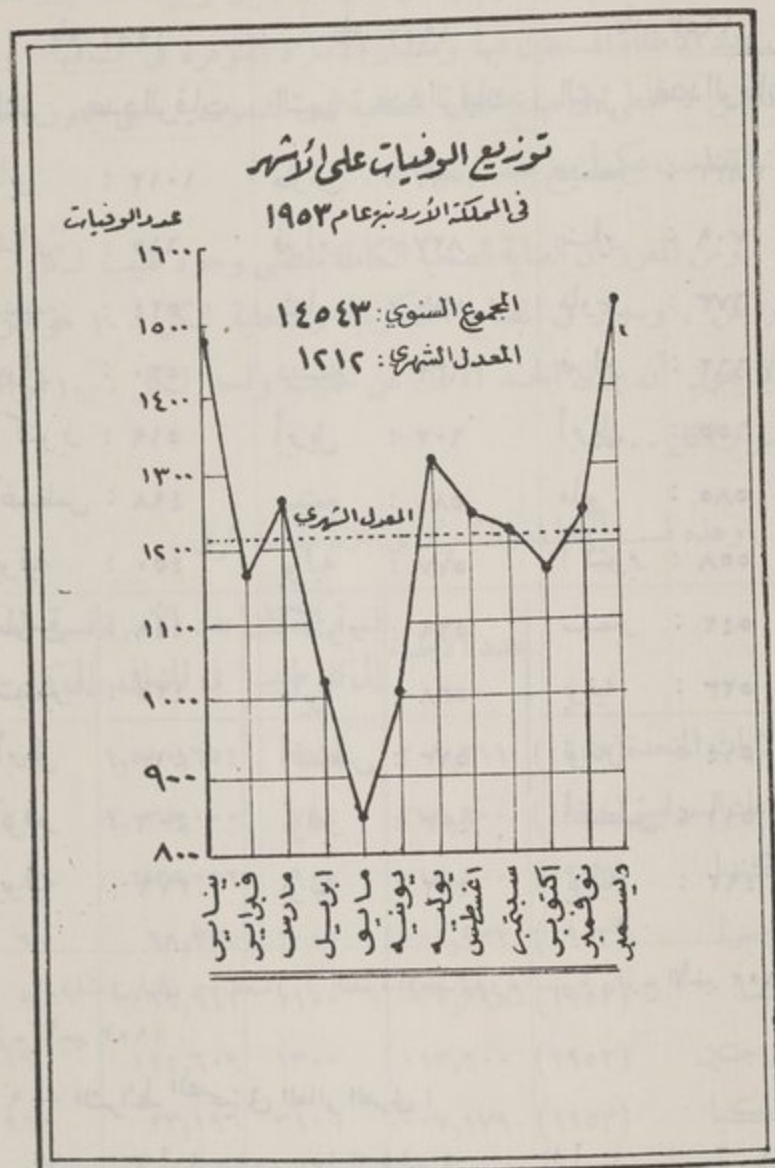
عام ١٩٥٣	عام ١٩٥٢
المعدّل الشهري : ٢٠٧٦	المعدّل الشهري : ١٩٢٣
الأشهر بالترتيب - عدد الوفيات	الأشهر بالترتيب - عدد الوفيات
١ - فوق المعدّل :	١ - فوق المعدّل :
ديسمبر : ٢٥٠٣	يناير : ٢٣٤٠
مارس : ٢٣٥٥	مارس : ٢٢٩٧
فبراير : ٢٣٣١	فبراير : ٢٢٧١
يوليه : ٢١٩٣	ديسمبر : ٢١٥٣
يناير : ٢١٥١	أبريل : ١٩٩٧
أبريل : ٢١٣٨	ب - دون المعدّل :
ب - دون المعدّل :	يوليه : ١٩٠٧
سبتمبر : ٢٠٥٢	أكتوبر : ١٨٤٨
مايو : ٢٠٠٠	سبتمبر : ١٧٦٧
أغسطس : ١٨٥٧	نوفمبر : ١٧٦١
أكتوبر : ١٨٤٥	مايو : ١٧٥٥
نوفمبر : ١٨٠٧	أغسطس : ١٦١٨
يونيه : ١٦٨٠	يونيه : ١٣٦٨

توزيع الوفيات على الأشهر في سورية . المصدر : نشرة الإحصاءات
الشهرية العامة ، كانون الثاني / شباط عام ١٩٥٤ و كانون الثاني عام ١٩٥٥

عام ١٩٤٨ . المعدل الشهري: (٣٣١٦٥)	عام ١٩٤٩ . المعدل الشهري: (٣٤٢١٠)
الأشهر بالترتيب : عدد الوفيات	الأشهر بالترتيب : عدد الوفيات
١ - فوق المعدل:	١ - فوق المعدل:
يوليه : ٤٥٤٨٧	يوليه : ٤٧٤١٢
أغسطس: ٤٤٨١٦	يوليه : ٤٦٠٦١
يونيه : ٤٢١٨٣	مايو : ٤١٢١٩
سبتمبر : ٣٦٥٤٤	أغسطس: ٣٦٩٤٥
مايو : ٣٣٢٨٠	
ب - دون المعدل:	ب - دون المعدل:
أكتوبر: ٣١٩٦٥	سبتمبر : ٣٢٢٩٥
ديسمبر : ٣٠٨٢٤	يناير : ٣١٨٩٨
نوفمبر : ٢٩١٨١	أبريل : ٣٠٢٣٤
مارس : ٢٦٨٦١	مارس : ٢٩٣٢٠
يناير : ٢٦٤٣٧	فبراير : ٢٨٢٦٥
فبراير : ٢٥٥٠٧	أكتوبر: ٢٨٢٥٨
أبريل : ٢٤٧٩١	ديسمبر : ٢٧٩٠٥
	نوفمبر : ٢٥٧٨٧

توزع الوفيات على الأشهر في مصر . المصدر : الإحصاء السنوى العام طبع ١٩٥٣ .

وفي سورية حدان بارزان للوفاة يقع أعلاهما دائماً في الشتاء كما تدل إحصاءات عامى ١٩٥٢، ١٩٥٣؛ ويكون فعل المناخ أشد حين تتبدل الحرارة فجأة فيتأثر الجسم البشرى بالحرارة الملتبئة يعقبها برد غير منتظر أو بالعكس .



وفي السنوات ١٩٥١ ، ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ ، وقعت أكثر الوفيات في لبنان خلال أشهر ديسمبر ويناير وفبراير ومارس ؛ ويلاحظ عام ١٩٥١ وجود حد أعلى رئيسي في مايو :

وكان ترتيب الوفيات حسب الأشهر في المملكة الأردنية عام ١٩٥٣
كما يلي :

الشهر	عدد الوفيات
ديسمبر :	١٥٦٩
يناير :	١٤٧٢
يوليو :	١٣١٧
مارس :	١٢٧٠
نوفمبر :	١٢٥٤
أغسطس :	١٢٣٥
سبتمبر :	١٢١٩
فبراير :	١١٦٨
أكتوبر :	١١٦٥
أبريل :	١٠٢١
يونيه :	١٠٠٥
مايو :	٨٤٧

المصدر : النشرة الإحصائية لعام ١٩٥٣

وواضح من الجدول السابق أن الحد الأعلى للوفاة كان في ديسمبر - يناير
مع حد أعلى ثانوى في يولييه ؛ والرسم التالى يبرز ذلك بشكل جلى :

السكان وزواجهم وطلاقهم وسائر أحوالهم الديموغرافية ، فلا مبرر للشك في عدد الأطباء المسجلين فيها ومقدار الأسرة المتوفرة في مشافئها ؛ وهي مقاييس لا تخطئ في مبلغ العناية الصحية لدى الشعوب ، حتى يجوز القول بأنها تتناسب عكساً مع معدل الوفيات .

ومن المقرر أن العناية الصحية الكاملة تقتضي وجود طبيب لكل ٥٠٠ مواطن ، وسرير في المصاح الحكومية والأهلية لكل ١٠٠ مواطن . ولا يجوز أن ينزل الحد الأدنى عن طبيب واحد لكل ١٠٠٠ مواطن وسرير لكل ٣٠٠ .

وهذه نسب الأطباء والسرير في بلاد متباينة الرقي :

عدد الأطباء	نسبة السكان إلى كل طبيب	عدد الأسرة في المشافي	نسبة السكان إلى كل سرير
الولايات المتحدة (١٩٥٣)	٢٠٩,٢١١	٧٧٠	١,٥٨٠,٦٥٤
الاتحاد السوفيتي (١٩٥٤)	٢٧٣,٦٠٠	٧٨٩	١,٠٣٥,٠٠٠
كندا (١٩٥٢)	٠١٥,٤٠٠	٩٠٠	١٧٧,٠٥٢
سويسرا (١٩٥٣)	٠٠٤,٩٣٢	١٠٠٠	٦٨,٢٧٥
فرنسا (١٩٥٢)	٠٣٧,٣٩٨	١١٠٠	٤٦٩,٦١٢
الأرجنتين (١٩٥٢)	٠١٣,٦٠٠	١٣٠٠	١١٤,٦٠٩
تركيا (١٩٥٣)	٠٠٧,١٧٩	٣١٠٠	٢٣,١٩٦
المكرون البريطانية (١٩٥٢)	٠٠٠٠١٨	٨٨٥,٧٨,٠٠٠	١٥٨٢

المصدر : الحولية الاحصائية لعام ١٩٥٤ ، ص : ٥١٧ — ٥٢٤

ولا نجد في العالم العربي بلداً واحداً يستوفي النصيب الكافي من العناية الصحية ، وإن كان لبنان يقترب من ذلك :

عام ١٩٥٣		عام ١٩٥٢		عام ١٩٥١	
الشهر	عدد الوفيات	الشهر	عدد الوفيات	الشهر	عدد الوفيات
ديسمبر	٨٣٣ :	مارس	١٠٩٢ :	مايو	١٠١٢ :
يناير	٧٠٩ :	فبراير	٨٢٧ :	يناير	٦١٥ :
ماوس	٦٧٣ :	يناير	٧٨٦ :	ديسمبر	٥٢٤ :
فبراير	٦٦٢ :	ديسمبر	٦٣٢ :	فبراير	٥٢٠ :
أبريل	٦٥٥ :	أبريل	٦٠٢ :	أكتوبر	٥١٩ :
مايو	٥٨٥ :	سبتمبر	٥٨١ :	أغسطس	٤٩٨ :
أكتوبر	٥٥٨ :	يوليه	٥٧٧ :	يونيه	٤٥٠ :
سبتمبر	٥٤٢ :	أكتوبر	٥٦٩ :	مارس	٤٤٨ :
يونيه	٥٢٣ :	مايو	٥٣٨ :	سبتمبر	٤٢٥ :
نوفمبر	٥١٤ :	أغسطس	٥٢٣ :	أبريل	٤١٠ :
أغسطس	٥١١ :	نوفمبر	٤٩٣ :	نوفمبر	٤٠٦ :
يوليه	٤٩٢ :	يونيه	٤٩٢ :	يوليه	٣٧٦ :

الوفيات في لبنان — المصدر : النشرة الإحصائية ربع السنوية ، الربع الأخير ١٩٥٢ ،
الربع الأخير ١٩٥٣ .

٩ — الشروط الصحية في العالم العربي :

لا ريب في أن ارتفاع معدل الوفيات قد يرجع إلى أسباب طبيعية ، فالمناخ وتوزيع المياه وارتفاع الأرض أو انخفاضها لها أثرها في توطن الأمراض ؛ إلا أن هذه الأمراض الناشئة عن عوامل جغرافية هي قبل كل شيء « أمراض اجتماعية » ، لا يمكن مكافحتها بنشر المعرفة والعناية بالصحة العامة ورفع السوية الغذائية . وإذا وجب الشك في إحصاءات أكثر الدول العربية من حيث عدد

والتسليّة ؛ ولكن تحسين شرائط الحياة وإيجاد مستوى لائق للمعيشة مما يقتضى أولاً تعليم أبناء القرى والعناية بصحتهم حتى تزداد قدرتهم على الإنتاج والكسب ..

وليس المخرج عسيراً من هاتين الحلقتين ، وهو قبل كل شيء أن تأخذ الحكومات على عاتقها إقامة العدل بين جميع مناطق الوطن الواحد من حيث التعليم والصحة والمرافق الحيوية الأخرى . والصحة كالثقافة هي حق لكل مواطن كحقه في الحياة ولا يجوز فيها التفريط والتفريق .

وقد كتب أحد أطباء مصر قبل أن تبدأ المجموعات الصحية الحديثة بالانتشار في بعض قراها : « ولو وقع زلزال ودفنت هذه القرى وآتى من بعد من ينقب في أطلالها لتعذّر عليه أن يجد فرقاً بين أحوال أهلها المعيشية وأثر العناية الصحية بينهم وبين أحوال أجدادهم الذين عاشوا في تلك الديار في عصور ما قبل التاريخ »^(١)

وهذه أمثلة عن تفاوت الظروف الصحية بين المناطق ؛ ففي العراق يضم لواء بغداد ١٧٪ فقط من مجموع السكان ولكنه يحتكر ٦٣٪ من مجموع الأطباء ، كما هو ظاهر في الجدول التالي لعام ١٩٥٣ :

(١) الدكتور محمد عبد الحميد : مشكلة التطبيب في مصر . القاهرة ١٩٣٤ ، ص : ١٣

نسبة السكان	عدد الأسرة	نسبة السكان	عدد الأطباء	
إلى كل سرير	في المشافي	إلى كل طبيب		
١٥٦	٨٤٧٩	١٣٠٠	١٠٤٩	لبنان (١٩٥٢) :
٨٠٥	٣٦٢١٦	٣٦٠٠	٦٠٥١	مصر (١٩٥٣) .
٢٠٠	٧٥٨	٣٩٤٠	٣٣	مدينة عدن (١٩٥٢) .
٢٨٠	٢٤٦٨١	٥٣٠٠	١٧٦٦	الجزائر (١٩٥٣) .
١٥٠٠	٢٣٩٩	٥٣٦٠	٦٧٠	سورية (مع البدو) (١٩٥١)
٧٣٥	٦٦٢٣	٥٦٠٠	٨٧٤	العراق (١٩٥٣) .
١٢٤٠	٩٣٣	٦٠٠٠	١٨٠	مراكش المحتلة من اسبانيا ١٩٥٠
٦٠٦	٥٧٧١	٦٧٠٠	٥٢٦	تونس (١٩٥١) .
٦٨٢	١٩٩٤	٧٣٤٥	١٨٥	المملكة الأردنية (١٩٥٣)
١٤٢٥	٥٧٧١	٨١٠٠	٩٦٨	مراكش المحتلة من فرنسا ١٩٥٢
٦٨٠٠	١٠٢٥	٤٥٠٠٠	١٥٣	المملكة السعودية (١٩٥٣)
١٠٦٥	٨٢٣٠	٥٠٠٠٠	١٧٤	السودان (١٩٥٢) .
٦٥٠٠	١٠٠	٨٠٠٠٠	١٠	محمية عدن (١٩٥٢) .

ولسنا مغالين حين نؤكد بأن أظهر أوصاف العالم العربي الحديث هو الإهمال الظالم لشؤون المواطنين الصحية في الريف واستئثار سكان المدن بالنصيب الأوفى من الأطباء والمشافي وجميع سبل الرعاية الصحية ؛ وينجم عن ذلك وهن الأجسام في القرى وبالتالي ضعف الجهود وقلة المنتج .

والعالم العربي يعاني اليوم حلقتين مفرغتين لا بد للحكومات من إيجاد مخرج لهما ، فالأولى هي أن زيادة المنتج الاقتصادي وحسن استثمار موارد البلاد أمور لا تتأتى إلا برفع السوية الصحية لجمهرة الشعب ؛ ولكن رفع السوية الصحية يقتضى قبلا زيادة المنتج وحسن استثمار الموارد ...

والحلقة الثانية يشترك فيها الأطباء والمعلبون فهم يعزفون عن سكنى القرى وممارسة عملهم فيها لصعوبة شرائط الحياة وإنعدام وسائل الرفه

القضاء	عدد الأطباء عام ١٩٥٣	نسبة السكان إلى كل طبيب
القدس	٣٣	٢٧٠٠
عمان	٣٢	٥٠٠٠
نابلس	٢٠	٧٨٠٠
إربد	١٦	٨٩٠٠
رام الله	١٣	٨٥٠٠
بيت لحم	١٢	٤٨٠٠
أريحا	١١	٤٦٠٠
الخليل	٩	١٤٩٠٠٠
السلط	٧	٩٥٠٠
الزرقاء	٥	٧١٠٠
الكرك	٥	٨٤٠٠
عجلون	٥	٥٥٠٠
جنين	٤	٢٠٩٠٠٠
طولكرم	٤	٢١٩٠٠٠
مادبا	٤	٧١٠٠
العقبة	١	٤٨٠٠
الطفيلة	١	٢٥٩٠٠٠
الكورة	١	٢١٩٠٠٠
معان	١	٢٥٩٠٠٠
جرش	١	٢٧٩٠٠٠
	١٨٥	

اللواء	نسبة السكان إلى المجموع	عدد الأطباء	نسبة الأطباء المتوفرين إلى مجموع الأطباء
	٪		٪
بغداد	١٧	٥٥١	٦٣
البصرة	٠٧٦	٠٦٣	٧٩٢
الموصل	١٢٩٤	٠٦٠	٦٩٩
كر كوك	٥٩٩	٤٨	٥٩٤
الديوانية	٧٩٩	٢٠	٢٩٣
ديالى	٦٩٥	١٩	٢٩٢
كربلاء	٥٩٧	١٩	٢٩٢
العمارة	٦٩٤	١٧	٢
الحلة	٥٩٤	١٧	٢
المتنك	٧٩٧	١٥	١٩٧
الدليم	٤	١٣	١٩٥
أربيل	٥	١٢	١٩٤
الكوت	٤٩٧	١٠	١٩١
السليمانية	٤٩٧	١٠	١٩١

ونجد في المملكة الأردنية نصف أسرة المشافي في لواء القدس مع أنه لا يشمل سوى ٢٢٩٧٪ من مجموع السكان. ويضم لواء عمان ٧ مستشفيات فيها ٣٣٥ سريراً مع أن سكانه يمثلون ١٤٩٣٪ من جملة السكان، بينما يشتمل لواء عجلون على مستشفين فيهما ٥٧ سريراً وسكانه يمثلون ١٦٩١٪ من مجموع الأردنيين، وفي قضاء القدس طبيب لكل ٢٧٠٠ مواطن بينما ليس في قضاء جرش سوى طبيب واحد لمجموع سكان القضاء الذين يبلغون ٢٧٠٠٠ نسمة وتوضح هذه الفروق الصارخة من الجدولين التاليين :

المحافظة	عدد الأطباء	عدد الأسرة في المشافي	نسبة السكان إلى كل طبيب	نسبة السكان إلى كل سرير
دمشق (مع المدينة)	٣٤٢	١٠٠٠	٢٠٢٨	٦٥٠
حلب	١٧٢	٥٩٥	٥٣٠١	١٥٤٧
اللاذقية	٥٩	١٩٠	٧٩٩٤	٢٤٩٣
حماة	٢٣	٧٠	٧٢٩٢	٢٤٤٠
حمص	٣١	٥٠	٧٢٢٤	٤٦٦٠
دير الزور	١٥	٦٠	١٥٤٥٤	٣٨٨٨
الجزيرة	١٥	٢٥	١٠٠٧٨	٣٣٧٦
حوران	١٠	٢٥	١١٨٨٠	٥٠٠٧
جبل الدروز	٠٣	٥٠	٢٩٥٩٢	١٧٩٢

وفي الوضع الراهن يتمركز الأطباء وتقوم المشافي في عواصم المحافظات وبعض الأفضية، أما القرى والساكر فهي محرومة من ذلك؛ ومن المعروف أن القرى السورية متناثرة وليس باستطاعة الفلاح المريض أن ينتقل إلى مقر الطبيب أو مركز المصح؛ ومن العبث القول بأن جولة طبيب المركز الدورية تسد الحاجة.

وهذه نسب السكان إلى الأطباء وأسرّة المؤسسات الصحية في لبنان عام ١٩٤٨^(١)، وهي تدل على أن دور الاستشفاء تقوم على كواهل المؤسسات الأهلية والأجنبية بالدرجة الأولى؛ وتدل ثانياً على مبلغ العناية بالعاصمة ومناطق الاصطياف وإهمال الملحقات:

(١) المجموعة الإحصائية العامة، بيروت ١٩٤٩، ص: ٤٢ — ٤٤.

المحافظة	نسبة السكان	عدد المشافي عام	عدد الأسرة	نسبة الأسرة في المشافي
	%	١٩٥٣		إلى المجموع . /
القدس	٢٢٩٧	١٠	١٠٣٢	٥١٩٧
عمان	١٤٩٣	٧	٣٣٥	١٦٩٨
نابلس	٢٣٩٧	٦	٣٢٧	١٦٩٤
الخليل	٩٩٤	٢	١٤٢	٧٩١
عجلون	١٦٩١	٢	٥٧	٢٩٩
البلقاء	٧	١	٦٥	٣٩٣
الكرك	٤٩٦	١	٣٦	١٩٨
معان	٢٩٢	—	—	—
المجموع	١٠٠	٢٩	١٩٩٤	١٠٠

وبين أيدينا توزيع تفصيلي للأطباء على المحافظات السورية عام ١٩٤٦ (١) يتضح منه أن محافظة دمشق تستأثر بأكثر من نصف الأطباء . وقد بلغ عدد الأسرة في المشافي الخاصة والعامة ذلك العام ٢٠٨٥ ، تختص محافظة دمشق منها بألف ومحافظة حلب بنحو ستمائة :

(١) نشر في المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٤٨ ؛ وجاء في الحولية الإحصائية للأمم المتحدة عام ١٩٥٤ أن عدد الأطباء الممارسين في سورية عام ١٩٥١ هو ٦٧٠ أي كما كان عام ١٩٤٦ .

غير ٤٢٨٥ سريراً للعرب والأوربيين في مختلف المستشفيات والمصحات ، ويخص العاصمة من هذا العدد ألفا سرير ؛ ومعنى ذلك أن بقية السكان سواء في المدن والبادي لا يوجد لمرضاهم سوى ٢٢٨٥ سريراً ..

وقد أنشئ للأوربيين في العاصمة مستشفى كبير وهو مستشفى (شارل نيكول) مجهز بأحدث الأجهزة وبه ٧٢٣ سريراً ، وقد ألحق به المستشفى الإيطالي الذي استلمته السلطة الفرنسية بعد انتهاء الحرب الأخيرة وبه ٢٤٠ سريراً ، بينما لا يملك العرب إلا ٢٩٥ سريراً بالمستشفى الصادق و ٣٢٢ سريراً بمستشفى (الرابطة) الخاص بالأمراض المعدية . والمستشفى الصادق عبارة عن ثكنة تركية قديمة أعدت لإيواء المرضى ، ولا تتوفر فيه الشروط الصحية المطلوبة ..

ولا نبالغ إذا قلنا أن السلطة الفرنسية لا تعير الإسعاف العام أى اهتمام ، فوسائل مقاومة الأمراض المعدية لا تكاد تذكر ؛ وأكثر الأمراض المعدية فتكاً بالشباب التونسي في المدن والقرى هو مرض السل ، ومع ذلك فلا توجد مصحة واحدة لمعالجة هذا المرض ، وقد خصص بمستشفى الرابطة بالعاصمة جناح لعزل المصابين به ، أما القسم الخارجى المخصص بالمستشفى الصادق لمعالجة المصابين بهذا الداء فهو عبارة عن غرفة صغيرة ليس فيها من الآلات والمعدات ما يفي بالحاجة ، ويزداد خطر هذا المرض سنة بعد سنة حتى بلغت نسبة الوفيات به في تونس ٣٣ و ٨ في كل عشرة آلاف من السكان العرب ، بينما لم تتعد النسبة ١٤ في كل عشرة آلاف من بقية العناصر ؛ وترجع أسباب انتشار هذا المرض إلى انتشار الفقر بين الشعب وقلة غذاء الطبقات الفقيرة وإهمال السلطة الفرنسية الشؤون الصحية بصفة عامة . أما مرض التراخوم فيقدر عدد المصابين به في القطر التونسي عموماً بـ ٣٠ ٪ على أقل تقدير ، وترتفع هذه النسبة حتى تصل في الجنوب التونسي إلى ٩٠ ٪ .. ولا تتخذ السلطة الفرنسية ما يكفي من الوسائل لمقاومة

المحافظة	عدد الأطباء	عدد السرر في مشافي الدولة	عدد السرر في المشافي الخاصة	نسبة السكان إلى كل طبيب	نسبة السكان إلى كل سرير
بيروت	٤٣٠	٢٩٨	١٤٢٧	٤٦٠	١١٥
لبنان الشمالى	١٢٣	١٢٠	٣٦٤	٢١٧٧	٥٥٣
جبل لبنان	١٤٨	١٢٠	٢٤٣٣	٢٤٥٥	١٤٢
لبنان الجنوبى	٥٥	١٢٠	١٠٥	٤١٦٧	١٠١٩
البقاع	٦٠	١٢٠	٧٥	٢٨٥٢	٨٧٨

ويؤخذ من توزيع الأطباء والسرر على « المستشفيات العمومية ، المدنية والعسكرية عام ١٩٥١ فى مصر أن مدينة القاهرة كانت تضم نصف الأطباء ونصف الأسرة ، ولم يكن فى مشافى مديريات الوجه البحرى (٤٣ ٪ من سكان مصر) سوى ٢١ ٪ من الأطباء و ٢٢ ٪ من مجموع السرر ؛ ومديريات الوجه البحرى أقل حظاً ، فلم تكن تضم مشافىها غير ١٤ ٪ من الأطباء و ١٦ ٪ من الأسرة على أنها تحتوى ٣٧ ٪ من السكان^(١).

والأمر أدهى فى المغرب العربى ، فالإجحاف هنا مزدوج : إجحاف فى حق سكان القرى وآخر فى حق السكان الأصليين أصحاب البلاد .

يقول الدكتور الحبيب ثامر عن الصحة والإسعاف العام فى تونس عام ١٩٤٨^(٢) :

« لم تقم السلطة الفرنسية بواجبها فى هذا الميدان بل أهملت كل الإهمال ، ولم تخصص فى الميزانية التونسية من الاعتمادات ما يكفى للقيام بشئون الصحة .. ويتضح إهمال السلطة الفرنسية للحالة الصحية بضآلة عدد المستشفيات وعدد الأسرة بها وانعدام الأجهزة الطبية اللازمة .. فلا يوجد فى تونس

(١) حسب هذه النسب على أساس الأرقام الواردة فى « الأحصاء السنوى العام » طبع ١٩٥٣ ص : ١٦٥ — ٢١١ .

(٢) هذه تونس . مكتب المغرب العربى ، القاهرة ١٩٤٨ ؛ ص : ٦٢ — ٦٣ .

وأن تصل نسبة وفيات الأطفال إلى ٢٨٣ و ٦ إلى ألف لدى المراكشيين في حين أنها لا تتجاوز ٨٤ و ١ إلى ألف لدى الأوربيين ... »

ويقول مدير الصحة العامة في الجزائر : أن النمو الاقتصادي لبلد ما يتبع الحالة الصحية لمواطنيه ؛ وبعد أن يستعرض حالة المصحات في الجزائر — وتسكاد تكون كلها متركزة في مناطق سكنى الأوربيين المختلين — يعترف بأن الجهود المبذولة لا تتناسب مع تكاثر السكان^(١).

وليس من الإنصاف في شيء الإلحاح على اتهام أفراد الشعب بالتهاون والتقصير في التماس سبل المعالجة الصحية ، والزعم بأنهم ألقوا أن يتركوا الطبيعة تعمل عملها ، والمرض أن يأخذ حده ، فهم لا يقبلون على استشارة الطبيب أو ارتياد المستوصف إلا بعد أن يستشري الداء ويمتنع الشفاء . وإذا صح بعض هذا الزعم فالملوم في ذلك هو تواني الحكومات في بث الوعي ؛ على أن الأرقام تثبت أن المؤسسات الصحية القائمة تغص بالمراجعين من المرضى رغم نقص تجهيزها :

عدد المرضى المعانين في المؤسسات الصحية	
العراق	(١٩٥٣) : ٦٩٩٥٧,٥١٨ (في كافة المستشفيات الحكومية والأهلية)
المملكة الأردنية	() : ٤٢٢,٢٧٥ « « «
مصر	(١٩٥٢) : ٩٥٦٠٨,٠٠٠ (في المستشفيات الحكومية فقط)
المملكة العربية السعودية	(١٩٥٣) : ١٥٣٦٣,٠٠٠ « « «
تونس	(١٩٥١) : ٧٦٢,٤٢٤ « « «
سورية	(١٩٥٣) : ٦٩٤,٠٣٤ « « «
لبنان	() : ١٢,٩٦٢ « « «

وننتقل الآن إلى بحث العوامل التي تساعد على فشو الأمراض . فهناك

الأمراض الوبائية كالمalaria والتيفوس التي تفتك سنوياً بالآلاف من السكان ...

وتعترف المصادر الفرنسية أنه كان في مدينة تونس عام ١٩٥١ خمسة مستشفيات تضم ٢٥٨٠ سريراً أي نحواً من نصف مجموع ما تضمه مشافي القطر ، ويخص المستشفى الأوربي منها (مستشفى شارل نيكول مع مستشفى التحرير وهو المستشفى الإيطالي سابقاً) ١٣٤٨ سريراً ... أما بقية أنحاء تونس فكانت تعد ثلاثة مستشفيات فقط في مدن سوسة وصفاقس والكاف ، مجموع سررها ١٠٠٦ ؛ وخصص للعلاجات الأولية في جميع تونس ٤٣ عيادة تجمع كلها ١٠٣٦ سريراً^(١) .

وجاء في بيان حزب الاستقلال المراكشي ما خلاصته^(٢) :

« كان في مشافي مراكش المحتلة من فرانس ٦٩٨٤ سريراً عام ١٩٥٠ ، ثلثها مخصص بالأوربيين ؛ فكانت النسبة سريراً واحداً لكل ١٧٢٠ من السكان الأصليين وسريراً لكل ٢١٥ من الأوربيين .. وكانت نسبة الأطباء إلى السكان : طبيباً لكل ٤٣٤٠ من المراكشيين وطبيباً لكل ١١٠٠ من المتوطنين الأجانب . وليس في جميع مراكش معهد طبي واحد ، وفيها على الأكثر عشرة أطباء مراكشيين استطاعوا الدراسة في فرانس ، وهناك مدرسة للمرضات الأوربيات في الدار البيضاء^(٣) . ولا يوجد في جمع مراكش عيادة طبية خاصة يديرها أطباء من أبناء البلاد ... ولا نعجب أن تبلغ نسبة الوفيات عام ١٩٤٨ : ٨٥ : ١٠٠ ألف للأوربيين و ١٥ : ١٠٠ ألف للمراكشيين

(١) Tunisie 53, p. 38 — 39

(٢) Morocco Under the Protectorate. New York 1953, p. 56—58

(٣) تذكر المصادر الفرنسية أنه أسس في مراكش مدرسة للممرضات المسلمات عام ١٩٤٥ ، ومدرسة للممرضين المسلمين عام ١٩٤٦ وثلاث مدارس للممرضات الإسرائيليات عام ١٩٤٩ ، ومدرسة للمساعدات الفنيين وسبع مدارس للممرضين عام ١٩٥٠ : (Maroc 54, p. 101 — 105)

مطبخ و ٦٢.٥٪ ليس لها مرحاض . والمنازل التي تحتوي على جميع المرافق الضرورية لا تتجاوز نسبتها ٢.٥٪ (١).

وبلغت كمية المياه المستهلكة في منازل المدن المصرية التي بها توزيع عمومي ٢٤١,٦٦٨ ألف متر مكعب عام ١٩٥٢ ، منها ٤٥٪ لمحافظة القاهرة و ٣١٪ لمحافظة الإسكندرية و ٦.٧٪ لمحافظة القنال والسويس ودمياط و ٩.٩٪ لجميع مديريات الوجه القبلي و ٧.٤٪ لمديريات الوجه البحري (٢) ولعل الغذاء أبلغ العوامل أثراً في الصحة والمرض ، وثلاثا سكان العالم تقريباً ليس لهم من دخلهم ما يكفل لهم تغذية كافية . فالتخلف الاقتصادي يزيد إذن من نسبة الأمراض ويعوق في الواقع ذاته عن الأخذ بسبل المعالجة ، ولذا نجد رابطة ثابتة بين مقدار الدخل وأمل الحياة ، كما يدل الجدول الإحصائي التالي (٣) :

المناطق المتخلفة	المناطق المتوسطة	المناطق النامية	
	النمو	اقتصادياً	
النسبة إلى مجموع سكان العالم			:
الدخل الفردي سنوياً بالدولار	أقل من السدس	الخمس	:
التغذية : عدد السعرات في اليوم	٤١	٤٦١	:
عدد الأطباء بالنسبة إلى مائة ألف ساكن	٢١٥٠	٣٠٤٠	:
أمل الحياة عند الولادة	١٧	١٠٦	:
	٣٠	٦٣	:

(١) عن مجله الأبحاث ؛ العدد ٦ ، بيروت ، حزيران ١٩٥٣ .

(٢) الإحصاء السنوي للجيب عام ١٩٥٣ ، ص : ٣٨ — ٣٩ .

(٣) Rapport préliminaire sur la situation sociale dans le monde, p. 54

العوامل الجغرافية ، وأهمها المناخ ؛ والمتوهم أن إشراق الجو وغلبة الأيام الشامسة في البلاد العربية من المؤثرات الطيبة في الصحة العامة ؛ إلا أن الفوارق الكبيرة في الحرارة بين الليل والنهار وبين أيام الشتاء والصيف ذات أثر أكبر في إرهاق الأجسام وتعريضها للأمراض . ثم أن هطول الأمطار جميعها في فصل قصير من السنة من شأنه أن يخلق المناخ في قرارات الأودية أو المنخفضات الكتيمة القعر ، فيأسن فيها الماء بتأثير الشمس وينمو البعوض .

ومن العوامل الجغرافية أيضا وضع التضاريس غير الملائم لتصريف المياه ، فالملاحظ أن الجبال العالية تمتد على موازاة السواحل في أكثر بلاد العرب ، وهي تمنع الأنهار من الانحدار مباشرة نحو البحر فتسير بطيئة بين السلاسل المرتفعة مشكلة سهولا موبوءة ، حتى تجد مخرجا على البحر أو تضيع في الداخل ؛ مثال ذلك نهرا العاصي والأردن في بلاد الشام ونهرا المجردة والشليف في بلاد المغرب . وبطء منحدر النيل والفرات يسبب الشيء ذاته ، بالإضافة إلى الري الذي يغمر مساحات رحبة من الأرض ويساعد على انتشار الجراثيم المرزقية .

ومن العوامل في تفشي الأمراض أيضا تلاصق البيوت في القرى وخلوها من المياه النقية وسائر المرافق الصحية ، وتجمع الفلاحين فيها ومساكنهم لمواشيهم ودواجنهم ، وانتشار القذارة والغبار .

وقد قامت مصلحة الفلاح في مصر بدراسة حالة السكن فوجدت أن ٢٩ و ٦ ٪ من مجموع المنازل الريفية مكوّنة من غرفة واحدة ، و ٧٣ ٪ من الغرف مأهولة بثلاثة أشخاص و ٢٧ ٪ منها مأهولة بأكثر من ثلاثة أشخاص و ٧٥ و ٧ ٪ من جدران المنازل مبنية بالطوب النيء و ٢٧ و ٤ ٪ ليس لها سقف إطلاقاً ، و ٩٦ و ٦ ٪ ليس لها حمام ، و ٩٥ و ٦ ٪ ليس لها

نصيب الفرد سنوياً بالكيلو غرام						
حبوب	بطاطس	سكر	بقول جافة	لحم	لبن	دهنيات
١٧٢	١٠	١٦	١٠	١٢	٢٥	٤
مصر (١٩٥١ - ٥٢)						
٧٤	٤٦	٤١	٤	٧٥	٢٣٦	٢٠
الولايات المتحدة (١٩٥٢)						
١٢٠	١٢٠	٢٤	٢	٦٨	١٥٠	١٣
فرانسا (١٩٥٢ - ٥٣)						
٩٨	١٠٥	٣٨	٣	٥٣	٢٠٢	٢٠
بريطانيا (١٩٥٢ - ٥٣)						
١٩٥	٣٠	٨	٩	١٧	٣٢	٧
تركيا (١٩٥٢ - ٥٣)						
١٢٢	٥٨	٣٠	٩	٢٨	١٠٠	٧
شيلي (١٩٥١)						

نصيب الفرد يومية		
پروتين (بالغرام)	سعرات	
٧٠	٢٣٦٠	: مصر
٩٠	٣١٢٠	: الولايات المتحدة
٩٧	٢٨٥٠	: فرنسا
٨٥	٣٠٦٠	: بريطانيا
٨٤	٢٦٥٠	: تركيا
٧١	٢٣٤٠	: شيلي

والبلاد العربية تعتبر بالإجمال من المناطق المتخلفة اقتصادياً ، وغذاء شعوبها سيء كمياً ونوعياً . وفقدان التوازن الإجتماعى يجعل فيها النقيضين جنباً إلى جنب : فهناك أفراد قلائل يمرضون من التخمة ، وأكثريّة تمرض من الجوع .

ولمعرفة كفاية التغذية أو نقصها يمكن اللجوء إلى إحدى الطريقتين الآتيتين :

(١) نحسب مقدار ما ينتجه البلد من مواد غذائية (كالحبوب والبقول والسكر الخ ...) ونضيف إلى ذلك ما يستورده منها ، ونحذف ما يصدره إلى الخارج أو يعيد تصديره ونقسم الناتج على عدد السكان ؛ وبذلك نستخلص النصيب الغذائى السنوى ثم اليومى لكل فرد ؛ ومن السهل بعد ذلك حساب ما يعطيه هذا النصيب من وحدات حرورية أو سعرات (كالورى) ومن مواد زلالية حيوانية ونباتية (بروتين) ومن فيتامينات الخ ...

ويتضح لكم من الأمثلة الآتية أن شعوب أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية تستهلك الكثير من اللحوم والألبان والبطاطس والسكر والمواد الدسمة ، بينما يعتمد شعب مصر على الحبوب خاصة ، مثل سائر الشعوب العربية (١) :

ووجد في النهاية أن الأصناف الثلاثة الأولى تتناول مقداراً كافياً من أكثر العناصر الغذائية ، أما العمال والفلاحون فغداؤهم غير واف بحاجاتهم وخاصة من اللحوم ، مع مراعاة ملابسات المناخ ونوع العمل العضلي الذي يمارسونه . ويلاحظ المؤلف أن العراق بلد زراعي ولكنه لا ينتج من المواد الغذائية ما يكفي لمعيشة سكانه . والملاحظة ذاتها تنطبق على سائر البلاد العربية .

وهذه أهم النتائج العددية التي استخلصها :

الصف (١)	الصف (٢)	الصف (٣)	الصف (٤)	الصف (٥)	قسم من الصف (٥)
٣٠٩٨	٣٢٢٨	٢٨٩٧	٢٦١٣	١٨١٣	١٤٦١
٤٧٥٨	٤٠٥٥	٢٧٥٤	٢٤	٢١٥٩	٦٥٧٥
٦٣٥٨	٩١٥٥	٨١٥٣	٨٠٥٣	٣٨٥٩	٣٥٥٣٥
١١١٥٦	١٣٢	١٠٨٥٧	١٠٤٥٣	٦٠٥٨	٤٢
٤٧٥٥٨	٤٩٩٥٦	٤٧٥٥٩	٤٧٥	٢٧٣٥٢	٢٣٦٥٨
٧٤٥١	٧٩٥٩	٥٥	٢٦٥٨	٣٧٥١	١٣

١٠ - الأمراض المتوطنة والأمراض المميتة

إن جملة العوامل الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية تسبب تأصل علل معينة في البيئة العربية كأمراض العين (التراخوما) والحمى المرزغية أو البرداد (الملاريا) الخ . . .

ونقف على مبلغ انتشار الأمراض المتوطنة من نوع المراجعات المسجلة في المستوصفات ومن توزع الوفيات المصرح بها لدى الدوائر الصحية . وسنلم الآن باكثر الأمراض انتشاراً وأعظمها خطراً في كل بلد عربي :

وهذه أيضاً أرقام وسطية لسنوات ما بعد الحرب الثانية يظهر منها ضعف عناصر القدرة والحيوية في النصيب اليومي لغذاء الفرد العربي^(١):

بروتين (بالغرام)	سعرات	
٨٠	٢٢٩٠	مصر
٦٧	١٩٣٠	العراق
٧٠	٢٠٠٠	سورية ولبنان
٨١	١٨٢٠	المغرب المحتل من فرنسا

(ب) والطريقة الثانية لقياس التغذية هي إجراء فحص دقيق لغذاء مجموعة من الأسر تنتمي إلى أوساط مختلفة، ثم تعميم النتائج على القطر كله.

وقد قام الدكتور محمود الجليلي بدراسة قيّمة عن حالة التغذية في العراق،^(٢) بالاستناد إلى أنواع الطعام الشائعة هنالك، بانياً بحثه على استمارات سجلها الأشخاص المسؤولون عن ٥٥ أسرة. وقد فرق الأسر إلى خمسة أصناف حسب دخلها السنوي؛ الصنف الأول يتألف من تجار وملاكين وموظفين من الدرجات العالية يزيد دخلهم على ألف دينار في السنة؛ ويتألف الصنف الثاني من موظفين وتجار صافي دخلهم السنوي بين ٥٠٠ و ٨٠٠ دينار؛ واختار الصنف الثالث من صغار الموظفين وأرباب الحرف الذين يتراوح دخلهم السنوي بين ٢٠٠ و ٣٠٠ دينار، والصنف الرابع من فقراء المدن كالفراشين والعمال الذين يبلغ دخلهم السنوي ١٠٠ دينار تقريباً؛ أما الصنف الخامس فيتألف من الفلاحين وعمال الطين من سكان القرى، ويقرب دخلهم السنوي من الخمسين ديناراً.

(١) Rapport préliminaire sur la situation sociale dans le monde, p. 56

(٢) مجلة عمادة الطب — بغداد، المجلد ١٤، عدد ٤٣، مايو — يوليو ١٩٥٠ طبعة مستقلة.

هائلا بين مختلف الطبقات ، خاصة الفقيرة والجاهلة . . . وهي تعمى البصر أو تشوهه وتقلل من كفاءة الأشخاص . . أما بقية الأمراض المهمة المنتشرة فهي الحصبة والجدرى وحمى التيفوئيد والحمى النمشية (التيفوس) والسعال الديكي والنزلة الوافدة (الانفلونزا) . . ومن الأمراض المنتشرة إسهال الأطفال دون السنة من الحر وضحاياه تقدر بألوف الألوف . . .

وتذكر « بعثة البنك الدولي للإئتماء والإعمار » في تقريرها عن تقدم العراق الاقتصادي عام ١٩٥٢^(١) : أن الصحة العامة في العراق قد قطعت شوطاً كبيراً من التقدم خلال عشرات السنين الأخيرة ، فقد زاد عدد المستشفيات والصيدليات والأطباء زيادة كبيرة ولم يحدث أى وباء من الأمراض الخطيرة في الأعوام الأخيرة . ورغم ذلك فلا تزال نسبة وفيات الأطفال مرتفعة حتى بلغت ٢٥٠ بالآلاف من المواليد الأحياء ، كما أن نسبة بعض الأمراض المستوطنة لا تزال مرتفعة كالترأخوما والبلهارزيا والأنكيلوستوما والملاريا والزحار (الدوسنتاريا) . وكثير من الأمراض المتفشية تتولد من المياه الملوثة وسوء الأحوال المعاشية الناجمة بدورها عن الفاقة والجهل . . ولابد من توجيه الحملة الرئيسية ضد تلك الأمراض التي تمتص الحيوية وتوهن قوى الشعب الانتاجية ، فأحياناً مثلاً تصيب الملاريا في بعض أنحاء الريف جميع السكان تقريباً ، بل يقال أن الملاريا تسبب ٥٠٠٠٠ وفاة في كل عام وتلحق بالبلاد اضراراً بليغة بما تجرّه في ذيلها من المرض والعجز . ونسبة الإصابة بالبلهارزيا مرتفعة خاصة في ألوبة العمارة والمنتفك والكوت . ومن الأمراض الموهنة للقوى أيضاً الزحار والأمراض المعوية . وكان في عداد الذين راجعوا المؤسسات الصحية العراقية عام ١٩٥٣^(٢) :

(١) الطبعة العربية . ص : ٥١ — ٥٢ .

(٢) المجموعة الاحصائية العامة لسنة ١٩٥٣

(١) العراق:

يذكر الدكتور شريف عسيران^(١) : أن الأمراض في العراق التي تخلق مشاكل صحية واقتصادية خاصة وتقلل من كفاءة الشعب وقوته ونفعه وتضحي الضحايا الكثيرة وتقلل نسله وتوهن مزايده الجسدية والعقلية هي : البرداء والسل الرئوي والأمراض الزهرية وإسهال الأطفال والدودة الشصية (الأنكيلوستوما) والبول الدموي (البهارزيا) والرمد الحبيبي (التراخوما) . . . والبرداء أكثر الأمراض انتشاراً وضرراً وتنتقل بواسطة البعوض المتولد من المستنقعات والحفر والأخاديد والآبار والبرك . . . وهي تنتشر في السهول والأهوار والمدن والقرى والجبال ، وسببها الفيضان الذي يكون الأهوار والمستنقعات الكبيرة . . . ومرضا الأنكيلوستوما والبهارزيا منتشران انتشاراً كبيراً في أنحاء العراق ، خاصة بين سكان الريف والعمال . . فالدودة الشصية منتشرة بين الزراع في الأرياف بنسبة ٥٠٪ / وتدخل الجسم من جلد الأرجل أو بطريق الفم من المياه والحفر الملوثة وتتمركز في الأمعاء الرقيقة حيث تمتص دم الإنسان فتجعله أصفر كورق الخريف . . وقلبا تجد أحداً من الزراع الذين يمضون حفاة سليماً منها . . والبهارزيا من الأمراض المضنية التي تستنزف دم المصاب وتوهن قواه وتحط من كفاءته ، وهي تتولد من نوع من الديدان التي تثقب جلد الأرجل والسيقان آتية من الماء الملوث فتدخل من الجلد إلى الدم وتتمركز في المثانة وتقرحها وتصل أحياناً إلى الكلية والأمعاء . . والسل الرئوي من الأمراض الخطرة المزمنة في العراق . . والإصابات منتشرة على الأخص في العتبات المقدسة نظراً لازدحام السكان في موسم الزيارات . . . والأمراض الزهرية تسبب هلاك مئات الأنفس ، ومنها نوع وراثي وهو البجل المنتشر بين القبائل . . . والتراخوما منتشرة انتشاراً

(١) الأحوال الصحية في العراق ؛ بغداد ، ١٩٤٢

(ب) مصر :

نقرأ في كتاب « مشكلة التطبيب في مصر »^(١) : إن هذا القطر يشكو ثلاثة أوبئة مزمنة تقضى على كل مجهود قومي ، أولها الرمد الحبيبي وهو مع ما يتبعه من ضعف العينين وتعرضهما لكل أنواع العدوى يقضى على نظر عدد كبير جداً من الناس وهم لا يزالون في عهد الطفولة ، وقد يبلغ ضحاياه نحو ١٠٪ من المصريين ، وثانيها البلهارزيا ، وثالثها الانكلستوما وهما منتشران في البلاد إنتشاراً مريعاً ، وأثرهما في قوة المريض الجسمية والعقلية كبير جداً. وكل من زار الأرياف لابد شاهد أن العدد الأكبر من الأطفال قويو البنية حادو الفكر ، يتبين فيهم الذكاء والنشاط ، حتى إذا شاهدت من يزيدون عن السابعة والثامنة وجدت شحوب اللون وضعف النمو وأعراض البلاهة ، كأن هؤلاء ليسوا إخوان أولئك ، ولا يلبثون أن تنطفئ جذوتهم ، فإذا بهم شبان من أقل طبقات الرجال عقلاً ونشاطاً ..

وهكذا تتشابه الأمراض السائدة في العراق ومصر لتشابه الشرائط الطبيعية والمعيشية . وقد ارتقت مصر كما ارتقى العراق رقياً محسوساً من الناحية الصحية منذ ثلاثين أو أربعين سنة ، ومع ذلك فلا يزال المستوى الصحي فيهما ضعيفاً ، ويذكر الأستاذ شارل عيساوي^(٢) أن عدد المؤسسات الصحية لم يكن يربو على ٤٥ في جميع أنحاء مصر عام ١٩٢٢ فأضحى ٧٠٠ عام ١٩٥٠ ، ولم يكن يوجد أي مشفى في القرى عام ١٩٢٢ فأصبح فيها ٢٥٠ عام ١٩٥٠ ، ونقص عدد المكفوفين من ٨٦٠٠٠ عام ١٩٣٧ إلى ٧٥٠٠٠٠ عام ١٩٤٧ ، ورغم ذلك فإن مصر بحاجة إلى المزيد من العناية ، وهو يورد أن ٥٥٪ من السكان مصابون بالبلهارزيا وتصل النسبة إلى ٧٥٪ في الأرياف ، و ٣٠٪ مصابون بالانكلستوما ، و ١٥٪ بالملاريا ، و ٦٪ منهم يشكون

(١) المصدر المذكور سابقاً ص : ٥٦ — ٥٧ .

(٢) Charles Issawi : Egypt at Mid-century. London 1954 ,

(ج) سورية

تقدر الدوائر الصحية أن ٣٠٪ من السكان مصابون بمرض التراخوما .
وتصل هذه النسبة إلى ٧٠٪ في بعض المحافظات كالجزيرة والفرات ؛ ويقدر
« ويلرس » نسبة المصابين بهذا الداء في بعض نواحي محافظة اللاذقية
بنحو ٨٦٪^(١)

وتنتشر الملاريا على مقياس واسع في جميع الأرياف وخاصة الجهات
القريبة من أنهر الفرات والخابور والعاصي وفي غوطة دمشق . وأحصت
وزارة الصحة ١٤٠٢ قرية موبوءة عام ١٩٤٣ وقدرت عدد المصابين بنصف
مليون^(٢) . ومنذ ذلك العام بذلت الحكومة السورية جهوداً كبيرة في تخفيف
المناقع وغرس أشجار الاوكاليتوس وإسعاف المصابين وتوزيع الأدوية
عليهم ، وقد نقص عدد المرضى الذين عولجوا من الحمى المزرعية
في المستوصفات الحكومية إلى ١١٣١٩٦ عام ١٩٥١ و ٩٥١٩٦ عام
١٩٥٢ و ٥٨٨٥٨ عام ١٩٥٣ .

ومن الأمراض الشائعة في سورية الزحار (الدوسنتاريا) ، وينتشر بين
سكان منطقة الفرات مرض (البجل) المنتشر أيضاً بين قبائل العراق
المجاورة .

وهذه قائمة بالأمراض التي عولجت في المستوصفات الحكومية
عام ١٩٥٣ :

(١) J. Weulersse : Le pays des Alaouites. Tours 1940, p.78

(٢) التقرير الصحي عام ١٩٤٤ ، ص : ٢٧ .

داء البلاجرا (Pellagra) الناجم عن سوء التغذية ، وخاصة بين فقراء المدن؛ ويموت من المصريين نحو ٣٠.٠٠٠ في العام بداء السل . .
وكن توزع الوفيات على الأمراض في الجهات التي بها مكاتب صحة
كما يلي عام ١٩٥١ (١)

١ -	الأمراض المعدية والطفيلية	: ٨٦١٤
٢ -	الأورام	: ١٧٧٤
٣ -	الأمراض الناتجة عن الحساسية	
	وأمراض الغدد الصماء	: ٢٥٠٨
٤ -	أمراض الدم	: ٢٨٣٠
٥ -	الاضطرابات العقلية والنفسانية	: ٢٣
٦ -	أمراض الجهاز العصبي وأعضاء الحس	: ٣١١٩
٧ -	جهاز الدورة الدموية	: ٧٩١٤
٨ -	الجهاز التنفسي	: ٢٧,٦٣٩
٩ -	الجهاز الهضمي	: ٧٤,٥٩٤
١٠ -	الجهاز التناسلي البولي	: ٤,٢٨٥
١١ -	الولادة والنفاس	: ٦٦٥
١٢ -	أمراض الجلد	: ٢٧٤
١٣ -	العظام	: ٢٨٦
١٤ -	التشوهات الخلقية	: ١٠٥
١٥ -	أمراض خاصة بالطفولة	: ٢٣,٢٢٢
١٦ -	الشيخوخة وأحوال غير معينة	: ٢٩,١٨١
١٧ -	الوفيات بالحوادث العنيفة	: ٥,٣٣٩

في العالم العربي ٢٧٣

بعض الوفيات المسجلة لدى الدوائر الصحية في سورية عام ١٩٥٣ حسب الأمراض الرئيسية والأعمار :

المرض	التوزيع على الأعمار					
	من ٣٠ فما فوق	١٥ - ٣٠	٥ - ١٤	١ - ٤	٠ - ١	المجموع
إسهال والتهاب الأمعاء	١٦٦	٣٩	٨٣	٦٨٧	١٧٥٢	٢٧٢٧
أمراض القلب	١٦٢٦	١٣٣	٤١	١٧	٢٧	١٨٤٤
ذات الرئة	٢٥٦	٥٢	٨٦	٢٦٢	٤٥١	١١٠٧
ذات القصبات	٤٩	٩	٢٦	١٤٦	٣٨٥	٦١٥
الشيخوخة	٩٠٤	—	—	—	—	٩٠٤
سرطان وأورام	٣١٣	٢٤	١٤	٣	٢	٣٥٦
موت قسري	١١٨	٨٢	٨٤	٥٢	٦	٣٤٢
ضعف ولادي	—	—	—	—	٣٢٥	٣٢٥
أمراض الكلى	٢٢٧	٢٤	١٤	٢٢	١٥	٣٠٢
نزيف أو تخثر في الدماغ	٢٥٩	١٠	٤	٣	١٣	٢٨٩
أمراض الكبد	١٦٩	٣١	٢٠	٥	٥	٢٣٠
الجهاز الهضمي	٨٥	٢٦	١٠	١٧	٢٢	١٦٠
تدرن	٧١	٣٥	١٢	١٢	٧	١٣٧

ويلاحظ قلة الوفيات المصرّح بها المسببة عن الملاريا (٥٦ وفاة) والحمى التيفوئيدية (٥٦) والزهرى (٤). وسجلت دوائر الصحة في العام ذاته ١٠ وفيات بالطاعون و ١٩٣ حادثة قتل و ٢٣ حادثة انتحار.

(٥) الأردن

وتنشر المملكة الأردنية بيانات عن الأمراض السارية فقط ، وقد بلغ مجموعها ٩٥٤٦ إصابة عام ١٩٥٣ أدّت إلى ٤٠٨ وفاة .
وأهم هذه الأمراض السارية بالترتيب :

(م — ١٨ أحوال السكان)

- | | |
|-------------------------------|-----------|
| (١) أمراض الجهاز الهضمي | : ١٢٣,٧١٧ |
| (٢) د القلب والصدر | : ١٠٩,٠٧٠ |
| (٣) الجراحة | : ٩١,٩٣٩ |
| (٤) الأمراض المعدية والطفيلية | : ٧٠,٧٤١ |
| (٥) أمراض العين | : ٦٧,٢٠١ |
| (٦) الملاريا | : ٥٨,٨٥٨ |
| (٧) أمراض الجلد | : ٥٤,٨٦٣ |
| (٨) الأمراض العصبية | : ٥٤,٦٧٩ |
| (٩) د البولية والتناسلية | : ٢٥,٠٥١ |
| (١٠) د الدرنية | : ٨,١٨٥ |

وفي طليعة الأمراض المسببة للوفيات عام ١٩٥٣ نجد الاسهال والتهاب الأمعاء لدى الأطفال وأمراض القلب لدى المكتهلين :

عنها بالحمى التيفوئيدية ٥٦٣ عام ١٩٥١ . والمسلون المصابون بالسل تبلغ نسبتهم ثلاثة أو أربعة أضعاف نسبة الأوربيين . وينتشر أيضاً في تونس السرطان والأمراض الزهرية (١) .

وفي الجزائر أيضاً تحتل الأمراض العينية — وخاصة التراخوما — المكان الأول ، فقد كان عدد المعالجين منها في مصحات مدن الجزائر ووهران وقسنطينة وحدها ٥٨٤,٠٠٠ عام ١٩٥٢ . وفي العام ذاته عالجت هذه المصحات (٢) :

إصابة بالأمراض الزهرية	١٩٠,٠٠٠
بالمالاريا	٧٥,٠٠٠
بالسل	٣,٧٨١
بالحمى التيفوئيدية والباراتيفوئيدية	٨٩١
بالجدري	٨٦

وفي عام ١٩٥٣ ، بلغ عدد المصابين بالمالاريا في مراکش الشمالية وحدها مليوناً ونصف المليون .. وعولج من مرض التراخوما ١٢٥,٠٠٠ حالة في منطقة صغيرة من جنوبي غربي مراکش بمساعدة منظمة الصحة العالمية ، وبلغت نسبة الوفيات بالسل ١٠ و ٦٪ من مجموع الوفيات ، ووجد بين سكان مدينة الدار البيضاء ٢٦٪ من المصابين بالأمراض الزهرية (٣) .

١١ — التطار الطبيعي

وهانحن أولاء قد عرفنا أن العالم العربي مفرط الخصوبة ، ولكنه

(١) جميع هذه المعطيات الإحصائية مأخوذة عن تقرير وزارة الصحة التونسية المنشور في كتاب : Tunisie 53, p. 40 — 44

(٢) Algérie 54, p. 44 — 52

(٣) Maroc 54, p. 100 — 106

الحصبة : ٣٥٢٥	انفلونزا : ٥٤٤
الزحار : ١٣٠٣	أبو كعب : ٣٧٥
التيفوئيد : ٩٦١	باراتيفوئيد : ٢٥٦
ذات الرئة : ٨٧٨	الخانوق : ١٦٩
الجدرى : ٥٨٤	الحى الراجعة : ١٣٥
السعال الديكى : ٥٧٦	التهاب السحايا : ٥٨

(هـ) لبنان

ولا نجد في النشرات اللبنانية أيضاً سوى ثبت بأهم الأمراض السارية (المعدية) المبلغ عنها ؛ وبلغ عدد الإصابات بهذه الأمراض ٣٩٠٨ عام ١٩٤٧ ، منها ١٧٦١ إصابة بالتراخوما و ٨٤٩ إصابة بالحى التيفوئيدية و ٨١٤ إصابة بالزحار و ٢٩٤ بالحصبة^(١) . وفي عام ١٩٥٣ لم تزد الإصابات المسجلة بالأمراض السارية عن ٦٣٢ ، منها ٣٢٧ بالحى التيفوئيدية والبارتيفوئيدية ، و ٢٢٨ بالخناق^(٢) .

(و) المغرب المحتل من فرنسا

ونجد في المغرب العربى الأمراض المستوطنة ذاتها التى وجدناها في العالم العربى الشرقى . فالتراخوما يبتلى بها ٢٠ إلى ٣٠ ٪ من سكان شمال تونس ووسطها و ٨٠ إلى ٩٠ ٪ من سكان الجنوب ؛ وتعتبر تونس من أكثر بلاد البحر المتوسط ابتلاء بمرض الملاريا ، والإصابات المعلن عنها فقط بلغت ٢٠٣٢ عام ١٩٥١ ؛ ويحتاج تونس من آن لآخر موجات وبيلة من مرض التيفوس ، وقد سجلت ١٦٤٣٠ حالة عام ١٩٤٢ ، وكان عدد الإصابات المبلغ

(١) المجموعة الاحصائية العامة ١٩٤٧ — ١٩٤٨ ، ص : ٤٩ .

(٢) النشرة الاحصائية ربع السنوية ، الربع الأخير ١٩٥٣ ، ص ٣١ .

أستراليا	:	١٣٥٨	بالآلاف
اليابان	:	١٢٥٦	"
فنلندا	:	١٢٥٣	"
إسبانيا	:	١٠٥٩	"
النرويج	:	١٠٥٥	"
إيطاليا	:	٧٥٤	"
سويسرا	:	٧	"
فرنسا	:	٥٥٨	"
السويد	:	٥٥٧	"
بريطانيا	:	٤٥٥	"
ألمانيا الغربية	:	٤٥٥	"

في الوقت ذاته مفرط الوفيات . وإذا أخذنا العالم العربي مجتمعا فإن معدل المواليد فيه لا يقل عن ٤٥ بالآلاف ومعدل الوفيات عن ٢٥ بالآلاف، فتكون الزيادة الطبيعية المتوسطة ٢٠ بالآلاف . ويعني هذا أن سكان الوطن العربي يزيدون أكثر من مليون ونصف سنوياً بنتيجة التوالد . ولا شك في أن هذا التزايد سيكون عظيم الأثر في دعم الكيان العربي وإتمام تحرره ، شريطة أن ترافقه جهود مضاعفة لتنمية الموارد الاقتصادية ورفع السوية المعاشية وإقامة العدالة الاجتماعية .

ورغم ضعف ثقتنا بالإحصاءات العربية الراهنة فإنها تعطينا فكرة عن هذا التزايد في كثير من بلدان العالم العربي :

زيادة معدل المواليد المسجلة على معدل الوفيات المسجلة

مسلمو الجزائر	(١٩٥٢) :	٢٨ و ٩ بالآلاف
مصر	(١٩٥١) :	٢٥ و ٤
تونس	(١٩٥٣) :	٢٣ و ١
لبنان	(١٩٥٣) :	١٩ و ٨
سورية	(١٩٥٣) :	١٧ و ٦
المملكة الأردنية	(١٩٥٣) :	١٦ و ١

وهذه أمثلة عن التكاثر الطبيعي في بلاد مختلفة عام ١٩٥٣ .

فنزويلا	:	٣٦ و ٢ بالآلاف
المكسيك	:	٢٩
برمايا	:	١٥ و ٧
الولايات المتحدة	:	١٥ و ١
هولندا	:	١٤ و ١

ومن الأمثلة على الهجرات القسرية نفي المجرمين من بريطانيا إلى أستراليا، ومن فرنسا إلى بلاد غيانا، وإبعاد الروسيين الأحرار إلى سيبيريا في العهد القيصري، وكذلك نقل الزوج عنوة من أفريقية إلى أمريكا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر للاستفادة منهم في أعمال الزراعة والتعدين، وخاصة في الولايات المتحدة الجنوبية.

ويمكن أن يعتبر من الهجرات القسرية اضطراب الأفراد إلى ترك موطنهم بسبب أحداث طبيعية قاهرة كالجفاف أو الطوفان أو تبدل المناخ، على أن المهاجرين في مثل هذه الأحوال لهم الخيار في تعيين مستقرهم الجديد، وأحياناً في تقرير موعد تركهم.

وقد تكون الهجرات مستندة إلى اتفاقيات دولية، كتبادل السكان بين تركيا واليونان، وإيطاليا وألمانيا، عقب الحرب العالمية الأولى. وأقرب من ذلك الهجرات الجماعية التي تمت خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها في أوروبا الوسطى والشرقية، واتخذت أحياناً شكل الإجلاء أو الطرد، وخلقت في العالم مشكلة اللاجئين، أو الأشخاص المنقولين. ويقدر أنه بين سبتمبر ١٩٣٩ ومايو ١٩٤٥ ترك موطنه الأصلي ٣٨ مليون نسمة، وبين مايو ١٩٤٥ وأكتوبر ١٩٤٧ انتقل أو أجلى ١٨ مليون نسمة^(١).

ومن الهجرات الطوعية تدفق الأوربيين على أمريكا وأستراليا بعد اكتشاف الذهب فيهما. ويقدر عدد المهاجرين إلى أمريكا منذ بداية القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى بخمسين مليوناً.

وبين الهجرات القسرية والطوعية حالات تمت إلى النوعين معاً، فهجرة الجزائريين إلى فرنسا مثلاً يحملهم عليها تعذر سبل الرزق وتدنى السوية المعاشية في بلادهم، نتيجة لخطط الفرنسيين المستعمرين.

(1) Robert Ginesy : La seconde Guerre Mondiale et les déplacements de populations. Paris, 1948, p. 68

الفصل التاسع

الهجرات

١ - أَسْطال الهجرات وعواملها ونتائجها :

من عوامل تغيرات السكان كمياً الارتحال عن موطن أو التوافد عليه ^(١) . ولسنا نعرض هنا للهجرات النوعية التي لا يرافقها تبدل مكان كالهجرة من دين لآخر أو من حرفة لغيرها أو من طبقة اجتماعية إلى شواها ؛ ولا نبحت أيضاً عن الهجرات الداخلية كالنزوح من الأرياف إلى المدن ، ولا الهجرات الموسمية كنجعة البدو الرحل أو هبوط الجبلين إلى السهول للعمل في الحرث أو الحصاد . وإنما نقصد الرحيل النهائي أو شبه النهائي عن وطن إلى آخر ، والذي قد ينجم عنه أجلاً أو عاجلاً تبديل في الجنسية ، فلا يدخل في هذا التحديد رحلات التجار والصناع لضرورات عملهم ، والسيّاح لمتعة السفر ، والطلاب للاستزادة من المعرفة والجنود للغزو والفتوح .

والهجرات قديمة قديم التاريخ ، بل هي سابقة للعصور التاريخية ، وأكثر شعوب الأرض اليوم يرجع أصلها إلى هجرات قديمة أو حديثة . وقد تكون الهجرة فردية أو جماعية ، قسرية أو طوعية ، عفوية أو منظّمة .

(١) تستعمل كلمة هجرات مقابل Migrations ونعرب كلمة Emigration بالارتحال والاغتراب وكلمة Immigration بالتوافد ، وكلمة Exode بالنزوح وكلمة Transhumance بالنجعة .

اللازمة للبلد الغاصب . وهكذا يمكن أن يكون بلد ما في وقت واحد مركز توافد وارتحال ، عندما يحتاج إلى نوع معين من السكان ولديه وفرة من نوع آخر . وفي كافة الأحوال نجد في أساس جميع الهجرات مركز دفع ومركز جذب . وهذا مثال عن بلد يضم عدداً غير قليل من الأجانب الوافدين إليه بالهجرة ، وهو فرنسا :

عدد الأجانب في فرنسا عام ١٩٣٨ (١)

إيطاليون	: ٨٥٠,٠٠٠
اسبانيون	: ٦٥٠,٠٠٠
بولونيون	: ٥٠٠,٠٠٠
بلجيكيون	: ٢٠٠,٠٠٠
سويسريون	: ٨٠,٠٠٠
روسيون	: ٧٠,٠٠٠
ألمان	: ٧٠,٠٠٠
برتغاليون	: ٤٨,٠٠٠
تشيكوسلوفاك	: ٤٠,٠٠٠
بريطانيون	: ٤٠,٠٠٠
أتراك	: ٣٥,٠٠٠
أرمن	: ٢٩,٠٠٠
لكسمبورجيون	: ١٦,٠٠٠
هنغاريون	: ١٥,٠٠٠
زنوج أفريقيون	
مهاجرون متنوعون	: ٥٠,٠٠٠
المجموع	٢,٦٩٢,٠٠٠

(١) P. George : Introduction à l'étude géographique de la population du monde, p. 272.

والسبب الأول لتبديل الموطن أو الوطن هو الرغبة في الإثراء ، أو على الأقل في الحصول على كسب أوفر . إلا أن العوامل الاقتصادية وحدها لا تعلل جميع الهجرات . فكثيراً ما يرتحل الفرد أو الجماعة أو يطردون بسبب فقدان التواءم مع المحيط الاجتماعي سياسياً أو عرقياً أو دينياً . فالعوامل السياسية هي الدافع في ترك الديمقراطيين الإسبانين بلادهم والتجأهم إلى فرنسا بعد ظفر الحركة الفرنكية (١٩٣٨ — ١٩٣٩) . ومن الأمثلة على الهجرات الدينية في التاريخ توافد الفرنسيين والبريطانيين على أمريكا في القرن السابع عشر . وقد تتخذ العوامل العرقية والدينية شكلاً سياسياً كطرد العرب واليهود من إسبانيا بعد تهافت الحكم العربي فيها ، وكذلك طرد الأرمن من تركيا بعد الحرب العالمية الأولى ، وإجلاء الألمان عن منطقة السوديت في تشيكوسلوفاكيا بعد الحرب العالمية الثانية .

ولاحظ في أن الدوافع الاقتصادية تظل أقوى العوامل في الهجرات وكثيراً ما دعت إليها حكومات البلاد المهاجر إليها وسهلت سبلها بمختلف وسائل الدعاية والتشجيع .

ويجدر أن نلاحظ بأن الهجرة قد تكون من البلاد الزراعية ذات الضغط الشديد بالسكان إلى بلاد أقل سكاناً وأحفل بالامكانيات المعاشية ، كهجرة الهنود إلى أفريقيا الجنوبية وهجرة السوريين واللبنانيين والفلسطينيين إلى أمريكا وغيرها ، أو هجرة الصينيين إلى منشوريا .

والبلاد الصناعية أيضاً قد ترسل المهاجرين إلى بلاد أخف ازدحاماً بالسكان كما هو الحال في إنجلترا ، وخاصة أثناء الأزمات العارضة وكثرة عدد المتعطلين . وأحياناً تفتقر البلاد الصناعية إلى أيد عاملة ، فتستدعي المهاجرين من بلاد أخرى ؛ وهكذا تستدعي فرنسا العمال من افريقية الشمالية وبولونيا وبلجيكا وإيطاليا لتشغيلهم في المناجم أو في الأعمال الشاقة التي يحجم عنها الافرنسيون .

وترسل الدول الصناعية بعض مواطنيها إلى مستعمراتها لتخفيف التكاليف على أرضها ولاستثمار مواد البلاد المحتلة وإعداد المواد الأولية

ولا نكران أن للهجرات منافع كما لها مضار بالنسبة إلى البلاد المهاجر منها والمهاجر إليها . فمن مضارها أنها تضعف قوة البلد المتروك وتعرض كيانه للخطر وتحرمه من العنصر الفتي العامل كما تقلل فيه من الزيجات والمواليد ؛ لأن البلاد المهاجر إليها تصطفي غالباً الأكفيا مهنيّاً والأقوياء جسديّاً . ولكن الهجرة في الوقت ذاته تزيد من دخل البلد المتروك بما يرسله المهاجرون إلى ذويهم . وقد حسب أن المهاجرين الإيطاليين كانوا يرسلون إلى وطنهم الأصلي ٥٠٠ مليون لير سنوياً قبل الحرب العالمية الأولى .

وأما أثرها في البلاد المهاجر إليها فهي دون ريب ترفدها باليد العاملة وتعتمد نشاطها الاقتصادي ؛ ولكنها قد تفسد تجانسها القومي وتخل بتوازنها الداخلي ، إلا إذا استطاعت صهر العناصر المختلفة في كيان وطني موحد . والهجرات على كل حال تزيد من تمازج الثقافات في العالم وتقرّب الحضارات وتجاه المشكلات العديدة التي تنجم عن التوافد والارتحال يختلف موقف الدول حسب ظروفها الخاصة . وبصورة عامة لا يخضع الارتحال لقيد أو شرط ، وأكثر الدول لا تجبر مواطنيها على البقاء في البلاد حين يودون الرحيل عنها ، بل قد تشجع ذلك وترحب به تخفيفاً للضغط البشري كاليابان وإيطاليا والهند . أما الاتحاد السوفيتي فهو لا يريد تبديد رأسماله البشري خارج حدوده ، وأرضه متسعة لسكانه وبحاجة إلى جماع جهودهم .

ويتبدّل الموقف كل التبدّل فيما يتعلق بالتوافد ؛ فجميع بلاد العالم اليوم تحول دونّه أو تحدّ منه ، وذلك لأسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية وعرقية ودينية . فلا تبيع الحكومات الهجرات الكشيفة إلى بلادها كي لا تتدنّى السوية المعاشية فيها وتنتشر البطالة أو ينخفض مستوى الأجور بمنافسة العمال الوافدين .

ويذكر (سوفي) أن فرنسا منعت اللاجئين الاسبانيين من العمل عام ١٩٣٨ - ١٩٣٩ وحجزتهم في معسكرات خاصة وخسرت قدرتهم الانتاجية بينما كانت عدوتها ألمانيا تشغل عمالها ستين ساعة يومياً في صنع الطائرات والمدافع

يضاف إلى ذلك نحو من نصف مليون مغربي . وهكذا تصل نسبة الأجانب المتوطنين في فرنسا إلى ٨٪ من مجموع السكان تقريباً . وهذا مثال آخر عن بلد أيد سكانه القدماء تقريباً ، وتكون شعبه الجديد بنتيجة الهجرة الكثيفة ، وهو الولايات المتحدة الأمريكية :

أصول السكان في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٢٠ (١).

ج - من بلاد البحر المتوسط		١ - من أوروبا الشمالية الغربية :	
إيطاليا	: ٣٥٦ ٪	انكلترا	: ٤١٤ ٪
البرتغال	: ٥٢ ٪	أيرلندا الحرة	: ١١٢ ٪
إسبانيا	: ٥٢ ٪	بلجيكا	: ٥٨ ٪
اليونان	: ٥٢ ٪	هولندا	: ٢ ٪
المجموع	: ٤٥٣ ٪	الدانمارك	: ٥٧ ٪
د - من هنغاريا ورومانيا		السويد	: ٢٥١ ٪
هنغاريا	: ٥٦ ٪	النرويج	: ١٥٥ ٪
رومانيا	: ٥٢ ٪	فنلندا	: ٥٤ ٪
المجموع	: ٥٨ ٪	بلاد البلطيق	: ٥٥ ٪
هـ - من فرنسا		المجموع	: ٦٥٦ ٪
و - من بلاد مختلفة :	٥٨ ٪		
ز - من البلاد السلافية		ب - من أوروبا الوسطى الجرمانية	
بولونيا	: ٤٥١ ٪	ألمانيا	: ١٦٥٣ ٪
تشيكوسلوفاكيا	: ١٥٨ ٪	النمسا	: ٥٩ ٪
روسيا	: ١٥٨ ٪	سويسرا	: ١٥١ ٪
يوغوسلافيا وبلغاريا	: ٥٦ ٪	المجموع	: ١٨٥٣ ٪
المجموع	: ٨٥٣ ٪		

بمناسبة تحديد معونة الافريقين الشماليين في القانون المالى العام لسنة ١٩٥٤^(١) :

إن تدافق اليد العاملة من افريقية الشمالية على فرنسا خلال السنوات الأخيرة يثير مشكلة خطيرة جداً لم تعن بها أبداً السلطات العامة رغم الدراسات العديدة التي نشرت عن هذا الموضوع .

وقد تناقشت اللجنة المالية نقاشاً طويلاً بهذا الصدد وقررت بالإجماع أن تطلب من الحكومة أخذ الموضوع بيدها ومعالجة المشكلة على الأرض الجزائرية نفسها ، لأن المعونة الممنوحة للجزائريين في فرنسا ليست سوى دواء مسكن ، باهظ الثمن بالنسبة للفرنسيين وغير كاف لمداواة شقاء مئات الألوف من الافريقين الشماليين ومرضهم ، وقد كانوا يمتنون النفس بحياة رغيدة على الشاطئ الآخر من البحر المتوسط ...

وكان عدد الوافدين إلى فرنسا من الافريقين الشماليين طلباً للعمل كما يلي في السنوات الأخيرة :

سنة ١٩٤٩ : ٨٣٣٤٧

» ١٩٥٠ : ٨٩٤٠٥

» ١٩٥١ : ١٤٢٦٧١

» ١٩٥٢ : ١٤٨٩١٢

منتصف ١٩٥٣ : ٦٥٠١٧

ويندد أحد أعضاء اللجنة بتجار البشر الذين يرسلون الافريقين الشماليين إلى فرنسا باذلين لهم وعوداً كاذبة بعمل ينتظرهم . ولا يمكن أن تصوّر مبلغ بؤس هؤلاء المساكين عند وصولهم ومدى خيبة أملهم .

واستعرضت اللجنة الجهود القليلة المبذولة لخلق مراكز التهيئة المهنية

وعدد الحرب ...^(١) . وفي الولايات المتحدة مُحدثت الهجرة بنسبة معينة من كل أمة لضمان غلبة العنصر الأنجلوساكسوني ، وكذلك في استراليا .
وبنتيجة الهجرات يجتمع في البلد الواحد طوائف عديدة من السكان .
وينشأ عن ذلك فناء البعض تماماً أو فقدانهم طابعهم الخاص أو امتزاجهم أو جلاء فريق منهم أو معاشتهم بعضهم بعضاً دون اندماج أو اقتسامهم الأرض .

ففي أستراليا والولايات المتحدة الأمريكية أباد المهاجرون السكان الأصليين؛ ويتعايش البيض مع الزنوج في الولايات المتحدة دون اندماج؛ ولا يؤلف البيض في افريقية الجنوبية سوى أقلية السكان ولكنهم يتمتعون بالهيمنة السياسية ويحرصون على نقاوة أعراقهم بمنع الاختلاط مع السود والهنود؛ أما في المكسيك والبريزيل فالسكان الوافدون امتزجوا بالزواج مع سكان البلاد الأصليين وبذلك أمنوا شر الفرقه وتطاحن الأعراق .

٢ — الهجرة من البلاد العربية :

تناولنا البحث عن الهجرات العربية الحديثة من الناحية العددية حين تحدّثنا عن العرب خارج بلادهم^(٢) ؛ ويعيننا الآن التعرف إلى ملاسباتها وأسبابها ونتائجها .

١ — المغربون في فرنسا من سكان المغرب العربي :

مأساة إنسانية مريعة ، هي مأساة نصف مليون عربي ، أكثرهم جزائريون وبعضهم من مراکش وتونس ، يحترفون في فرنسا أخطر المهن وأشقّها ، ويعانون ألوان البؤس والمرض والامتهان ، بعيداً عن أهلهم وذريهم .

ومن الخير أن ندع الفرنسيين المسؤولين يتحدثون عن هذه الفاجعة :
فقد جاء في تقرير اللجنة المالية في المجلس الوطني الفرنسي ما يلي :

(١) A. Sauvy : Théorie générale de la population, p. 255

(٢) ص : ٤٠ — ٤١

الجزائريين يشتغلون بالزراعة ، وأكثرهم يقيمون في المدن الصناعية ، وبعضهم بائعون متجولون أو أصحاب مطاعم وفنادق صغيرة لمواطنيهم ... والبطالة تضربهم بلا رحمة لقلّة خبرتهم وقيامهم بأعمال يسهل فيها الاستغناء عنهم ، وهم غالباً في نكد من العيش عند ما يعملون ، فكيف يكون بؤسهم عندما لا يعملون ؟ !

والعوامل التي تدفع المغاربة إلى الارتحال عن وطنهم هي اجتماعية واقتصادية وسياسية ومعنوية (١) :

فسلمو الجزائريون زادون سنوياً ١٢٠.٠٠٠ نسمة ، وقد أصبحت الأرض الجزائرية عاجزة عن توفير الغذاء لسكانها . ويلاحظ أن مناطق المهاجرة هي التي يشتد فيها فقدان التوازن بين السكان والموارد ؛ ففي تونس وخاصة مراکش يوجد مدى حيوى متّسع ، أما في جبال القبائل الجزائرية مثلاً فهذا المدى معدوم ، وهكذا تكون مشكلة تونس ومراكش اقتصادية بحته تعود إلى طرق الارتفاع من الثروة ، أما في الجزائر فالمشكلة هي أولاً ديموغرافية ثم اقتصادية .

وسنوات الجفاف تتواتر في الجزائر محدثة مجاعات رهيبة ؛ وقد كانت سنوات الحرب الأخيرة كلها مجدبة ، فنقص إنتاج الحبوب من ١٧٠ مليون كنتال عام ١٩٣٨ إلى ٩,٥ مليون عام ١٩٤٦ ، وهبط عدد الأغنام من ٩ ملايين رأس إلى ٣,٥ (٢) .

وسكان الجزائر المسلمون أهل زراعة ، ويعتمدون في معيشتهم على

(١) Rager — Les aspects algériens de l'emigration nord-africaine en France. Documens Nord-Africains, Document No. 13, 28 Fevrier 1951,

(وقد عرب حزب الشعب الجزائري جزءاً من هذا التقرير في كتاب « مشكلة هجرة الجزائريين الى فرنسا ») .

(٢) أنظر أيضاً : Document No. 127, 27 Fevrier 1954

المعجّلة ودير الإيواء ومكاتب الاستخدام ، ووجدت أن نصف العمال الأفريقيين على الأكثر يجدون عملاً مأجوراً ثابتاً ، والباقي يعيشون في تعطل شبه دائم .

والعمال المأجورون من الأفريقيين الشماليين لم يزيدوا في آخر عام ١٩٥٣ عن ١٣٨,٠٠٠ ، ليس منهم سوى ٦٨١٥ من مراکش و ٨٤٨ من تونس . ونحو من ٧٠٪ من الوافدين هم عمال عاديون يشتغلون في المهن الشاقة (البناء) أو الخطرة (مناجم الفحم ، الصناعات الكيماوية) ، يتضح ذلك من الجدول التالي لعام ١٩٥٣^(١) :

العمل

النسبة المئوية من المجموع

عمال بناء	:	٣٢ و ٤
مناجم ومحاجر وإنتاج المعادن	:	٢٣ و ١
الصناعات الميكانيكية والكهربائية	:	١٨ و ٤
الصناعات الكيماوية	:	٦ و ٣
النسيج	:	٣ و ٢
معامل الزجاج ومواد البناء	:	٢ و ٥
نقلات	:	٢ و ٣
الزراعة	:	١ و ٣
توليد القدرة	:	٠ و ٧
فعاليات أخرى	:	٩ و ٨

ونقرأ في كتاب « الجزائر عام ١٩٥٤ »^(٢) : إن عدداً قليلاً من المغتربين

(١) انظر أيضاً : Document No. 121, 15 Janvier 1954,

Document No. 138, 25 Mai 1954.

(٢) Marcel Larnaudé — Algérie 54, p. 13 — 14

٨٣٤٤٧ وعدد العائدين ٧٥,٢٣٧ ، وفي عام ١٩٥٠ كان الواصلون ٨٩١٠٥ والعائدون ٦٥١٧٥ (١)

وأكثر المغتربين متزوجون ولهم ذرية ، وندر ما يصطحبون أهلهم معهم ، بل يرسلون إليهم جزءاً من دخلهم الشهري . ويقدر مجموع الأموال المرسلة من فرنسا إلى الجزائر بثمانية مليارات من الفرنكات . ويلاحظ في السنوات الأخيرة ميل ملوس نحو استقرار المغتربين نهائياً مع اصطحاب الأسر . وعدد الذين تزوجوا بفرنسيات بلغ ٦٠٠٠ .

وأعمار المغتربين تتراوح بين ٢٠ و ٤٠ ، فهم في قوة العمر ، ولكنهم يعودون إلى بلادهم مصابين بالسل والأمراض الزهرية ومبتلين بإدمان المسكرات .

وقد أجريت تحريات عديدة عن الحياة الزوجية للمغتربين عام ١٩٥٤ (٢) فكشفت عن مشكلات أليمة . فالمهاجر النائي عن زوجته وأولاده يعيش قلقاً مضطرباً ، وإذا أتى بهم لم يأثفوا بسهولة مع المحيط الغريب الذي لا تؤهلهم له العادات الإسلامية ، وفي جميع الأحوال يفقد المهاجرون خصائصهم القومية ويمتصهم الوطن الجديد إذا ما أقاموا فيه مدة طويلة .

وهجرة المغاربة إلى فرنسا مرت بمراحل عديدة ؛ وكان المتوطنون الفرنسيون يعارضون درماً فيها لأنها تحرمهم من يد عاملة رخيصة . ولم يكن عدد المغتربين يزيد عن ٦٠٠٠ بين عامي ١٩١٢ و ١٩١٤ . وأخذت الهجرة شكلاً كشافاً خلال الحرب العالمية الأولى ، فقد جندت الحكومة الفرنسية نحواً من ثمانين ألف عامل وبعثت بهم قسراً إلى فرنسا لملء الفراغ في مصانعها ؛ وبعد نهاية الحرب أعيد العمال المنحدون إلى بلادهم ، إلا أن قسماً

(١) أنظر أيضاً : Document No 63, 13 Septembre 1952

(٢) Les aspects familiaux de l'émigration nord-africaine.

Document No. 144, 10 juillet 1954.

(م — ١٩ أحوال السكان)

الحبوب ، واتجاههم لا يزداد بسبب إرهاق التربة وضعف الوسائل ؛
ونصيب الفرد من الحبوب يتضاءل عاماً عن عام ؛ ففي عام ١٨٧١ كان نصيب
المواطن الجزائري ٥ كنتال من الحبوب سنوياً فهبط إلى ٤ عام ١٩٠٠
و ٢٥٥ عام ١٩٤٠ و ٢ فقط عام ١٩٥٣ .

والمواطنون الأوربيون يمتلكون خير الأراضي ، وقد استلبوها من
أصحابها الشرعيين ، مما أدى إلى بطالة عدد كبير من الفلاحين المسلمين . وفي
الصناعة يتناول العمال الجزائريون أجراً ضئيلاً بالنسبة إلى مماثلهم في
فرانسا .

إن جميع هذه الأسباب تحمل المواطنين الجزائريين على الهجرة إلى
فرانسا أملاً في عمل يقيتهم ويعيل ذويهم الباقين في أرض الوطن .

وقد قيل في أسباب الهجرة الجزائرية إن الجزائريين لهم ميل فطري إلى
الترحال بحكم أصولهم البدوية . ولكن الواقع أن جميع المهاجرين هم من
المزارعين المستقرين ، بربراً كانوا (القبائل ، الشاوية) أو عرباً أو متعربين
(منطقة وهران) . فالمهاجرون لا يرتحلون لمسرة الارتحال أو السياحة ،
بل يدفعهم الأمل بأجر أجزل .

والأسباب السياسية والنفسية لها أثرها أيضاً ، فالجزائريون المسلمون
يفرون من الجو الخناق المحيط بهم ، فهم يودّون الحصول على مركز
اجتماعي وأدبي أسمي ، ويريدون التخلص من « مركب النقص » الذي
يشعرون به في علاقاتهم اليومية مع الأوربي المتحكم . إنهم يتوقون أن
يجدوا في فرانسا الحرية والمساواة التي سمعوا بها ولا يجدونها في بلادهم
المغلوبة ، بل يجدون على العكس التسلط والعسف والكرهية .

والهجرة المغربية إلى فرانسا ليست نهائية دائماً ، فقد تدوم بعض الأشهر
أو بضع سنوات حسب إمكانيات العمل ؛ ففي عام ١٩٤٩ كان عدد الواصلين

الوطن العربي وتفقدته صفوة فتية من ابنائه وتكثر فيه من العوانس . ففي عامي ١٩٥٢ و ١٩٥٣ كان ٧٧٪ من المهاجرين اللبنانيين ذكوراً ، و ٧٥٪ منهم متراوح أعمارهم بين ١٥ و ٤٤ سنة ، كما تدل الأرقام التالية (١) :

الأعمار	عام ١٩٥٢			عام ١٩٥٣		
	ذكور	إناث	المجموع	ذكور	إناث	المجموع
٦٠ سنة فما فوق	٥٠	٢٢	٧٢	١٢٠	٥٨	١٧٨
٤٥ — ٥٩	١٥٣	٤٠	١٩٣	٢٨٣	١٠٨	٣٩١
٣٠ — ٤٤	٥٦١	٩٥	٦٥٦	٥٨٢	١٨٤	٧٦٦
١٥ — ٢٩	١٢٥٠	١٦٠	١٤١٠	١٢٥١	٤٣٤	١٦٨٥
لغاية ١٤	٢٣١	١٦٣	٣٩٤	١٧٢	١٢٣	٢٩٥
المجموع	٢٢٤٥	٤٨٠	٢٧٢٥	٢٤٠٨	٩٠٧	٣٣١٥

وأجيال المعتزين المولودة في الوطن لا تزال تذكر لغة الأجداد وتعتز بالتراث العربي ، أما الأجيال الجديدة فتدوب يوماً عن يوم في كيان المهجر وتفقد سمات العروبة .

ولتبّع مراحل هذه الهجرة واستقصاء وجهاتها نمتلك الندر من الوثائق؛ ونستطيع الاستفادة من التقارير السنوية التي كانت ترفعها الدولة المنتدبة على سورية ولبنان إلى عصبة الأمم في التعرف على البلاد التي قصد إليها المهاجرون ، بين الحربين العالميتين ، وعلى موطنهم الأصلي ، ونسبة الباقين منهم والعائدين ، نساءً وأرجالا وأطفالاً ؛ وهي لا تحصى سوى الذاهبين بطريق مرفأ بيروت ، وهو المركز الرئيسي للارتحال (٢) .

(١) النشرة الإحصائية ربع السنوية ، الربع الأخير لعام ١٩٥٢ والربع الأخير لعام ١٩٥٣ .

(٢) Rapports annuels à la Société des Nations sur la situation de la Syrie et du Liban 1924 — 1938

كبيراً منهم أثر البقاء في المهجر . وبدأت الهجرة الطوعية بعد ذلك ، حتى بلغ عدد المغتربين الجزائريين وخدمهم ١٠٠ ألف عام ١٩٢٤ ؛ ولكن العدد تناقص اثناء الأزمة الاقتصادية التي اجتاحت فرنسا منذ عام ١٩٢٩ ، حتى هبط عدد من هاجروا من الجزائر عام ١٩٣٢ إلى ١٤٩٥٠ ثم إلى ١٢٠١٣ عام ١٩٣٤ . وبعد انقضاء الأزمة عاد تيار الهجرة قويا ، ففي عام ١٩٣٧ بلغ عدد من تركوا الجزائر قاصدين فرنسا ٤٦٥٦٢ ؛ وتراخت الهجرة مرة أخرى عام ١٩٤٠ - ١٩٤١ ؛ ولكن السلطات الفرنسية أخذت من ثم ترسل العمال الجزائريين إلى فرنسا للعمل في المشروعات الألمانية .

واشتدت الهجرة مرة ثانية عام ١٩٤٥ ، وخاصة بعد صدور قانون عام ١٩٤٧ الذي ألغى جميع الحوائل دونها وسأوى الجزائريين بالفرنسيين من حيث حرية الانتقال .

وهجرة المراكشيين أيضاً بدأت منذ الحرب العالمية الأولى ، على أثر تجنيد الآلاف منهم للعمل في المصانع الفرنسية ، حتى بلغ عدد العمال المراكشيين المستخدمين في فرنسا نحواً من ٣٥٠٠٠ عام ١٩١٨^(١) ، أكثرهم من مراكش الجنوبية . وبعد الحرب عاد أكثر المجندين إلى وطنهم ، ولكن الهجرة العلنية والسرية استمرت رغم الموانع العديدة التي أقيمت في سبيلها .

ب - المغتربون العرب من بلاد الشام :

معضلة ثانية من معضلات الأمة العربية ، هي هجرة اللبنانيين والسوريين والفلسطينيين إلى أمريكا الجنوبية والشمالية خاصة .

فن ناحية ، تعتبر هذه الهجرة مفيدة لما تدرّه من مال . ويقدر أن المهاجرين اللبنانيين وخدمهم قد أرسلوا من الهبات إلى ذويهم نحواً من ٤٠ مليون ليرة عام ١٩٥٢^(٢) . ومن ناحية ثانية تضعف هذه الهجرة من قوة

Joanny Ray : Les Marocains en France. Paris, 1938, (١)

p. 52 — 53.

(٢) الدكتور البرت بدر — محاضرات عن الاقتصاد اللبناني .

وهكذا تدفق سيل المهاجرين الجدد نحو أمريكا الجنوبية ؛ ووجد تيار آخر نحو افريقية وخاصة منذ ١٩٣٥ . وقد تناقص متوسط المهاجرين سنوياً إلى ١٣٥٠٠ ما بين نهاية الحرب الأولى وعام ١٩٢٩ ، وهبط إلى ٤٠٠٠ بين ١٩٢٩ و ١٩٣٨ بسبب الأزمة الاقتصادية التي اجتاحت البلاد الصناعية ، وسجلت سنة ١٩٣٢ الحد الأدنى للهجرة في زمن السلم . وتبين هذه التوجّات في حركة الهجرة من الأرقام الواردة في تقارير الدولة المنتدبة :

السنة	عدد المهاجرين السوريين	عدد المهاجرين اللبنانيين	المجموع
١٩٢٣	٩	٩	١٦٠٠٠
١٩٢٤	٧١٠٠	٦٤٠٠	١٣٥٠٠
١٩٢٥	٣٣٥٠	٧٦٣٠	١٠٩٨٠
١٩٢٦	٨٥٠٠	٧٥٠٠	١٦٠٠٠
١٩٢٧	٥٦٦٦	٣٧٢٥	٩٣٩١
١٩٢٨	٨٢٩٠	٥٩٩٨	١٤٢٨٨
١٩٢٩	٢٨٩٤	٥٠٤٧	٧٩٤١
١٩٣٠	٣٤٦٣	٣٨٨٣	٧٣٤٦
١٩٣١	١٠٣٩	١٣٨٧	٢٤٢٦
١٩٣٢	٠٤٦٩	١١٧١	١٦٤٠
١٩٣٣	٠٨٠٨	١٥١٦	٢٣٢٤
١٩٣٤	٠٨١٠	١٦٩٩	٢٥٠٩
١٩٣٥	١٧٤٢	١٩٩٢	٣٧٣٤
١٩٣٦	٨٠٥	٢٢٧٧	٣٠٨٢
١٩٣٧	٩٥٠	٣٣٤٥	٤٢٩٥
١٩٣٨	٥٦٧	١٤٣٩	٢٠٠٦

وفي هذه الحقبة كانت نسبة المهاجرين اللبنانيين ٦٦٪ ونسبة السوريين

وقد كان تيار الهجرة بين ١٨٦٠ و ١٨٩٠ متجهاً نحو مصر ، بتشجيع الإدارة الخديوية^(١) ، ولا تزال آثار هؤلاء المهاجرين الأول ماثلة في الحقل الثقافي . ومنذ عام ١٨٩٠ — ولا سيما بعد رقي وسائل الملاحة البحرية — تحولت الهجرة نحو أمريكا الشمالية ، بحافز الرغبة في الثروة وبتشجيع شركات النقل ودعايتها .

وكان الواصلون إلى الولايات المتحدة وكندا والمكسيك يزاولون التجارات المختلفة ؛ وكثير منهم بدأوا حياتهم الجديدة بائعين متجولين ثم جمعوا ثروات ضخمة أفاد منها أقرباؤهم الباقون في الوطن ؛ وإلى أموالهم يعود الفضل في إعمار قرى لبنان ومدائنه وسداد بعض العجز الدائم في ميزانه التجاري .

واتسع نطاق الهجرة اتساعاً خفيفاً بين ١٩٠٠ و ١٩١٤ ، حتى بلغ عدد الراحلين سنوياً ١٥٠٠٠ ؛ وكان جلهم من المسيحيين الذين تهيّئوا الخدمة العسكرية بعد ما فرضها دستور عام ١٩٠٩ على جميع رعايا الدولة العثمانية بما فيهم المسيحيون^(٢) .

وبطبيعة الأمر انقطعت الهجرة أثناء الحرب العالمية الأولى ، ومالبت أن عادت بعد انتهائها ولكنها غيرت اتجاهها السابق . وذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية أصدرت عام ١٩٢١ قانوناً اتحادياً يحدد عدد المهاجرين من كل شعب بنسبة ٣/ من مجموع أفراده الموجودين في الولايات المتحدة عام ١٩١٠ ؛ ثم خفضت هذه النسبة إلى ٢/ واعتبرت أساساً لها مجموع المقيمين في الولايات المتحدة من كل شعب عام ١٨٩٠ . وانتهجت كندا النهج ذاته فأغلقت أبوابها تقريباً في وجه السوريين واللبنانيين ؛ وكان هؤلاء قد تحولوا عن الهجرة إلى المكسيك بسبب المنازعات الدينية .

R. Thoumin : Géographie humaine de la Syrie centrale. (١)

Tours, 1936, p. 335

(٢) سعيد حمادة: المصدر المذكور سابقاً ، ص : ١٤ — ١٦ .

أمريكا الشمالية تأتي الولايات المتحدة بالدرجة الأولى (مدن بوسطن ونيويورك) ويليهما المكسيك ثم كندا . ومن افريقية السنغال وافريقية الانجليزية وغينة الفرنسية وغينة البرتغالية والسودان الفرنسي والاريتريه . ومن أمريكا الوسطى : كوبا وجزر الآتي . ومن أوروبا : فرنسا، ولكن المهاجرين إليها كانوا على الأكثر من الأرمن الذين أقاموا في سورية ولبنان بعد هجرتهم من تركيا ثم رحل قسم منهم عنهما .

وهذا توزيع المهاجرين على البلدان بين ١٩٢٦ - ١٩٣٨ :

المهاجرون السوريون	النسبة المئوية من المجموع
١ - الأرجنتين :	٢٧٥٣
٢ - البرينيل :	٢٠٥٧
٣ - أوراغواي :	١٧٥٨
٤ - فرنسا :	٦٥٢
٥ - الولايات المتحدة :	٤٥٥
٦ - كوبا :	٢٥٢
٧ - مصر :	٢٥١
٨ - المكسيك :	٢
٩ - شيلي :	١٥٥
١٠ - كولومبيا :	١٥٣
١١ - مناطق أخرى :	١٤٥٤

المهاجرون اللبنانيون	النسبة المئوية من المجموع
١ - البرينيل :	٢٤٥٢
٢ - السنغال :	١٣٥١
٣ - الأرجنتين :	١٠٥٥
٤ - أوراغواي :	٨٥٥
٥ - افريقية الانجليزية :	٧٥٤

٣٤ / (ربيعهم تقريباً من منطقة العلويين) .

وبلغ متوسط العائدين سنوياً إلى سورية ولبنان بين ١٩٢٨ و ١٩٣٨ = ١٨٣٢ من اللبنانيين و ٩١٠ من السوريين .

وقد حسب « تومان »^(١) توزّع المرحّلين السوريين واللبنانيين حسب البلاد التي أمّوها فوصل إلى النتائج التالية للسنوات ١٩٢٠ — ١٩٣٠ :

أمريكا الجنوبية	: ٥٠ ٪
افريقية (مع مصر) وخاصة السنغال	: ٢٥ ٪
أمريكا الشمالية	: ١٠ ٪
بلاد مختلفة	: ١٥ ٪

وأجرينا مثل هذا الحساب للسنوات ١٩٢٦ — ١٩٣٨ بالاستناد إلى تقارير السلطة المنتدبة ، فاستخلصنا النسب التالية :

المرحلون اللبنانيون	المرحلون السوريون	القارات
٤٩ ٪	٦٩٠٢ ٪	أمريكا الجنوبية
« ١٠	« ٧٠٢	« الشمالية
« ٨٠٥	« ٤٠٢	« الوسطى
« ٢٦٠٥	« ٦٠٥	افريقية
« ٤٠٥	« ٧	أوروبا
« ٠٠٥	« ٥٠٨	آسيا
« ١	« ٠٠١	أستراليا

وهكذا يتبدّى أن الكثرة الغالبة من المهاجرين السوريين واللبنانيين قد قصدوا أمريكا الجنوبية في الفترة بين الحربين العالميتين ، وخاصة البريزيل والأرجنتين . وتعتبر مدينة ساو پولو في البريزيل أكبر مركز لهم . ومن

(١) المصدر المذكور سابقاً . ص : ٣٣٦ .

قد حملوا إلى البلقان فلول المجاهدين القوقازيين الذين ثاروا في وجه روسيا القيصرية ، وبعد مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ أجلى هؤلاء الشرا كسة إلى سورية وشرق الأردن . وبعد الحرب العالمية الأولى أسكن الفرنسيون في سورية ولبنان المهاجرين الأرمن الفارين من تركيا ، فاستوطنوا خاصة في المدن (حلب ، دمشق ، بيروت) ؛ وكان بعض الأرمن قد تسربوا إلى البلاد العربية قبل ذلك ؛ وقد أحصى في مصر وحدها أربعين ألف أرمني عام ١٩١٥ . وقوبلت هجرة الأرمن إلى بلاد الشام باستياء بالغ لأنها حدثت في وقت كانت البطالة فيه منتشرة وأبناء البلاد مهاجرون منها إلى أمريكا وأفريقية . وأثناء الحرب العالمية الأولى ثار الآشوريون والسككندان في تركيا واضطروا إلى الفرار نحو الخطوط الروسية في إيران والقوقاز ، ثم اتجهوا نحو العراق بعد الثورة البلشفية ؛ وحدث لهم مناوشات مع الجيش العراقي عام ١٩٣٣ فقبلتهم السلطات الفرنسية في سورية ، واستمرت هجرتهم إليها حتى ١٩٣٨ ، وسكنوا في قرى خاصة من محافظة الجزيرة . وكان توافد الأجانب على مصر شديداً حتى عام ١٩٢٧ ثم أخذ بالتناقص كما تدل الأرقام التالية :

عدد غير المصريين في مصر (١)

السنة	عدد غير المصريين في مصر (١)
١٩١٧	٢٠٥,٩٤٩
١٩٢٧	٢٢٥,٦٠٠
١٩٣٧	١٨٦,٥١٥
١٩٤٧	١٤٥,٩١٥

وهذا بالطبع عدا الذين اكتسبوا الجنسية المصرية ، وهم قلة لا تذكر بالنسبة إلى مجموع أهل مصر . وكانت نسبة سكان مصر المولودين خارج القطر ١٠٥ / عام ١٩٢٧ فهبطت إلى ١ / عام ١٩٣٧ (٢) . ويتجمع الأجانب خاصة في محافظتي القاهرة والاسكندرية ويتمتعون بنفوذ مالى كبير .

(١) الاحصاء السنوى للجيب . ص : ١٦

(٢) شارل عيساوى — المصدر المذكور سابقا . ص : ٥٩

٦	— الولايات المتحدة :	٦٥٥
٧	— كوبا :	٤٥٤
٨	— فرنسا :	٣٥٨
٩	— المكسيك :	٢٥٦
١٠	— كولومبيا :	٢٥١
١١	— غينة الافرنسية :	٢٠
١٢	— الآنتيبي الانجليزية :	٢
١٣	— مناطق أخرى :	١٢٥٩

والمناطق التي أرسلت العدد الأكبر من المهاجرين هي الكشيفة السكان والمحدودة الموارد، وخاصة جبال لبنان وهضاب القلون وجبال العلويين . والمسيحيون أكثر إقبالا على الهجرة من المسلمين ، لأنهم أشد بؤساً ، بل لاتصلهم بالغرب عن طريق المدارس الأجنبية واطلاعهم على أحوال البلاد الخارجية وامكانيات العمل فيها . يقول « دومانجون » : لا يكفي أن يكون مستوى المعيشة منخفضاً لدى شعب ما ليحس ضرورة الهجرة بل يجب أن يكون لديه شعور بسوء حالته بالنسبة إلى الشعوب الأخرى^(١) .

وساعد على انتشار الهجرة بين الحريين العالميتين اضطراب الأحوال السياسية وإهمال الفرنسيين المحتلين شؤون البلاد الاقتصادية ؛ فكان من دواعي الهجرة مثلاً قضاء الحرير الصناعي الياباني على صناعة تربية دود القز في لبنان وبلاد العلويين .

٣ — الهجرة إلى البلاد العربية

تلقّى العالم العربي في الأزمنة الأخيرة هجرات فردية وجماعية محدودة النطاق نسبياً . فالأتراك العثمانيون حاولوا تفرقة العنصر العربي فعمدوا عن سابق تصميم إلى إسكان المهاجرين التركان في بلاد الشام . وكان العثمانيون

(١) A. Demangeon : Problèmes de géographie humaine

Paris, 1947, p. 46

وارتفع إلى ٢٤,٠٠٠ عام ١٨٨٢^(١) ، كانت أكبر مستوطنة يهودية فى فلسطين مكلّس (بتاح تكفا : Petah-Tikva = باب الأمل) التى أسسها عام ١٨٧٨ يهود من مدينة أوديسا ، والتى تقع اليوم مدينة تل أبيب إلى جنوبها . ويقسم الصهيونيون تاريخ توافدهم على فلسطين إلى عدة هجرات أو موجات . فالموجة الأولى تبدأ عندهم عام ١٨٨٢ وتنتهى عام ١٩٠٣ ، وهى التى أشرف عليها ودعمها مالياً البارون ادمون روتشيلد ؛ وفى هذه الحقبة ظهر الكاتب النموى تيودور هرزل ونشر عام ١٨٩٦ كتابه عن الدولة اليهودية ، والتسام المؤتمر الصهيونى فى بال عام ١٨٩٧ وقرر خلق الوطن القومى اليهودى فى فلسطين وإيفاد المهاجرين إليها .

وفى هذا العهد أيضاً أسست أكبر المستوطنات اليهودية فى فلسطين مثل عيون قارة (ريشون لوزيون) عام ١٨٨٢ ، وديران (رخبوت : Rehovot) عام ١٨٨٣ ، وجديره عام ١٨٨٤ ، وخضيرة عام ١٨٩٠ الخ .

وبلغ عدد اليهود الذين أمّوا فلسطين فى هذه الموجة الأولى ٢٥,٠٠٠ ، أكثرهم من روسيا وأوربا الشرقية . والقرى الزراعية التى أنشأها هؤلاء المهاجرون هى من نوع الموشافا (Moshava) أى القائمة على أساس التملك الفردى . وكان العمال العرب يستخدمون فيها .

والموجة الثانية كانت بين ١٩٠٤ و ١٩١٣ ، فبلغ عدد المهاجرين الجدد ٤٠,٠٠٠ كلهم من روسيا تقريبا ، وهكذا أصبح عدد اليهود الاجمالى فى فلسطين ٤٧,٠٠٠ عام ١٨٩٠ و ٥٠,٠٠٠ عام ١٩٠٠ و ٨٥,٠٠٠ عام ١٩١٤ .

وأصبح زعيم الصهيونية فى العالم منذ ١٩٠٤ حاييم ويزمن . وفى هذا

(١) جميع الأرقام الواردة عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين مستقاة من :

أ — الخولية الحكومية لفلسطين المحتلة (١٩٥٢) ، س : ٢٤٣ ، ٣٢٠ .

ب — Raphael Patai : Israel between East and West — Philadelphia, 1953, p. 56 — 75.

يبد أن العالم العربي لم ينكب منذ غارات التتر والمغول وغزوات الصليبيين أشد من نكبته بالهجرة الصهيونية إلى فلسطين وبتوطن الأوربيين في المغرب العربي . والصليبيون كالتتر عادوا كلهم من حيث أتوا ولم يدعوا لهم من أثر بشرى ؛ أما الصهيونيون في فلسطين والأوربيون في الجزائر ومراكش وتونس فهم يزدادون يوماً عن يوم .

(١) الهجرة الصهيونية

لا يدخل في حدود بحثنا استعراض تاريخ الصهيونية الآتمة وتفصيل الأحداث السياسية التي آلت إلى كارثة فلسطين . والذي يهمنا ديموغرافياً هو تتبع موجات الهجرة عددياً والتعرف إلى أصولها .

وكان اليهود قد انقسموا منذ القرن السادس عشر إلى طائفتين متميزتين : طائفة السفردى (Sephardi) وهم الشرقيون الذين تحدر أكثرهم من يهود أسبانيا المطرودين ، وطائفة الاشكنازي (Askénazi) الذين يتكلمون لغة اليديش (Yeddish) الألمانية الأصل والمنتشرون خاصة في أوروبا الشرقية والوسطى ، وهؤلاء هم الذين خلقوا الحركة الصهيونية واضطلعوا بدعمها وتحقيقها .

وظهرت طلائع الهجرة اليهودية إلى فلسطين منذ النصف الأول للقرن التاسع عشر ، وقد نهض بها في ذلك التاريخ الثرى مونتفيورى (Montfiore) وهو تاجر إيطالى الأصل انجليزى الجنسية كان صديقاً لمحمد على باشا وإلى مصر وفتح بلاد الشام ، وقد زار فلسطين عام ١٨٣٧ وغرس فيها أول نواة للاستعمار اليهودى ، واستطاع بعد زوال الحكم المصرى من بلاد الشام أن يحصل من الدولة العثمانية على منح اليهود جميع الامتيازات التي يتمتع بها الأجانب في البلاد الخاضعة للعثمانيين .

على أن الهجرة اليهودية المنظمة بدأت في النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، فحتى عام ١٨٤٥ لم يزد عدد اليهود القدماء والجدد في فلسطين عن ١١٨٠٠ ،

الخامسة بين ١٩٣٢ و ١٩٣٩ ، وهي أعظم الموجات وأشدّها خطراً . فقد حملت إلى البلاد ٢٢٥,٠٠٠ مهاجر جديد من ألمانيا ودول أوروبا الوسطى التي خضعت لها ، فأصبح عدد اليهود في فلسطين ٤٤٢,٠٠٠ عام ١٩٣٩ ؛ ولم تفد العرب شيئاً ثورتهم الدامية عام ١٩٣٦ التي فقدوا فيها الألوف من الأرواح . وقد بدأ يهود الشرق يفتدون أيضاً إلى فلسطين وخاصة من إيران وتركيا واليمن وحضر موت وأفريقية الشمالية . وضعف شأن الهجرة نسبياً خلال سنوات الحرب العالمية الثانية ثم عادت سيلاً عاتياً بعد حوادث عام ١٩٤٨ المشؤومة ، ولكنها بدأت تفتت منذ ١٩٥٢ لضيق الأرض عن استيعاب جميع الوافدين واضطراب قسم كبير منهم إلى البقاء في المعسكرات المؤقتة (المعبروت) ريثما تهيأ لهم المساكن ؛ وبما لا ريب فيه أن الحصار الاقتصادي الذي فرضته الدول العربية على فلسطين المحتلة كان من أقوى الأسباب في بقاء تدفق الهجرة ورجوع بعض اليهود إلى أوطانهم الأصلية .

والأرقام التالية تدل على اختلاف عدد الوافدين في السنوات الأخيرة :

السنة	عدد اليهود الوافدين على فلسطين
١٩٤٠ — ١٩٤٥ :	٥٤١,٠٥٠
١٩٤٦ :	١٧٧,٧٦٠
١٩٤٧ :	٢١,٥٤٢
١٩٤٨ :	١١٨,٥٤٢
١٩٤٩ :	٢٣٩,١٤١
١٩٥٠ :	١٧٣,٩٠١
١٩٥٢ :	١٤,٩٢٠

وتطوّر عدد اليهود الإجمالي في فلسطين على النحو التالي :

١٩٤٣ : ٥٣٣,٠٠٠

١٩٤٥ : ٥٩٢,٠٠٠ (١)

العهد تأسست مدينة تل أبيب (مدينة الربيع) عام ١٩١٠ . ومهاجرو الموجة الثانية خلقوا المستوطنات الاشتراكية (Kibbutz أو Kvutza) التي تنحصر فيها الملكية بالمجموع ، ويتوزع العمل على الأفراد ، ويقدم لهم المجموع ما يحتاجون إليه . وأقدم مستوطنة من هذا النوع دجانيا التي أسست عام ١٩٠٩ في جنوب بحيرة طبرية .

وأثناء الحرب العالمية الأولى نقص عدد اليهود في فلسطين ، حتى هبط إلى ٥٦٧٠٠ عام ١٩١٨ ؛ وذلك أن السلطات التركية نفت قسماً منهم إلى سورية ، كما أن الأوبئة والمجاعة قضت على قسم آخر .

والحدث الهام في نهاية الحرب هو صدور وعد بلفور المشؤوم في ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ . والموجة الثالثة حدثت بين ١٩١٩ و ١٩٢٣ ، وحملت ٣٥٠٠٠ مهاجر من أوروبا الشرقية خاصة ، وقد أسس هؤلاء مستوطنات تعاونية (Moshav Ovdim) حيث تختص كل أسرة بمزرعة صغيرة تستثمرها دون استخدام عمال مأجورين ، وتعاون المستوطنة كلها في إطار تنظيم اقتصادي شامل . وقد ارتفع عدد اليهود في فلسطين عام ١٩٢٢ إلى ٨٤,٠٠٠ .

وبدءاً من عام ١٩٢٣ نُفذت سياسة الانتداب على فلسطين ، وأصبحت الوكالة اليهودية ، هي الحاكمة فعلاً في ظل السلطات البريطانية ، فاشتد خطر الهجرة وتدفقت المساعدات الأجنبية على يهود فلسطين ، وساعدت إنجلترا على امتلاك اليهود للأراضي بمنحها لهم بعض أملاك الدولة وبسببها تشريعات قاسية على المزارعين العرب تؤول إلى تخليهم عن أراضيهم . وهكذا دخل إلى البلاد الفلسطينية ٨١٠٠٠ يهودي في الموجة الرابعة (١٩٢٤ — ١٩٣١) فأصبح عددهم الإجمالي آخر عام ١٩٣١ : ١٧٥,٠٠٠ ، وأصبحت مستوطناتهم الريفية نحو ١١٠ ؛ ورغم أن الحكومة البريطانية حددت عدد المهاجرين بخمسة آلاف سنوياً عام ١٩٣٨ فإن الهجرة السرية لم تنقطع . ولما اشتدت الحركة النازية في ألمانيا أخذ يهودها يفرون إلى فلسطين ، فكانت الموجة

من إفريقيا

٤٦,١٠٥	٤٥,١١١	٩٩٤	تونس، الجزائر، مراکش :
٣٢,٠٤٨	٣١,١٧٥	٨٧٣	ليبيا :
٨٨٠	٦٢١	٢٥٩	إفريقية الجنوبية :
١٨,٢٩٥	١٦,٣٨٨	١٩٠٧	مناطق أخرى :
٩٧,٣٢٨	٩٣,٢٩٥	٤٠٣٣	المجموع
من أوروبا			

٤٢,٠٠٧	٦٢٠١	٣٥,٨٠٦	: الاتحاد السوفيتي
١٨,١٤٠	١٥٩٦	١٦,٥٤٤	: ليتوانيا ولاثفيا
٢٧٦,٢٦٣	١٠٦,١٣٦	١٧٠,١٢٧	: بولونيا
١٥٨,٧٦٥	١١٧,٦٦٠	٤١,١٠٥	: رومانيا
٢٤,٢٦٧	٣٧,٢١٠	٧٠٥٧	: بلغاريا
٣,٨٨٨	١٩٤٤	١٩٤٤	: يوغوسلافيا
١٠,٨٧٧	٢١١٠	٨٧٦٧	: اليونان
٦١,١٠١	٨١٥٠	٥٢,٩٥١	: ألمانيا
١٠,٣٥٤	٢٦٠٦	٧٧٤٨	: النمسا
٣٥,٥٢٥	١٨,٧٣١	١٦,٧٩٤	: تشيكوسلوفاكيا
٢٤,٦٤٣	١٤,٣٠١	١٠,٣٤٢	: هنغاريا
٣٣٦٦	١٧٩٢	١٥٧٤	: بريطانيا
٢٢٥٦	١٠٤٨	١٢٠٨	: هولندا
٣٧٢٦	٢٠٨٩	١٦٣٧	: فرنسا
٢٨٣٤	١٢٨٠	١٥٥٤	: إيطاليا
٤١٧٤	١٨٤٥	٢٣٢٩	: مناطق أخرى
٧٠٨,٧٨٦	٣٣١,٢٩٩	٣٧٧,٤٨٧	: المجموع

١٩٤٦	:	٦٢٢٠٠٠
١٩٤٧	:	٦٤١٠٠٠
١٩٤٨	:	٧٥٩٠٠٠
١٩٤٩	:	١,٠١٤,٠٠٠
١٩٥٠	:	٣,٢٠٣,٠٠٠
١٩٥١	:	١,٤٠٥,٠٠٠
١٩٥٢	:	١,٤٣٠,٠٠٠

وبين عامي ١٩١٩ و ١٩٥٢ ، كانت أكبر جالية من اليهود الوافدين على فلسطين هي الجالية البولونية (٢٤٠٣ / %) ثم الرومانية (١٤ / %) فالعراقية (١١٠٦ / %) ، ويلها الجالية اليمنية (٥٤ / %) ثم الألمانية (٥٣ / %).

وهذا جدول تفصيلي بعدد المهاجرين من كل شعب بين ١٩١٩ و ١٩٥٢ :

المهاجرون اليهود إلى فلسطين

منذ سنة ١٩١٩ حتى	منذ ١٥ مايو ١٩٤٨ حتى ٣١ ديسمبر ١٩٥١	المجموع
١٤ مايو ١٩٤٨		
من آسيا :		
تركيا	٨٢٧٧ :	٣٤,٢٩٤
٤٢,٥٧١		
سورية ولبنان	٢٣٦٧ :	٠٢,٢٩٨
٠٥,٢٦٥		
العراق ^(١)	٧٩٩٤ :	١٢٣,٢٦٥
١٣١,٢٥٩		
اليمن وعدن	١٥٨٣٨ :	٤٥,٢٧٩
٦١,١١٧		
إيران	٣٥٣٦ :	٢١,٧٨٤
٢٥,٣٢٠		
مناطق أخرى	٢٧٦٤ :	٩,٨٥٨
١٢,٦٢٢		
المجموع	٤٠,٧٧٦	٢٣٧,٣٧٨
٢٧٨,١٥٤		

(١) هاجر يهود العراق بناء على مرسوم اسقاط الجنسية الصادر في ٩ مارس سنة ١٩٥٠

فيه أكثرية الأرض ، كما يدل الجدول التالي :

توزيع الأملاك الخاصة في فلسطين حتى عام ١٩٤٨ (١)		الأفضية :
أُملاك اليهود	أُملاك العرب	
٪	٪	
١٨	٦٨	صفد
٣	٨٧	عكا
٣٨	٥١	طبريا
٣٤	٤٤	بيسان
٢٨	٥٢	الناصرة
٣٥	٢٢	حيفا
أقل من ١	٨٤	جنين
—	٧٦	نابلس
١٧	٧٨	طولكرم
١	٩٩	رام الله
٢	٨٤	القدس
أقل من ١	٩٦	الخليل
٣٩	٤٧	يافا
١٤	٧٧	الرملة
٤	٧٥	غزة
أقل من ١	١٤	بئر السبع

وباستثناء قضاء يافا الذي تقع فيه مدينة تل أبيب ، ظل اليهود أقلية في جميع الأقاليم الفلسطينية حتى عام ١٩٤٨ :

Dr. Jacques Khovry : La Palestine : انظر كتاب (١) تحقيقات الأمم المتحدة .
devant le monde (القاهرة ١٩٥٣) ص : ١٢٠ — ١٢٢ .

٢٢ : م. ش. لا. ر. ح. في م. ش. لا. ر. ح. (م - ٢٠ أحوال السكان)

			من أمريكا وأوقيانوسيا :
٨٠٩٩	١٤٦٤	٦٦٣٥	الولايات المتحدة :
٥٣٤	٢١٨	٣١٦	كندا :
٧٢٧٥	١٧١٩	٥٥٦	مناطق أمريكية أخرى :
١٨٧	١١٥	٧٢	أستراليا وزيلندا الجديدة :
١١٩٠٥	٣٥١٦	٧٥٧٩	المجموع
٤١٠٧٠	١٨,٧٨٧	٢٢,٢٨٣	من بلاد مختلفة :
١,١٣٦,٤٣٣	٦٨٤,٢٧٥	٤٥٢,١٥٨	المجموع العام :

وبين العرب المسجلين بفلسطين في ٣١ ديسمبر ١٩٥١ نجد ١٢٠.٠٠٠ مسلم سني و ٣٨.٠٠٠ مسيحي و ١٥.٠٠٠ مسلم درزي .

ولا يسمح لهؤلاء العرب من أصحاب البلاد الشرعيين أن ينتقلوا في البلاد دون تصريح رسمي ؛ وتجهد الإدارة الصهيونية في تجريدكم من أملاككم وذلك بتطبيق قانون التصرف الصادر عام ١٩٥٣ ، وبموجبه تصبح الأرض ملكاً للدولة إذا لم يتصرف مالكيها تصرفاً فعلياً ، ويعوّض عنها بريع موسم واحد ؛ ويكفي أن يصدر الحاكم العسكري قراراً يجعل أرض عربية منطقة عسكرية محظورة حتى يمتنع على مالكيها التصرف بها وبذلك تصبح ملكاً للدولة تستخدمها لأغراض دفاعية أو لتوطين المهاجرين الجدد. ويعمل اليهود على إفناء البدو الرحل من العرب (وعددهم ٢١ ألفاً عام ١٩٥٢) وذلك بمنعهم من التجوال في منطقة النقب وحصرهم في أماكن يهلكون فيها مع مواشيهم من العطش والجوع .

هذا وأن اليهود لم يستطيعوا حتى عام ١٩٤٨ أن يملكوا من أرض فلسطين أكثر من ٧٪ رغم الأموال التي بذلوها والمساعدات التي أدتها إليهم السلطات البريطانية . ولم يكن بين جميع أقضية فلسطين قضاء واحد يمتلكون

١ - إن إستعمار الاسبانيين لمراكش ليس أقل وبالا على السكان من إستعمار الفرنسيين . فهم قد اقتسموا الحماية على هذا البلد عام ١٩١٢ ؛ ولكن الاسبانيين يعتبرون مللية وسبتة والجزر القريبة إلى الشاطئ ممتلكات لهم ، بينما يخضع الريف المراكشي لحمايتهم . وقد خرجت سبتة من حكم المسلمين منذ عام ١٤١٥ إذ استولى عليها البرتغاليون ، ثم أصبحت للاسبانيين منذ عام ١٥٨٠ . واستولى الاسبانيون على مللية منذ سنة ١٤٩٦ . وكانت إسبانيا تنفي المجرمين إلى البلدين ثم أصبحت من مستعمرات الإسكان والاستثمار للاسبانيين عموما ، وهم فيهما اليوم أكثرية ساحقة ، بينما لا تزيد نسبتهم في منطقة الحماية عن ٨٠٣ / من مجموع السكان .

ومن الغريب أن اسبانيا لا تفتأ تطالب إنجلترا بالجلاء عن صخرة جبل طارق بحجة أنها أرض إسبانية ، وهي محتلة لأرض عربية على الضفة المقابلة . . .

٢ - يتوزع الأجانب المقيمون في منطقة الحماية الفرنسية من مراكش كما يلي عام ١٩٥١ :

فرنسيون ^(١)	: ٢٧١,٠٠٠
إيطاليون	: ٢٦,١٠٠
اسبانيون	: ١٣,٥٥٠
برتغاليون	: ٥,٢٠٠
بريطانيون	: ١٩٠٠
سويسريون	: ١٧٥٠
أمريكيون	: ١٠٦٠
روسيون	: ١٠٦٠
يونانيون	: ١٠٤٠
بلجيكيون	: ٩٤٠

(١) عدا ٣٢٤٠٠ مسلم جزائري . انظر : 72 - 71 p. Maroc 54

القضاء نسبة العرب واليهود إلى مجموع السكان حتى ١٩٤٨ (١)

يهود	عرب	
٠/٠	٠/٠	
١٣	٨٧	صفد
٤	٩٦	عكا
٣٣	٦٧	طبريا
٣٠	٧٠	بيسان
١٦	٧٤	الناصرة
٤٧	٥٣	حيفا
—	١٠٠	جنين
—	١٠٠	نابلس
١٧	٨٣	طولكرم
—	١٠٠	رام الله
٣٨	٦٢	القدس
أقل من ١	٩٩	الخليل
٧١	٢٩	يافا
٢٢	٧٨	الرملة
٢	٩٨	غزة
أقل من ١	٩٩	بئر السبع

ب - الأوروبيون في المغرب :

وهذا مثال عن التعايش القسري في العالم تفرضه بالسلاح على الأمة العربية الدول الاستعمارية الأوروبية (٢).

(١) المصدر السابق ص : ١١٩ — ١٢١

(٢) الأعداد الإجمالية للأجانب في كل بلد من المغرب ذكرت في الفصل الثالث ص : ٣٦

الافرنسيين خاصة يستولون على قسم كبير من الأرض الزراعية الخصبة^(١). وقبل فرض نظام الحماية كانت « الشركة المرسيلية » قد اشترت من الوزير خير الدين أرضاً مساحتها ١٠٠ ألف هكتار في أنفیدا (دار الباي) ؛ وبعد الحماية عمدت الدولة المحتلة إلى اغتصاب الأرض الموات وأراضى القبائل والآوقاف الإسلامية ومناطق الغابات وسائر أملاك الدولة ؛ وقد جرى الاستملاك بطريق الشراء الفردي ثم بطريق التوزيع الرسمي .

ففي ١ يولييه عام ١٨٨٥ صدر « القانون العقارى » الذى يفرض تحديد الأملاك وتسجيلها بعد قرار من محكمة مختلطة أنشئت لهذا الغرض وبفضل هذا القانون انتزع جزء من الأملاك الخاصة بالتونسيين الذين لم يعلموا بالقانون إلا بعد إنقضاء أجل المراجعة أو الذين لم تقبل المحكمة الوثائق التى تقدموا بها لإثبات ملكيتهم . يقول (Paul Sebag) : « فى الواقع لم تبرهن المحكمة المختلطة على الحياد والعدل فى أحكامها ، فقد منحت المطالبين الأوربيين جميع التسهيلات وأقامت فى وجه المطالبين التونسيين جميع العثرات ، حتى يمكن القول أن تطبيق المحكمة لقانون ١ يولييه ١٨٨٥ كان فى كثير من الأحيان سلباً مفضوحاً لأملاك التونسيين ..^(٢) » . وفى عام ١٨٩٢ ، أى بعد عشر سنوات من فرض الحماية ، أصبح الفرنسيون يملكون فى تونس ٤٤٣.٠٠٠ هكتار من أجود الأراضى . وقد وزعت عليهم أملاك الدولة بثمان رمزى ، حتى أن الهكتار من أراضى الزيتون فى منطقة صفاقس قد بيع بعشرة فرانكات . . والمالكون الجدد كانوا من كبار الاقطاعيين أو من الشركات الاستثمارية الضخمة ، إذ أن ٩٦ ٪ من الأراضى كانت فى قبضة ١٦ مالكا فقط . وقانون ١٣ يناير ١٨٩٦ ألحق بأملاك الدولة جميع الأراضى

(١) مراحل العدوان الافرنسى على الأملاك التونسية مذكورة تفصيلا فى جميع المصادر

الفرنسية عن تونس . أنظر مثلا : Paul Sebag : La Tunisie, p. 36 — 44

(٢) المصدر ذاته ص : ٣٨ . أنظر أيضاً كتاب « هذه تونس » للدكتور الحبيب نامر .

وقد تحدّثنا فيما سبق عن سيطرة الأوربيين في مراكش على الصناعة والتجارة ووظائف الدولة^(١). وعلى أن القلة منهم يمارسون الزراعة فإنهم يملكون ١٠٪ من الأرض المزروعة سنوياً و٤٪ من الأرض المبوّرة و٢٣٪ من بساتين الأشجار المثمرة والكروم و٤٪ من أراضي المراعي. وبمجموع مساحة الأرض التي تعود اليهم مليون هكتار، حصلوا على بعضها بالشراء وعلى البعض الآخر بالعطاء من السلطة المحتلة، على حساب الأملاك الأميرية وأراضي الرعي^(٢). ولذا تسود بين الأوربيين الملكية الواسعة؛ فالمزارع التي تزيد عن ٥٠٠ هكتار تبلغ ٤٠٠، مساحتها ٤٠٪ من مجموع أراضي الأوربيين؛ وهناك ٥٠٠ مزرعة تتراوح الواحدة منها بين ٣٠٠ و ٥٠٠ هكتار تمثل ٢٠٪ من أراضي الأوربيين، و ١٧٠٠ مزرعة بين ٥٠ و ٢٠٠ هكتار تعادل ٣٥٪ من مجموع أملاك الأوربيين، و ٣٨٠٠ مزرعة أقل من ١٠ هكتار^(٣).

٣ - ويمثل الأوربيون في تونس ٧٪ من مجموع السكان؛ ويكاد يتساوى فيها عدد الأفرنسيين والإيطاليين؛ إلا أن فرنسا أصدرت عام ١٩٤٤ قراراً باعتبار أفراد الجيل الثاني من الأوربيين أفرنسيين حكماً، وألغت الميزات التي كان يتمتع بها الإيطاليون وفقاً لاتفاقية عام ١٨٩٦، بسبب موقفهم العدائي أثناء الحرب العالمية الثانية. وفي تونس نحو من ٥٠٠ يوناني و ٦٥٠٠ إنجليزي مالطي.

ويقبض المتوطنون الأوربيون في تونس على التجارة والصناعة، وتحتكر الشركات الفرنسية جميع الثروات المعدنية (كالفوسفات والحديد والرصاص والزنك والنفط)

والتشريعات التعسفية التي صدرت عن السلطات المحتلة جعلت المتوطنين

(١) ص: ١٣٦

(٢) Maroc 54, P. 123,125

(٣) المصدر ذاته

عام ١٨٧٨ ، ولم يخف تدفق الأوربيين على الجزائر إلا بعد أن نفذت أملاك الدولة بتوزيعها على الوافدين ..

وتطور عدد الأوربيين على النحو التالي خلال الحكم الفرنسي المباشر :

السنة	عدد غير المسلمين في الجزائر
١٨٣٦ :	١٥٠,٠٠٠
١٨٥١ :	١٣١,٠٠٠
١٨٧٢ :	٢٨٠,٠٠٠ (بما في ذلك اليهود)
١٠٩١ :	٦٣٤,٠٠٠
١٩٣١ :	٨٨١,٠٠٠
١٩٤٨ :	٩٦٠,٠٠٠
١٩٥٣ :	١,٠١٩,٠٠٠

وهنا أيضاً منحت السلطات الفرنسية أجود الأراضي للتوطين الأجانب وخاصة في منطقة التل مستلبة أملاك الدولة وأملاك الأفراد وأراضي القبائل والأوقاف^(١) : فنذ عام ١٨٧١ استولت فرنسا على ٥٠٠,٠٠٠ هكتار من أملاك المجاهدين الجزائريين (وخاصة في منطقة القبائل) ، وكان من نتيجة قانون تحديد الأراضي المشاعة (٢٦ يولية ١٨٧٣) ان وزع على الفرنسيين ٤٠١,٠٠٠ من الهكتارات حتى عام ١٨٨٠ وبلغت حصة الأرض الموزعة مجاناً على كل فرد ٢٠٠ هكتار ؛ وفي مقاطعة الجزائر وحدها أصبح الفرنسيون يملكون ٤٠٠,٠٠٠ هكتار عام ١٩٣٦ .

ونورد لكم هنا لمحات عن تعايش الأوربيين والمسلمين في الجزائر مقتطفة عن « وثائق شمال أفريقية » الفرنسية^(٢) :

(١) انظر : Gabriel Esquer : Histoire de l'Algérie. Paris, 1950, p. 76 - 82

وكذلك : 82 - 54, p. 79 Algérie

وبيان حزب الشعب الجزائري : الحالة في الجزائر - مطبعة منبر الشرق بالقاهرة .

(٢) Documents Nord-Africains - Document No. 25/26 - 20

Août 1951.

الموات لتوزيعها على المستعمرين . وقانون ٢٢ يولييه ١٩٠٣ أجلى كثيراً من الفلاحين عن أراضيهم الواقعة قرب الغابات ، بحجة أنها أملاك أميرية ، حتى ولو لم يكن فيها سوى بضع شجيرات . . .

ومنذ قانون ٢٣ مايو ١٨٨٦ أصبح جائزاً التنازل عن الأوقاف الإسلامية (الجبوس) لقاء ريع سنوى ؛ وفى ٢٢ يناير ١٩٠٥ أُجيز التنازل النهائى مقابل ريع عشرين سنة . وقانون ١٣ نوفمبر ١٨٩٨ أجبر دائرة الأوقاف أن تضع تحت تصرف السلطات الفرنسية ٢٠٠٠ هكتار سنوياً من الأراضي الموقوفة الجيدة لتوزيعها على الفرنسيين . . ومنذ عام ١٨٩٧ أسست السلطات الفرنسية « صندوق الاعمار » واجبرت الخزينة التونسية على المساهمة فيه من موازنة البلاد ، لمشتري الأراضي وتوزيعها على المتوطنين الفرنسيين بثمان بنخس مقسم على آجال . . وأدهى من ذلك القانون الصادر فى ١٤ يناير عام ١٩٠١ الذى يضم إلى أملاك الدولة جميع الأراضي المشاعة المتروكة لتجوال القبائل وتعدل مساحتها ثلث مساحة تونس . . وذلك لطرد القبائل منها وتحويلها إلى مزارع أفريقية . .

وقد بلغ مجموع الأراضي المغتصبة على هذا النحو ٧٧٠,٦٠٠ هكتار فى عام ١٩٤٦ ، وزعت على ٥٠٠٠ مالك تقريباً ، بينهم عدة شركات كبيرة

٤ - وفى الجزائر لم يرع الفرنسيون حقاً ولا ذمة فى طرق الاستعمار والفتك واغتصاب الأرض . وأوريو الجزائر ليسوا كلهم من أصل افرنسى ، ولكن قانون ٢٦ يونيه ١٨٨٩ منحهم الجنسية الفرنسية ، وكثير منهم اسبانيون وإيطاليون ومالطيون ، ومنحت الجنسية الفرنسية ليهود الجزائر أيضاً . وقد دلّ التعداد الأخير أن ١١٪ من غير المسلمين فى الجزائر قد ولدوا فى فرنسا و ٥٪ فى اسبانيا و ١٥٪ فى ايطاليا و ١٪ فى بلاد أوربية أخرى ؛ اشتدت الهجرة إلى الجزائر بين ١٨٧٠ و ١٩٠٠ ؛ ومن جملة المهاجرين اللاجئين من الألزاس واللورين الذين استولت المانيا على بلادهم عام ١٨٧١ ومزارعو الكرمة فى جنوب فرنسا الذين تلفت كرومهم بالفيلوكسيرا منذ

ويمكن القول في بعض إدارات الدولة أن جميع المشروعات إنما توضع لمصلحة الأوربيين ، كالطرق والسدود والأقنية الخ ..

وقد نص قانون سبتمبر ١٩٤٧ على انتخاب جمعية نيابية في الجزائر ولكن الانتخابات زيّفت بمعرفة السلطة الحاكمة ... »

ونورد لكم الآن بعض آراء العالم الديموغرافي الفرنسي المشهور (Sauvy) حول مشكلة الجزائر ، لتبينوا نوايا الفرنسيين نحو هذا القطر العربي (١) :

« ان الظروف السياسية قد ربطت الافرنسيين والجزائريين في وجود مشترك ..

والأوربيون المسيطرون هم أقلية .. ولا بد لهم أن يسيطروا حتى لا يسيطر عليهم أو يضمحلوا . والحل المثالي هو في التمازج والاندماج ، ولكن ذلك يبدو متعذراً لوجود حواجز مانعة من الدين واللغة ..

ولكي يتحقق الاتحاد كان يجب مثلاً أن تخلق عناصر متوسطة .. كان توجد طائفة جزائرية تتكلم العربية ولكنها قد انفصلت عن الإسلام .. أو طائفة مسلمة يتعذر عليها النطق بغير اللغة الفرنسية ..

فانتصور مجتمعاً يتألف من هذه العناصر الأربعة . مضافاً إليها اليهود ... إن تخالفها يفضي حتماً إلى تعايشها .. وهكذا قد تنشأ الوحدة عن التباين . .

وكان أيضاً ممكناً فصل البربر عن العرب . . وبذلك يصبح في الجزائر عناصر ثلاثة متوازنة .. ولكن الجهود التي بذلت في هذا المنحى كانت ضئيلة ومتأخرة ... »

هـ — أما عن الاستيطان الإيطالي في ليبيا فترك الكلام للاستاذين فتح الله محمد المرصني وتوفيق حسن وصفي (٢) :

(١) Théorie générale de la population, p. 332 — 333

(٢) تقرير مقدم إلى حلقة الدراسات الاجتماعية الرابعة لجامعة الدول العربية ، بعنوان : الآثار الاجتماعية للتنمية الزراعية في المملكة المتحدة الليبية — يناير ١٩٥٤

« من الخرق الاستمرار على الاعتقاد بأن الجزائريين المسلمين هم
إفرنسيون كسكان بروتانيا واللورين وپروفانس . . بل الأصح هو ما قاله
عام ١٩٣٧ الزعيم الديني الشيخ بن باديس : ان شعب الجزائر المسلم ليس
إفرنسياً ، ولا يريد أن يكون إفرنسياً ، ولا يمكنه ذلك حتى إذا أراد . .
لأنه بعيد كل البعد عن فرانسا بلغته وعاداته وأصوله وديانته . .

والدين الإسلامي يوحد بين العرب والبربر ويجعل منهم مجموعة متميزة
عن الأوروبيين . وهكذا فإن سكان الجزائر اليوم ليسوا متجانسين ؛ فقد
جمعت الظروف التاريخية على هذه الأرض شعبين مختلفين ؛ والمشكلة الجزائرية
هي في تحرى الوسائل التي تمكن الفرنسيين والمسلمين من التعايش في ظل
نظام سلمي عادل .

إن الأوروبيين الذين يبلغ عددهم المليون لا يمكنهم امتصاص المسلمين
وهم ثمانية ملايين . . ولا يستطيع المسلمون كذلك أن يعربوا الأوروبيين
ويفرضوا عليهم الإسلام . .

ويتميز أوروبيو الجزائر بعقليتهم الاستعمارية . فهم يعتقدون بتفوقهم
على السكان الأصليين ويحرصون على استبقاء نظام سياسي يضمن لهم هيمنتهم ،
فهم لا يزالون يذكرون أنهم احتلوا البلاد بالقوة وأن السكان المسلمين هم
أعداؤهم ... ولذلك يعارضون كل حكومة فرنسية تميل إلى إنصاف هؤلاء .

ويتمتع الأوروبيون على قلتهم في الجزائر بالسيطرة الاقتصادية والإدارية ،
فهم يمتلكون ٢٨٠٠٠٠ هكتار من أصل ١١ مليون هكتار . ولا يزيد
المالكون الأوروبيون عن ٢٥٠٠٠ ، فهم إذن من كبار الإقطاعيين الذين
يملك واحد منهم ١٥٠٠٠ هكتار أحياناً . .

ومن الناحية الإدارية يقبض الأوروبيون على جميع نواحي السلطة . .
فالفرنسيون هم الحكم ، أما المسلمون فترك لهم وظائف الأذنين . .

(ح) ازدياد عدد العرب الرحل ، إذ لم يعد أمام كثير من المزارعين الذين اغتصبت أراضيهم من وسائل العيش إلا رعي الأغنام والانتقال من مكان إلى آخر بحثاً وراء الرعي والحياة

٤ - الهجرة بين البلاد العربية

أن تيار الهجرة بين البلاد العربية لم ينقطع خلال جميع العصور التاريخية رغم عوائق الحدود والتفرقة السياسية ؛ ولا غرابة في ذلك فالبلاد العربية يتم بعضها بعضاً في النواحي البشرية والاقتصادية .

وحق في يومنا هذا ليس من سبيل إلى حصر أفراد الشعوب العربية المقيمين في غير موطنهم الأصلي ؛ كالعرب المسلمين المقيمين إلى جوار الأماكن المقدسة في الحجاز ، والتجار السوريين في المملكة الأردنية ، والجزائريين والمراكشيين والتونسيين والليبيين الذين أموا بلاد الشام ومصر بعد احتلال الأجانب لمواطنهم وتنكيلهم بالمجاهدين ، وكذلك السوريين واللبنانيين الذين اكتسبوا الجنسية المصرية .

والملاحظ أن الهجرات الحالية بين بلاد العرب ذات غايات سياسية وتجارية أو ثقافية ، لكن الهجرات الزراعية تكاد تكون معدومة ، رغم افتقار بعض البلدان العربية إليها كمصر مثلاً . والمصريون هم أقل الشعوب العربية جنوباً إلى الهجرة خارج وادي النيل ، على أن الريفيين منهم يهجرون قراهم ويستقرّون في المدن .

والإحصاءات المتوفرة تعطينا فكرة غير كاملة عن تبادل السكان بين مختلف بقاع الوطن العربي ؛ وهذه أمثلة عنها :

١ - في الكويت عام ١٩٥٣ : (١)

..... في عام ١٩٢٢ صدر أول قانون يتعلق بملكية الأرض الحكومية ويعتبر هذا القانون جميع الأراضي غير المزروعة ملكاً للحكومة ؛ وفي ١١ أبريل سنة ١٩٢٣ صدر قرار يقضى بمصادرة أملاك الوطنيين الثائرين كما صدر في ١٥ نوفمبر ١٩٢٣ قانون ينص على نزع ملكية جميع الأراضي غير المزروعة ؛ وفي عام ١٩٢٥ كانت مساحة الأراضي التي امتلكتها الحكومة (السلطة الإيطالية المحتلة) في طرابلس ٦٨٤ ألف هكتار منحت منها ٣١٦٣٨ هكتار إلى المعمرين الإيطاليين ، وبين عامي ١٩٢٩/٢٦ استولت الحكومة على أراضي جديدة بلغت مساحتها ٩٥١١٠ هكتار منحت منها ٦٦٦١٥ هكتاراً جديداً إلى المعمرين الإيطاليين . وتدخلت الحكومة عام ١٩٢٨ وقررت تنفيذ سياسة الاستيطان عن طريق الاعمار الزراعي ، فصدر في ٧ يولييه سنة ١٩٢٨ قانون تنص مادته الأولى على أنه (تمنح الأراضي الحكومية في برقة وطرابلس للتعمير الزراعي الذي يرمي إلى توطين العائلات الإيطالية بالأراضي الليبية) . وجاء في هذا القانون : (أما الوطني فيجب أن يستخدم كأجير فقط وأن تقتصر مصلحته على الزراعة الموسمية والرعي) . وفي عام ١٩٣٢ قررت الحكومة الإيطالية الاستيلاء بالقوة على جميع أراضي العرب وذلك لقاء تعويض زهيد يدفع لبعض أفراد من أصحابها العرب يتراوح بين ٢٦ و ٢٤ ليرة إيطالية عن كل هكتار .

وأخذت العائلات الإيطالية تتدفق على البلاد بعد ما شيدت لهم المزارع والمساكن ، وأقصوا العرب عن مواطنهم الأصلية وعن أراضيهم الزراعية وأجبروا على النزوح إلى الصحراء . وكانت نتائج هذه السياسة الإيطالية مايلي :

(أ) أدى حرمان الليبيين من أراضيهم إلى هجرة الكثير منهم إلى بلاد مجاورة كتونس ومصر والسودان .

(ب) اضطر كثير من المزارعين — وقد أصبحوا من العاطلين — إلى الانخراط في الجندية لتصرف فيهم إيطاليا .

هذا عدا السوريين الذين يتمتعون بحرية الانتقال وكان عددهم ٣٦٠٠٠ عام ١٩٤٤^(١) .

ح - في العراق عام ١٩٤٧^(٢) :

سعوديون	:	٣٣٨٠
سوريون	:	١٧٧٧
لبنانيون	:	١٠٠٢
مصريون	:	٢٥٩
أردنيون	:	٢٠٢
بلاد عربية أخرى	:	٣٠٠٨

٩٦٢٨

ز - وكان في مصر عام ١٩٤٧ نحو ٥٩٠٠ عربي أكثرهم من لبنان وسورية.

هـ - وفي الجزائر ٦٠٠٠٠ من المراكشيين والتونسيين ، وفي مراكش ٣٢٠٤٠٠ من الجزائريين المسلمين وذلك عام ١٩٥٢ .

هذا وفي البلاد العربية اليوم قرابة ٩٠٠٠٠٠ من اللاجئين العرب الفلسطينيين الذين أخرجوا من ديارهم واحتضنتهم الدول العربية ريثما يعادوا إلى موطنهم . ومن الصعب حصر عددهم في كل بلد عربي لتنقلهم ؛ ويقدر عدد المقيمين منهم في المملكة الأردنية بنحو ٤٥٥٠٠٠ ، وفي لبنان ١٠٧٠٠٠ وفي سورية ٨٤٠٠٠ وفي قطاع غزة ومصر ٢١٠٠٠٠ . وفي باقي العالم العربي نحو ٢٦٠٠٠ موزعون بين العراق والمملكة العربية السعودية

(١) مجموعة احصاءات من سورية ولبنان ١٩٤٤

(٢) المجموعة الاحصائية السنوية العامة سنة ١٩٥٣

عراقيون	:	٢٥,٠٠٠
لبنانيون	:	١٠,٠٠٠
سوريون	:	٣,٩٠٠
أردنيون وفلسطينيون	:	٣,٠٠٠
من إمارات الخليج العربي	:	٨,٧٠٠
من اليمن وعدن	:	١,٠٠٠
		٥١,٦٠٠

ب — في لبنان عام ١٩٥٤^(١) :

فلسطينيون (عدا اللاجئين)	:	١٨٣٧
مصريون	:	١٤٤٢
جزائريون	:	٤٨٩
عراقيون	:	٤٠٩
أردنيون	:	٣٧٦
سعوديون	:	١٢٦
تونسيون	:	١٢٦
مراكشون	:	٥٨
سودانيون	:	٢٠
يمنيون	:	١٥
كويتيون	:	٨
بحرانيون	:	٧
		٤٩٢٣

تعقيب

١ - جاء في الحولية الإحصائية للأمم المتحدة عام ١٩٥٤ تصحيح أو إتمام لبعض الاحصاءات عن البلاد العربية ، ثبت منها :

سكان ليبيا عام ١٩٥٣	:	١,٥٠٠,٠٠٠
د لبنان	:	١,٣٥٣,٠٠٠
د مستعمرة عدن	:	١٥٠,٠٠٠
د المملكة الأردنية	:	١,٣٦٠,٠٠٠
د السودان المصري	:	٨,٨٢٠,٠٠٠
د قطاع غزة	:	٣٠٠,٠٠٠ مساحة القطاع =
٢٠٢ كم ^٢ - الكثافة فيه = ١٤٨٥	بالكم ^٢	

٢ - ذكرنا في الصفحة ٩٨ و ٩٩ أن نسبة النساء إلى ١٠٠٠ رجل في مراكش هي ٩٩٦ وذلك بالاستثناء إلى تعداد عام ١٩٤٧ ؛ أما في تعداد ١٩٥١ المنقوض فإن نسبة النساء إلى ١٠٠٠ رجل كانت ١٠١٩ .

والكويت . ولا يدخل في هذا العدد الباقون منهم في فلسطين المحتلة (١) .
ونحو من ثلث اللاجئين يقيمون تحت الخيام وفي المعسكرات يعانون
ضروب الجوع والبرد والمرض .

(١) أنظر ١ — التقرير النهائي لبعثة الأمم المتحدة في الشرق الأدنى — الطبعة الفرنسية

ص ٢٣ — ٢٤

ب — الأستاذ يعقوب خوري — فلسطين أمام العالم — المصدر المذكور

سابقاً ، ص : ١٩٠

ج — تقرير جامعة الدول العربية عن تعليم أبناء اللاجئين — القاهرة ١٩٥٢

الطبعة الانجليزية ، ص ٢٠

د — محمد صفوت : اسرائيل العدو المشترك ص ١٨٨

تصويب

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
٤	١٢	الأخصاب	الإخصاب
١٠	١٥	٣٥٤٨ /	٣٤٥٨ /
١٥	٢٣	الإحصاء السنوي للجيب ١٩٥١	الإحصاء السنوي للجيب ١٩٥٣
٢٩	٨	العدد الأخير عام ١٩٥٣	عام ١٩٥٤
٤٣	١٧	إحتمالها	احتمالها
٧٢	٢٣	(عام ١٩٥١)	(عام ١٩٥٢)
٧٥	٢	١٧٩ و	١٧٥ و
٨٤	٢٢	هذا لتصنيف	هذا التصنيف
٨٥	١٦	قادرة عن	قادرة على
٨٨	٢١	بنمو	بنحو
٩٠	٨	الأتاجية	الإنتاجية
٩٤	١٥	التكاثف	التكاثر
٩٥	٨	الأناث	الإناث
١٠٦	٩	اليان	اليابان
١٢١	٣	الأصيلون	الأصيلين
١٢٨	٥	٠٢ و /	٠٣ و /
١٣٤	٥	نصف سكان	نصف سكانه
١٣٦	١٢	لا مجال كبير	لا مجال كبير آ
١٦٠	٢	كل مائة	لكل مائة
١٦٨	١٣	٢٠ سنه	٢٠ سنة
١٦٩	١٤	د	د

والتي هي: ولا تدخل في هذا العدد البتة من حيث في المصنفات
 و... من حيث للاختلاف في...
 و... ١٩٩٩ ...
 : لهذه الكتب ، في...
 : ١٩٩٩ ...

١٩٩٩ : ١٩٩٩
 : ١٩٩٩
 : ١٩٩٩
 : ١٩٩٩
 : ١٩٩٩
 : ١٩٩٩

١٩٩٩ : ١٩٩٩
 : ١٩٩٩
 : ١٩٩٩
 : ١٩٩٩

١٩٩٩ : ١٩٩٩
 : ١٩٩٩
 : ١٩٩٩
 : ١٩٩٩

فهرس

الصفحة

توطئة

الفصل الأول : قيمة الدراسات السكانية

- ١ - مؤتمر روما ٣
- ٢ - أثر الشؤون السكانية قديماً وحديثاً ٥
- ٣ - شواهد من العالم العربي الحديث ٨
- ٤ - علم السكان ١٠
- ٥ - الإحصاءات ١١

الفصل الثاني : الإحصاءات العربية

- ١ - الوجدان الإحصائي ١٣
- ٢ - إحصاءات مصر ١٤
- ٣ - إحصاءات العراق ١٦
- ٤ - الإحصاءات في سورية ولبنان ١٨
- ٥ - إحصاءات المملكة الأردنية ٢٢
- ٦ - إحصاءات المغرب العربي ٢٣

الفصل الثالث : العرب في المجموعة البشرية

- ١ - البشر على الأرض ٣٠
- ٢ - أرض العرب ٣١
- ٣ - سكان الأرض العربية ٣٣

الصفحة	السطر	خطاً	صواب
١٦٩	١٩	لدى	لدى
٢٠٩	١٩	الدينمارك	الدينمارك
٢٣٤	١٨	أمل الحياة وأمل الحياة	أمل الحياة وأمل الحياة
٢٤١	٢٢	على أن ٤٥ ٪	على أن ٣٥ ٪
٢٥٨	١٧	لا يوجد في جمع	لا يوجد في جمع
٢٥٩	٢٣	Alégrie	Algérie
٢٧٩	١٩	والاغتراب	أو الاغتراب
٢٨٤	٢	الأنجلو ساكوني	الأنجلو ساكوني
٢٩٤	١١	فاستخلصنا	فاستخلصنا
٢٩٧	٦	أربعين	أربعون
٣٠٠	١٦	اليهودية	اليهودية
٣١٦	١٥	مراكشون	مراكشون

الصفحة

- (ب) فئات السن في لبنان وسورية ١١٣
 (ح) د د في فلسطين وشرقي الأردن ١١٦
 (د) د د في مصر ١١٧
 (هـ) د د في المغرب العربي ١٢٠

الفصل السادس : التصنيف المهني للسكان والمدن والقرى .

- ١ - الفعاليات البشرية ١٢٢
 (١) النوع الزراعي ١٢٩
 (ب) النوع الزراعي ذو الفعالية الصناعية الثانوية ١٣٠
 (ح) النوع الصناعي ١٣١
 (د) النوع الاشتراكي ١٣٢
 ٢ - التصنيف المهني للسكان في العالم العربي ١٣٢
 ٣ - مقاييس التفريق بين المدن والقرى ١٤١
 ٤ - سكان المدن وسكان القرى في العالم العربي ١٤٤

الفصل السابع : الزواج والطلاق .

- ١ - معدل الزواج ومعدل الطلاق ١٥٣
 ٢ - حالات الزواج والطلاق لدى الشعوب العربية ١٥٨
 ٣ - المواقف الموسمية للزواج ١٧٤
 ٤ - المشكلة الزوجية في العالم العربي ١٨٣

الفصل الثامن : الولادات والوفيات .

- ١ - معدل الولادة ١٨٥
 ٢ - الذكورة ١٩٩
 ٣ - الظاهرة الموسمية للولادات ٢٠٣

الصفحة

٤ — الأجانب في بلاد العرب ٣٦

٥ — العرب والمتعربون في العالم ٣٨

الفصل الرابع : توزيع السكان في الوطن العربي

١ — أشكال الكثافات ٤٢

٢ — تفاوت السكني على الأرض العربية ٤٣

٣ — اختلاف الكثافة ضمن كل بلد عربي ٤٦

(١) توزيع السكان في العراق ٤٧

(ب) د د د الجمهورية السورية ٥١

(ح) د د د لبنان ٥٦

(د) د د د الأردن وفلسطين ٥٧

(هـ) د د د في شبه الجزيرة العربية ٦١

(و) د د د مصر والسودان ٦٨

(ز) د د د ليبيا والمغرب العربي ٧٥

٤ — السكان واستثمار الأرض ٨٤

٥ — الحد الملائم للسكان ٩١

الفصل الخامس : الذكور والإناث وفئات الأعمار .

١ — رجحان عدد النساء في العالم ٩٥

٢ — الذكور والإناث لدى الشعوب العربية ٩٨

٣ — فئات السن ١٠٣

٤ — فتوة الشعوب العربية ١٠٧

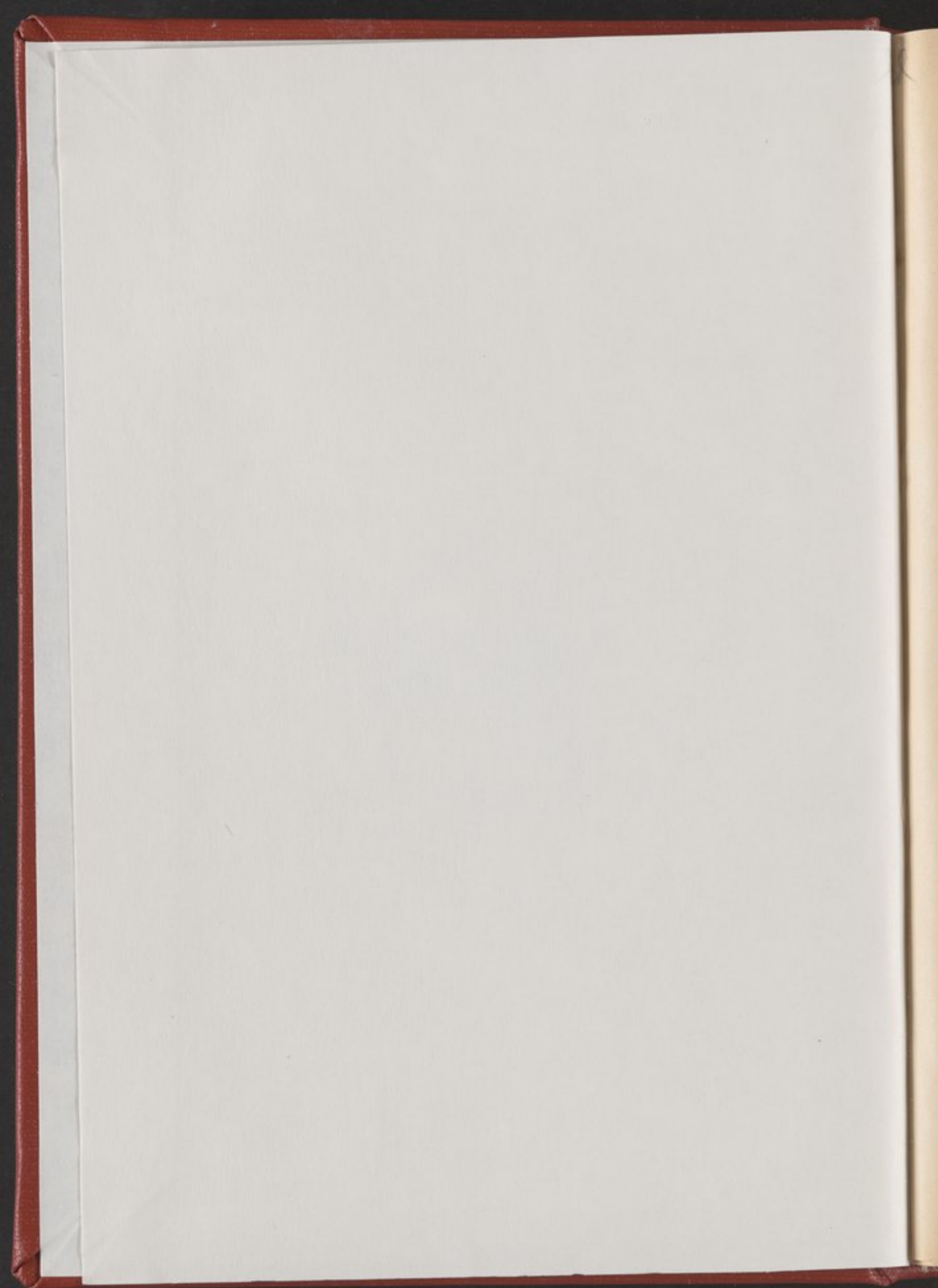
(١) فئات السن في العراق ١٠٩

مُطْبَعَةُ الرَّسَّالَةِ

شارع حمودة القنار ٣ ماربوط

مُطْبَعَةُ الرَّسَّالَةِ

شارع حمودة القادري ٣ مارب







Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University

NYU - BOBST



31142 02885 3664

HB3634.8 .N8 1955

A'z wal al-



NYU

BOBST LIBRARY
OFFSITE